المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

الإخلاص حقيقته ونواقضه

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة

إعداد الطالب

عبدالله بن عيسى بن موسى الأحمدي

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

محمد حسان محمد كسبة

الجزء الثاني

العام الدراسي: ١٤٢٣/١٤٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : **عبد الله بن عيسى بن موسى الأحمدي.** كلية : **الدعوة وأصول الدين.** قسم : **العقيدة.**

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : **الماجستير .** في تخصص : **العقيدة.**

عنوان الأطروحة : " **الإخلاص حقيقته ونواقضه** ".

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه – والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤٢٤/٢/١٣هـ – بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة وحيث قد تم عمل اللازم، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ..

والله الموفق،،،

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الداخلي
الاسم : أ . د . محمد حسان كسبة	الاسم : أ . د . الخضر بن عبد الرحيم أحمد	الاسم : أ . د . أحمد السيد علي رمضان
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد

رئيس قسم العقيدة

الاسم : د / عبد العزيز بن أحمد الحميدي

التوقيع :

والدنيا نقيض الآخرة[١].

٣- الآخرة:

سبق أنَّ الآخرة نقيض الدنيا، ويعبر بالدار الآخرة: عن النشأة الثانية، كما يعبر بالدنيا عن النشأة الأولى[٢].

ويقصد بها في اللغة نقيض الدنيا كما سبق، ويراد بها دار البقاء: صفة غالبة[٣].

والمقصود بهذه العبارة:

أن يعمل الإنسان عملاً صالحاً من أعمال الآخرة لكنه يريد به الدنيا، كالذي يجاهد للقطيفة، والخميلة، ونحو ذلك[٤].

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((فإنَّ إرادة الدنيا قادحة في إرادة الآخرة، ولا يصح للعبد مقام الإرادة حتى يفرد طلبه، وإرادته، ومطلوبه، فلا ينقسم المطلوب، ولا الطلب...))[٥].

ولكن هل كل أنواع ذلك محرم؟

سيأتي تفصيله بحول الله في أنواع إرادة الدنيا.

تنبيه:

مما ينبغي أن ينتبه له المسلم أنَّ الذمَّ الوارد في الكتاب والسنة للدنيا ليس راجعاً إلى زمانها الذي هو الليل والنهار؛ فإنَّ الله قد جعلهما خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

وليس الذم راجعاً إلى مكان الدنيا الذي هو الأرض التي جعلها الله لبني آدم، ولا إلى ما أودع فيها؛ فإنَّ ذلك كله من نعم الله على عباده، وإنما الذم راجع إلى أفعال بني

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ١/١٠٢١.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٦٨.

(٣) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ١/٣٠.

(٤) ينظر: تيسير العزيز الحميد، ٥٣٤.

(٥) عدة الصابرين، ٤٠٥.

آدم الواقعة في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ ...﴾(١)(٢).

---

(١) (الحديد ٢٠).

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢/١٨٧-١٨٨ بتصرف.

المبحث الثاني

الفرق بين إرادة الدنيا بعمل الآخرة والرياء

عقد المبحث لبيان الفرق بين إرادة الدنيا وبين الرياء؛ حتى لا يقع الخلط في الأحكام؛ لأنَّ بيان الفروق بين المسائل المتشابهة له أثره في تمييز الأحكام، وله أثره في دفع الخلط الناتج عن عدم التفريق، كما أنَّ فيه توضيحاً لصورة الحُكم، وفيه بيان للأسباب التي بسببها فرق بين المسائل المتشابهة في الأحكام.

وأمَّا في هذا المبحث فلم تكن آراء العلماء متفقة على وجود فرق بين الرياء وإرادة الدنيا، وهذه بعض الآراء التي وقفت عليها في المسألة:

الرأي الأول:

لا يرى أنَّ بينهما فرقاً، ويعرفونهما بما حاصله أنهما شيء واحد، وقد نقلت بعض أقوال أهل العلم في تعريف الرياء ضمن من كان تعريفه للرياء شاملاً للرياء ولغيره فتنظر هناك، حيث يظهر منها أنهم لا يفرقون بينهما؛ ولذا كان تعريفهم للرياء شاملاً للرياء ولإرادة الدنيا بل ولغيرهما كما سبق إيضاحه(١).

الرأي الثاني:

من يرى أنَّ بين الرياء وبين إرادة الدنيا فرقاً، وهؤلاء لهم اتجاهان في بيان الفرق بينهما.

الاتجاه الأول:

من فرق بينهما لكنه لم يذكر هذا الفرق (٢) ، كما أنَّ بعض أصحاب هذا الاتجاه صرح بأن بينهما فرقاً، وبعضهم لم يصرح بالتفرقة لكن كان صنيعه في التعامل معهما يظهر منه التفريق بينهما، ومن هؤلاء العلماء -رحمهم الله-:

---

(١) ينظر صـ ٢٨٨ ، في مبحث تعريف الرياء.

(٢) من حيث العموم والخصوص ، وأصحاب الاتجاه الثاني صرحوا به .

١- الغزالي: حيث عقد باباً في المهلكات لذم الدنيا[١].

وباباً في المهلكات للرياء[٢].

٢- وابن قدامة رحمه الله صنع مثل الغزالي رحمهما الله[٣].

٣- والقرافي -رحمه الله- عقد لبيان الفرق بينهما مبحثاً كاملاً وكان دقيق النظر فيه -رحمه الله-[٤].

٤- والحطاب -رحمه الله-[٥].

٥- والشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- حيث عقد باباً للرياء[٦].

وباباً في إرادة الدنيا بعمل الآخرة[٧].

٦- ونص الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله- على أنّ بينهما فرقاً فالمرائي يعمل ليراه الناس، وأما من يريد الدنيا بعمل الآخرة فيعمل من أجل الدراهم ونحو ذلك[٨].

٧- والشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-[٩].

الاتجاه الثاني:

من يرى الفرق وبيّن هذا الفرق وأنّ إرادة الدنيا بعمل الآخرة تشمل الرياء وغيره، وأما الرياء فهو بعض إرادة الدنيا بعمل الآخرة، ومن هؤلاء:

(١) ينظر: إحياء علوم الدين، ٣/٢٦١-٢٩٠.

(٢) المصدر السابق، ٣/٣٥٣-٤٢٤.

(٣) ينظر: مختصر منهاج القاصدين، ٢٤٥،٢٦٨.

(٤) ينظر: الفروق، ٣/٢٢-٢٣، وينظر: تهذيب الفروق، لمحمد المالكي، ٣/٣٦-٣٧، وينظر: ترتيب الفروق، للبقوري، ٢/٤٩١-٤٩٤.

(٥) ينظر: مواهب الجليل، ٢/٥٣٣.

(٦) ينظر: تيسير العزيز الحميد، ٥٢٤.

(٧) المصدر السابق، ٥٣٤.

(٨) ينظر: تيسير العزيز الحميد، ٥٣٤-٥٣٥.

(٩) ينظر: إعانة المستفيد، ٢/١٣٥.

١- الشاطبي -رحمه الله- حيث قال: ((فصلٌ: وإن كان الحظ المطلوب بالعبادات ما في الدنيا؛ فهو قسمان:

قسمٌ يرجع إلى صلاح الهيئة، وحسن الظن عند الناس واعتقاد الفضيلة للعامل بعمله.

وقسمٌ يرجع إلى نيل حظه من الدنيا، وهذا ضربان:

أحدهما: يرجع إلى ما يخص الإنسان في نفسه مع الغفلة عن مراءاة الناس بالعمل.

والآخر: يرجع إلى المراءاة لينال بذلك مالاً أو جاهاً أو غير ذلك.

فهذه ثلاثة أقسام))(١).

فقد جعل -رحمه الله- إرادة الدنيا على قسمين، أحدهما: الرياء، وهو القسم الأول على ما فصله -رحمه الله-.

فدلَّ صنيعه على أن إرادة الدنيا أعم من الرياء، والله أعلم.

٢- الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ -رحمه الله- حيث قال: ((فإن قيل فما الفرق بين هذه الترجمة، وبين ترجمة الباب قبله؟

قلت: بينهما عموم وخصوصٌ مطلق، يجتمعان في مادة، وهو إذا أراد الإنسان بعمله التزين عند الناس، والتصنع لهم، والثناء، فهذا رياءٌ كما تقدم بيانه، كحال المنافقين، وهو أيضاً إرادةٌ للدنيا بالتصنع عند الناس، وطلب المدحة منهم والإكرام، و [يفارق](٢) الرياء بكونه عمل عملاً صالحاً، أراد به عرضاً من الدنيا كمن يجاهد ليأخذ مالاً...))(٣).

ويبدو -والله أعلم- أن بين الاتجاهين توافقاً في الرأي، وأنَّ كلاهما يريان الرياء

(١) الموافقات، ٢/٣٦٠.

(٢) في بعض نسخ المخطوطة ما أثبته كما ذكره المحقق، واختار المحقق [يفارقه] والذي يظهر لي أن ما أثبته هو الصواب والله أعلم.

(٣) فتح المجيد، ٢/٦٢٥.

بعض إرادة الدنيا؛ لأنَّ أصحاب الاتجاه الأول منهم من نص على أنَّ المرائي له مقاصد منها التوصل للمال والجاه، وهي من إرادة الدنيا(١).

وبهذا يظهر أنَّ بين إرادة الدنيا بعمل الآخرة وبين الرياء فرقاً، وأنَّ إرادة الدنيا أعم من الرياء، والرياء بعض أفرادها؛ لأنَّ الرياء لا يكون إلاَّ بالرؤية من الناس، أما المال المأخوذ من الغنيمة ونحوه فلا يقال له رياء؛ لأنه قد لا يرى من الغير، والله أعلم(٢).

(١) ينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٣/٣٥٩، وينظر: مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ٢٧٠-٢٧١، والفروق، للقرافي، ٣/٢٢، ومواهب الجليل، للحطاب، ٢/٥٣٣.

(٢) ينظر: الفروق، للقرافي، ٢/٢٣، وتهذيب الفروق، لمحمد المالكي، ٣/٣٧، وترتيب الفروق، للبقوري، ٢/٤٩٣، ومواهب الجليل، للحطاب، ٢/٥٣٣.

المبحث الثالث

أنواع إرادة الدنيا بعمل الآخرة وأثرها على الإخلاص

مضى القول في بيان المراد بإرادة الدنيا بعمل الآخرة، وأنَّ الذمَّ الوارد في الكتاب والسنة ليس للدنيا، وإنما لأفعال بني آدم فيها.

ومن النصوص الواردة بذم إرادة الدنيا بعمل الآخرة ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[١].

وقد لخص ابن الجوزي -رحمه الله- الأقوال الواردة في تفسير الآية في أربعة أقوال هي:

١- أنها عامة في جميع الخلق وهو قول الأكثرين.

٢- أنها في أهل القبلة قاله أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٣- أنها في اليهود والنصارى قاله أنس رضي الله عنه.

٤- أنها في أهل الرياء قاله مجاهد[٢].

والذي يظهر صحة القول الأول، وأنَّ الآية عامة في المؤمن والكافر وقد اختاره عدد من العلماء[٣].

---

(١) (هود ١٥-١٦).

(٢) ينظر: زاد المسير، ٨٤/٤، وينظر: تفسير الطبري، ١٢/١٢، وتفسير القرطبي، ١٧/٩-١٨، وعدة الصابرين، لابن القيم، ٢٦٩-٢٧٥، ولم أر من توسع في تفسير الآية، وفصل القول فيها مثله رحمه الله، وفتح الباري، لابن حجر، ٣١٥/١١، وينظر تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ٤٨/٧.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي، ١٨/٩، وعدة الصابرين، لابن القيم، ٢٧٣، والقول المفيد، لابن عثيمين، ٢٤٨/٢.

وقد فهم بعض الناس أنَّ المراد تخليد من فعل ذلك في النار وعليه فكيف يخلد المؤمن فيها؟.

وقد أجاب ابن القيم -رحمه الله- أن الآية لها حكم نظائرها من آيات الوعيد.

كما أنَّ الإيمان إيمانان:

١- إيمانٌ يمنع من دخول النار وهو الباعث على أن تكون جميع الأعمال لله.

٢- إيمانٌ يمنع من الخلود في النار، كإيمان أصحاب الكبائر ومن معه يسير الرياء ونحو ذلك(١).

فالمؤمن لا يخلد في النار إن دخلها بل مآله إلى الجنة وإن دخل النار كما هو معلوم من مذهب أهل السنة والجماعة.

٢- وقال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ ﴾(٢).

٣- وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾(٣).

قال ابن القيم -رحمه الله- في الآيات السابقة: ((فهذه ثلاثة مواضع من القرآن يشبه بعضها بعضاً))(٤).

٤- وقال عليه الصلاة والسلام: (من غزا في سبيل الله و لم ينو إلاَّ عقالاً فله مانوى)(٥).

---

(١) ينظر: عدة الصابرين، لابن القيم، ٢٧٠-٢٧٤.

(٢) (الإسراء ١٨).

(٣) (الشورى ٢٠).

(٤) عدة الصابرين، ٢٧٣.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٩٢/١٦، برقم [٢٢٥٩١]، والنسائي -واللفظ له-، كتاب الجهاد، باب من غزا في سبيل الله و لم ينو من غزوته إلا عقالاً، ٣٣٢/٦، برقم [٣١٣٨]، والدارمي في سننه، ٢٧٤/٢، برقم [٢٤١٦]. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١١٦/٢، برقم [١٣٣٤].

٥- وقال عليه الصلاة والسلام: (بشر هذه الأمة بالسناء، والرفعة، والنصر، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب)(١).

وغيرها من الأحاديث الواردة في النهي عن إرادة الدنيا بعمل الآخرة، كما أنَّ نصوص النهي عن الشرك الأصغر، والنهي عن الرياء، كلها تنهى عن أن يريد الإنسان بعمله الصالح الدنيا؛ لأنَّ في الكل إرادة لغير الله بالعمل.

وبعد ذكر هذه النصوص يبين للمرء تحريم إرادة الدنيا بالعمل الصالح، ولكن هل كل إرادة للدنيا بالعمل الصالح لها هذا الحكم؟ وما أثر ذلك على الإخلاص؟.

وللجواب عن هذا السؤال لابد من بيان أنواع إرادة الدنيا بالعمل الصالح، وبيان حكم كل نوع، ثم بيان أثر الأنواع المذكورة على الإخلاص.

أنواع إرادة الدنيا بعمل الآخرة:

تنقسم إرادة الدنيا بعمل الآخرة إلى نوعين :

النوع الأول:

ألا تكون له إرادة من عمله الصالح إلا للدنيا وحدها.

النوع الثاني:

أن تكون له إرادتان من عمله الصالح: إرادة للدنيا وإرادةٌ لله، وهي المشوبة.

النوع الأول:

ألاَّ تكون للمرء إرادة من عمله الصالح إلا للدنيا وحدها فإرادته بهذا العمل خالصة للدنيا وحدها، ولا شك في بطلان عمل من كانت هذه إرادته، وانتفاء إخلاصه في هذا العمل، وليس النظر في هذا النوع إنما النظر في العمل المشوب، أمَّا من خلصت نيته وإرادته للدنيا وحدها فلاشك في بطلان عمله، وانتفاء إخلاصه في هذا العمل قولاً

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٤٥٢/١٥، برقم [٢١١٢٠]، وابن حبان في صحيحه، ١٣٢/٢، برقم [٤٠٥]، والشهاب في مسنده، ٢٩٣/١، برقم [٤٨٤]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١١٦/٢، برقم [١٣٣٢].

واحداً لأهل العلم(١).

وأولى الحالات في الاندراج بالنصوص الناهية هي هذه الحالة.

النوع الثاني:

أن تكون للمرء إرادتان من عمله الصالح: إرادة للدنيا، وإرادة لله، وهذا النوع اختلفت آراء العلماء فيه، وتباينت أقوالهم في النظر إليه على الأقوال التالية:

القول الأول:

المنع مطلقاً، ويقصد بالمنع مطلقاً أنهم حرموا الإرادة المشوبة مطلقاً دون النظر لباعث وآخر، فكل عمل مشوب فإنه يبطل، وينتفي الإخلاص فيه.

وممن قال بهذا القول: المحاسبي(٢)، وابن حزم(٣).

وحكاه النووي عن بعض الشافعية و لم يرتضه(٤). والقرطبي رحمه الله(٥)..

وحكي عن العز بن عبدالسلام(٦)، والزركشي(٧).

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٥٠٧/٤، ومختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ٤٦٣، والمفهم، للقرطبي، ٧٤٢/٣-٧٤٣، وإعلام الموقعين، لابن القيم، ١٧٠/٢، وفتح الباري، لابن حجر، ٣١٤/١١، ومنتهى الآمال، للسيوطي، ١٤٥، والقول السديد، للسعدي، ١٠٩.

(٢) ينظر: الرعاية لحقوق الله، ٢٩٠-٢٩٣، و لم يفرق رحمه الله بين الرياء وإرادة الدنيا في إبطالهما للعمل، وحكاه عنه الحطاب في مواهب الجليل، ٥٣٢/٢.

(٣) المحلى، ٧٦/١.

(٤) المجموع، ٣٨٦/١.

(٥) تفسير القرطبي، ١٨/٩، وقد استثنى التجارة مع الحج في موطن آخر، ينظر: المصدر السابق، ٤٠٦/٢.

(٦) شرح زبد ابن رسلان، ٧، وحكاه السيوطي عن العز في الأشباه والنظائر، ٢٢/١.

(٧) هو: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، (٧٤٥-٧٩٤هـ) بدر الدين، عالم من فقهاء الشافعية، له علم بالأصول وغيرها من الفنون، تركي الأصل مصري المولد والوفاة، له مصنفات كثيرة في عدة فنون، منها: الإصابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، والبحر المحيط، والمنثور، وغيرها.
ينظر: شذرات الذهب، لابن العماد، ٥٧٢/٨-٥٧٣، تحقيق/ محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الأولى، ١٤١٣هـ، والأعلام، للزركلي ٦٠/٦-٦١، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة، ١٢١/٩-١٢٢.

كما حكاه القرطبي عن الفقراء - الصوفية-[1].

أدلة أصحاب هذا القول:

١- كل النصوص الآمرة بالإخلاص، وسبق بعضها في حكم الإخلاص.

٢- وكل النصوص الناهية عن الشرك وسبق بعضها في حكم الشرك الأصغر.

٣- وكل النصوص التي نهت عن إرادة الدنيا بعمل الآخرة، وسبقت أول المبحث.

وجه استدلالهم:

أنَّ النصوص الآمرة بالإخلاص قد نهت عن ما يكدره وما يشوبه، كما أن النصوص الناهية عن الشرك الأصغر، والنصوص التي نهت عن إرادة الإنسان بعمله الصالح الدنيا لم تفرق بين من خلصت نيته للدنيا وبين المشوب، وصاحب العمل المشوب لم يأت بالإخلاص الذي أمر به كما أمر به[2].

القول الثاني:

الجواز مطلقاً، بمعنى أنه يجوز التشريك بين إرادة الدنيا وإرادة الله بالعمل الصالح مطلقاً، دون تفريق بين باعث وآخر، بل يجوز التشريك بجميع وجوهه.

قال القرافي -رحمه الله-: ((وأمَّا مطلق التشريك كمن جاهد ليحصل طاعة الله بالجهاد وليحصل المال، فهذا لا يضره، ولا يحرم عليه بالإجماع... وكذلك من شرك في حجه غرض المتجر، بأن يكون جل مقصوده أو كله السفر للتجارة خاصة، ويكون الحج إمَّا مقصوداً مع ذلك، أو غير مقصود ويقع تابعاً اتفاقاً فهذا أيضاً لا يقدح في صحة الحج ولا يوجب إثماً ولا معصية...))[3].

قال الحطاب -رحمه الله- معلقاً على قول القرافي السابق: ((وظاهر كلامه أنَّ

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي، ٤٠٦/٢.

(٢) ينظر: المصادر السابقة التي أبانت أقوال أهل العلم.

(٣) الفروق، ٢٢/٣-٢٣، وينظر: ترتيب الفروق واختصارها، للبقوري، ٤٩١/٢-٤٩٤، وتهذيب الفروق، لمحمد المالكي، ٣٦/٣-٣٧.

التشريك بجميع وجوهه لا يحرم وليس كذلك))[١].

والقرافي ومن تبعه يرون أن الأجر ينقص بقدر نية قصد الدنيا بالعمل لكن لا يحرم ذلك، ولكن ليس أجر من خلصت نيته كأجر من شرَّك[٢].

أدلتهم:

١- الإجماع على جواز قصد المغنم مع الغزو، والتجارة مع الحج، ويقاس غيرها عليهما.

٢- أنَّ هذه النية ليست رياءً فتحرم مثله، وقد سبق الفرق بينهما.

٣- وقوله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[٣].

وجه استدلالهم بالأدلة السابقة:

الذي يظهر -والله أعلم- أنَّ وجه استدلالهم بما سبق ذكره من الأدلة، أنَّ النصوص التي أجازت التشريك لم تفرق بين باعث وآخر مما يدل على جواز التشريك مطلقاً.

القول الثالث:

التحريم وبالنسبة لإبطال العمل من عدمه ينظر للباعث، - ولم يفرقوا في الحكم بين الرياء وبين حظوظ النفس الأخرى كإرادة الدنيا بعمل الآخرة[٤] - ولا يخلو الباعث عندهم من الأحوال التالية:

١- أن يغلب باعث الدين فله من الأجر بقدر ما غلب.

٢- أن يتساوى الباعثان فهنا يتقاومان لا له ولا عليه.

---

(١) مواهب الجليل، ٥٣٣/٢.

(٢) ينظر: الفروق، للقرافي، ٢٣/٣، وترتيب الفروق، للبقوري، ٤٩٤/٢، وتهذيب الفروق، لمحمد المالكي ٣٧/٣.

(٣) سبق تخريجه صـ ٢٠٥ ، في مبحث ما يتوهم أنه ليس بإخلاص من العمل.

(٤)ينظر إحياء علوم الدين، ٥٠٧/٤-٥٠٩ ، والمصادر التالي ذكرها لأصحاب هذا القول.

٣- أن يغلب باعث الدنيا فعليه من الإثم بحسب ما غلب.

وممن قال بهذا القول: الغزالي[١]، وابن قدامة المقدسي[٢]، والقرطبي[٣]، والحطاب[٤]، والسيوطي[٥]، والصنعاني إلا أنَّ المفهوم من كلامه أنَّ طالب المغنم مع الغزو إذا تساوى القصدان: قصدا الإعلاء لكلمة الله وقصد المغنم لا يضره ذلك بل يكون له أجر[٦].

أدلة هذا القول:

١- هي جميع الأدلة التي ذكرت في القول الثاني في حكم الرياء المشوب في الصورة الأولى.

٢- جميع الأدلة التي تجيز الحج والتجارة، والغزو مع قصد المغنم وسيأتي ذكرها في موطنها[٧].

القوال الرابع:

عدم التحريم، والأجر يكون بالحصة.

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: ((التاجر والمستأجر والمكاري، أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزاتهم، ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره))[٨].

وهو المفهوم من كلام ابن رجب -رحمه الله-[٩].

ويبدو -والله أعلم- أن هذا القول يوافق القول الثاني؛ لأنَّ الجميع أجازوا،

(١) ينظر المصدر السابق، ٤/٥٠٧-٥٠٩.

(٢) ينظر: مختصر منهاج القاصدين، ٤٦٣.

(٣) ينظر: المفهم، ٣/٧٤٢-٧٤٣.

(٤) مواهب الجليل، ٢/٥٣٢.

(٥) منتهى الآمال، ١٤٥.

(٦) ينظر: سبل السلام، ٧/٢٤٧.

(٧) ينظر صـ ٣٧٤-٣٧٥، ٣٧٧ من هذا البحث.

(٨) جامع العلوم والحكم، ١/٤٩.

(٩) ينظر: جامع العلوم والحكم، ١/٤٩-٥٠.

وأصحاب هذا القول قالوا الأجر بالحصة وبقدر ما خلصت النية، أما أصحاب القول الثاني فلم يساووا بين من خلصت نيته وبين من شَرَّك لكنهم أيضاً أجازوا ذلك.

أدلة هذا القول:

١- هي أدلة القول السابق.

٢- وحملوا النهي الوارد في النصوص التي منعت أن يريد الإنسان الدنيا بعمله الصالح على من خلصت نيته لإرادة الدنيا وحدها، أمَّا من شرَّك فلا يدخل في النصوص التي نهت عن ذلك[1].

القول الخامس:

النظر للباعث على العمل وبغلبة الباعث يكون التحريم من عدمه وهذا المفهوم من كلام الشيخ السعدي -رحمه الله- حيث قال: ((وأمَّا العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها: فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا القصد، و لم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة فهذا ليس له في الآخر نصيب.

وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فإنَّ المؤمن ولو كان ضعيف الإيمان لابد أن يريد الله والدار الآخرة.

وأمَّا من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا، والقصدان متساويان أو متقاربان فهذا وإن كان مؤمناً فإنَّه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص.

وأمَّا من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصاً تاماً ولكنه يأخذ على عمله جعلاً معلوماً يستعين به على العمل والدين كالجعالات التي تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذي يترتب على جهاده غنيمة أو رزق،... فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له

(١) المصدر السابق، ٤٩/١.

معيناً له على قيام الدين))(١).

وهذا القول قريب من القول الثالث إلاَّ أنه لم يحكم إلا بعد النظر للباعث، كما أنه في حالة تساوي القصدين حكم بفقدان كمال إخلاصه، وعليه فهو آثمٌ بذلك، أمَّا أصحاب القول الثالث فقالوا عند التساوي لا يكون لا له ولا عليه، كما أنَّ الشيخ السعدي عند غلبة باعث الدين يرى أنَّ له الأجر الكامل ولا يتأثر إخلاصه وأجره؛ ولذا قال: ((فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد))،أمَّا أصحاب القول الثالث فقالوا بالأجر بقدر ما غلب الباعث، والله أعلم.

وهذه محاولة من الشيخ للجمع بين النصوص المتعارضة -رحمه الله تعالى.

القول السادس:

التفصيل بين ما كان العمل من بدايته لله ثمَّ طرأت إرادة الدنيا عليه في أثنائه، وبين ما بُدِئ به لغير الله.

قال ابن حجر -رحمه الله-: ((فقد نقل أبو جعفر بن جرير الطبري عن جمهور السلف أنَّ الاعتبار بالابتداء، فإن كان ابتداؤه لله خالصاً لم يضره ما عرض له بعد ذلك من إعجاب وغيره))(٢).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: ((... أحدها: أن يكون الباعث الأول على العمل هو الإخلاص ثمَّ يعرض له الرياء وإرادة غير الله في أثنائه فهذا المعول على الباعث الأول ما لم يفسخه بإرادة جازمة لغير الله فيكون حكمه: حكم قطع النية في أثناء العبادة وفسخها))(٣).

وحكاه الشوكاني عن أبي جمرة وارتضاه(٤). وهو اختيار الشيخ سليمان بن عبدالله

(١) القول السديد، ١١٠.

(٢) فتح الباري، ١/٢٣-٢٤.

(٣) إعلام الموقعين، ٢/١٧٠.

(٤) نيل الأوطار، ٧/٢٢٧.

آل الشيخ رحمه الله[1].

وقولهم هنا شبيه بقولهم في الرياء الطارئ على العمل المبدؤ بإخلاص والأدلة لهما واحدة، وزاد الشوكاني هنا دليلاً، حيث استدلَّ بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلاَّ تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تمَّ لهم أجرهم)[2].

قال الشوكاني -رحمه الله- في استدلاله بهذا الحديث: ((فليس فيه ما يدل على جواز قصد غير الغزو في سبيل الله لأنَّ الغنيمة إنما حصلت بعد أن كان الغزو في سبيل الله و لم يحصل في الابتداء))[3].

القول السابع:

النظر للتابع هل يقتضي تأكيد المقصد الشرعي أم لا؟ وبناءً عليه يكون الحكم.

قال الشاطبي -رحمه الله-: ((فالحاصل لمن اعتبر أنَّ ما كان من التوابع مقوياً ومعيناً على أصل العبادة، وغير قادح في الإخلاص؛ فهو المقصود التبعي السائغ، وما لا فلا، وأنَّ المقاصد التابعة للمقاصد الأصلية على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يقتضي تأكيد المقاصد الأصلية، وربطها والوثوق بها وحصول الرغبة فيها، فلا إشكال أنه مقصود للشارع فالقصد إلى التسبب إليه بالسبب المشروع موافق لقصد الشارع فيصح.

والثاني: ما يقتضي زوالها عيناً، [فلا إشكال أيضاً في أنَّ القصد إليها مخالف لمقصد الشارع عيناً]، فلا يصح التسبب بإطلاق.

---

(١) ينظر: تيسير العزيز الحميد، ٥٣٠.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الأمارة، باب بيان قدر ثواب من غزا فغنم ومن لم يغنم، ٧/٥٩-٦٠، برقم [١٩٠٦].

(٣) نيل الأوطار، ٧/٢٢٧.

والثالث: ما لا يقتضي تأكيداً ولا ربطاً، ولكنه لا يقتضي رفع المقاصد الأصلية عيناً فيصح في العادات دون العبادات...))[١].

ومن كلامه -رحمه الله- يظهر أنه لا يجوز أن يكون العمل الصالح مقصوداً به الدنيا إلاَّ بشروط:

١- أن يكون قصد الدنيا بالعمل تابعاً.

٢- أن يكون مقوياً ومعيناً على المقصد الأصلي من العبادة.

٣- أن يكون العمل على وفقه غير قادح في الإخلاص.

٤- أن يكون التابع مشروعاً.

قال الدكتور محمد اليوبي: ((ولم أر من تطرق إلى هذه القاعدة الكلية بالحكم غير الشاطبي، وإن تطرقوا إلى جزئياتها وذكروا الأحكام المتعلقة بها والمناسبة لها.

فيحتمل أن يكونوا بنوا حكمهم على هذه القاعدة، ويحتمل أن يكونوا نظروا إلى عدم الإخلاص في العبادة بغض النظر عن التأكيد وعدمه))[٢].

وساق الشاطبي أدلة ما ذهب إليه في أماكن متفرقة أسوق بعضها مضيفاً إليها بعض ما يوافقها، فمن هذه الأدلة:

١- قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[٣].

٢- وقال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾[٤].

---

(١) الموافقات، ٣/١٥٤-١٥٥.

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، د/ محمد سعيد اليوبي، ٣٧٤، دار الهجرة، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.

(٣) (البقرة ١٩٨)

(٤) (نوح ١٠-١٢).

٣- وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[١].

٤- وقال صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[٢].

٥- وقال صلى الله عليه وسلم: (إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه)[٣].

٦- وكل النصوص التي أباحت قصد المغنم مع الغزو وستأتي في موطنها بحول الله[٤].

٧- وكل النصوص التي أباحت الحج والتجارة وستأتي في موطنها بحول الله[٥].

ووجه الاستدلال بالأدلة السابقة:

أن الأدلة المذكورة قد أباحت أن يقصد العبد بعمله الصالح الدنيا على سبيل التبع؛ لأنّ هذه المقاصد مقوية للمقصد الشرعي منها، ولا تنفي أو تقدح في الإخلاص.

الترجيح:

بالنظر في النصوص الشرعية السابقة نرى أنها سلكت عدة مسالك:

١- نصوص نهت عن إرادة الدنيا بعمل الآخرة.

٢- ونصوص أباحت إرادة الدنيا بعمل الآخرة.

٣- ونصوص نهت عن الشرك كما في الشرك الأصغر والرياء.

ولكن هل كان النهي عن إرادة الدنيا بعمل الآخرة مقصودا به العمل المشوب أم ما خلص للدنيا؟.

من أقوال العلماء السابقة يتضح أنّ هناك قولين في المسألة:

---

(١) (البقرة ٤٥).

(٢) سبق تخريجه صـ ٢٠٥ ، في مبحث الأعمال التي يتوهم كونها ليست إخلاص.

(٣) سبق تخريجه في صـ ٢٠٦ ، في مبحث الأعمال التي يتوهم كونها ليست إخلاص.

(٤) ينظر صـ ٣٧٧ .

(٥) ينظر صـ ٣٧٤-٣٧٥ ، وينظر الموافقات، للشاطبي، ٢/٣٥٧-٣٧٣، حيث ساق أغلب الأدلة هناك.

القول الأول:

قالوا: إنّ النهي متوجه للخالص أي: ما خلص للدنيا، وهذا رأي القرافي وابن رجب كما سبق ومن العلماء من وافقهم (أصحاب القول الثاني والرابع).

القول الثاني:

قالوا إن النهي متوجه للعمل المشوب، وبه قال الغزالي وابن قدامة والسيوطي ومن تبعهم (أصحاب الأقوال الأخر).

والظاهر -والله أعلم- صحة القول الثاني؛ لأنّ النصوص التي نهت عن الشرك -كما في النصوص الناهية عن الشرك الأصغر- أفادت أنّ النهي متوجه للعمل المشوب؛ لأنّ الشرك لا يطلق على ما خلص بل على ما كان فيه مشاركة، وسبق تقرير هذا المعنى.

ويؤيد الكلام السابق حديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال: (أنّ رجلاً قال: يا رسول الله رجلٌ يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا أجر له، فأعظم ذلك الناس، وقالوا للرجل: عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلك لم تفهمه، فقال: يا رسول الله رجلٌ يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا؟ قال: لا أجر له، فقالوا للرجل: عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له الثالثة، فقال له: لا أجر له)(١).

وأفاد الحديث -والله أعلم- أن الرجل كان له من غزوه قصدان، القصد الأول: الجهاد في سبيل الله؛ ولذا قال: ((رجلٌ يريد الجهاد في سبيل الله))، والقصد الثاني: إرادة للدنيا؛ ولذا قال: ((وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا)) وتأمل قوله ((وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا)) تلاحظ أنّ هذا القصد ليس مفرداً بل مضافاً لإرادة الجهاد في سبيل الله، مما يفيد أنّ النهي متوجهٌ للعمل المشوب.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب فيمن يغزو ويلتمس الدنيا، ١٣٨/٧، برقم [٢٥١٣] وحسن الحديث لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١١٤/٢، برقم [١٣٢٩].

ولكن جاءت نصوص قد أباحت هذا القصد -كما سبق في القول السابع في الأدلة التي أوردها الشاطبي ومن وافقه- وللجمع بين النصوص المبيحة والناهية، فإنَّ النصوص المبيحة تحمل على جواز قصد الدنيا بالعمل الصالح لكن يكون قصدها تابعاً ومقوياً للمقصد الشرعي من العبادة، أما عند التساوي بين القصدين أو غلبة قصد إرادة الدنيا فإنَّ العمل يبطل، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والصحابة فهموا ذلك وكانوا يقصدون المغنم في غزوهم مع علمهم بالنهي مما يدل على أنَّ قصدهم للمغنم إنما كان تابعاً لا مستقلاً، ولا مساوياً، ولا غالباً ومن النصوص التي تؤكد فهمهم لذلك: حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (أن عبد الله بن جحش قال يوم أحد: ألا نأتي ندعو الله، فخلوا في ناحية فدعا سعد، قال: يا رب إذا لقينا القوم غداً فلقني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، فأقاتله فيك، ويقاتلني، ثم ارزقني عليه الظفر حتى أقتله وآخذ سلبه...)(١).

وتأمل قوله: ((فأقاتله فيك)) تجد أن قصده من القتال هو وجه الله، ثم تأمل قوله ((ثم ارزقني عليه الظفر حتى اقتله وآخذ سلبه)) تجد أنَّ له قصداً في المغنم لكنه قصدٌ تابع؛ ولذا قال: ((فأقاتله فيك)).

اعتراض:

قد يعترض معترض فيقول: لم يكن قصد الصحابة، ولا النصوص الشرعية المجيزة للمغنم: جواز قصد المغنم وجواز طلبه طلباً تابعاً، لكنَّ قصدها إغاظة الكافرين بأخذ أموالهم وإغاظة الكافرين: عبادة، وطلب العبادة بالعبادة جائز، بخلاف طلب المغنم بالعبادة.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ٥١٢/٦، برقم [١٢٧٦٩]، قال الحافظ ابن حجر عنه "إسناده صحيح" ينظر: فتح الباري، ٢٩٧/٦.

والجواب:

لو كان الاعتراض صحيحاً لبينته النصوص ولأوضحت الفرق، لكنها جاءت مبيحة لقصد المغنم، ومن ذلك ما رواه أبو قتادة -رضي الله عنه- حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه)(١).

ولو كان هناك فرقٌ بين قصد المغنم، وبين قصد إغاظة العدو لبينه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

وهذا الذي ذكرته هو رأي الشاطبي -رحمه الله- وقريبٌ منه قول السعدي -رحمه الله- وهو القول الخامس إلا أنَّ الشاطبي كان قوله أشمل وتفصيله أدق، وقريبٌ منهما القول الثالث لكن فارقهما في حالة تساوي القصدين فظاهر عبارة الشاطبي والسعدي أنه آثم، أما الغزالي ومن وافقه من أصحاب القول الثالث فلا يرون إثمه بل يخرج لا له ولا عليه، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق يظهر صحة قول الشاطبي والسعدي -رحم الله الجميع-، ويظهر أنه اختيار شيخ الإسلام -رحمه الله-(٢).

أما بقية الأقوال فستناقش كالتالي:

القول الأول:

وهم الذين منعوا مطلقاً، ولم يفرقوا بين باعث وآخر، فهذا القول ترده النصوص المجيزة كالنصوص التي أورها الشاطبي في القول السابع، وحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وحديث أبي قتادة رضي الله عنه.

القول الثاني:

الذين أجازوا مطلقاً، ولم يفرقوا بين باعث وآخر فالنصوص الناهية عن الشرك ترده، وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي سبق ذكره.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب من لم يُخمس الأسلاب، ٦/٢٩٦، برقم [٣١٤٢].

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، ٢٦/١٩-٢٠.

القول الرابع:

الذين أجازوا، وقالوا إنَّ الأجر بالحصة، فهذا أيضاً ترده النصوص الناهية عن الشرك ، وكذلك حديث أبي هريرة السابق ذكره.

القول السادس:

من فرق بين أن يكون الباعث من أول العمل إرادة الدنيا، وبين أن يكون إرادة الدنيا طرأت على العمل في أثنائه.

فقولهم مردود بما يلي:

أولاً: أنَّ إرادة الدنيا الطارئة قد تكون غالبة فهذا حديث أبي هريرة يبين بطلان عمله.

ثانياً: أنَّ النصوص المجيزة لطلب المغنم وغيره لم تفرق بين أن تكون إرادة الدنيا طارئة على العمل من أوله أو في أثنائه كحديث أبي قتادة رضي الله عنه: (من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه)[١].

ثالثاً: ما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم يخالف ما ذكروه، كحديث سعد بن أبي وقاص، فقد طلب أن يرزقه في الغد رجلاً شديداً فيقتله ويأخذ سلبه، فقد كانت نيته قبل العمل ومن بدايته لا في أثنائه، مما يبين عدم صحة القول السادس، والله أعلم.

ومما سبق يتضح أثر إرادة الدنيا بعمل الآخرة على الإخلاص على النحو التالي:

أ - أن تكون إرادة الدنيا بالعمل الصالح تابعة ومقوية للمقصد الشرعي من العبادة، ولا تقدح في الإخلاص -كالرياء- فإنَّها تجوز، ولا ينتفي إخلاص صاحبها، أمَّا بالنسبة للأجر فإن أجر صاحبها لا يكون كأجر من خلصت نيته لله، وسيأتي بيانه بحول الله.

ب- أن تكون إرادة الدنيا بعمل الآخرة مساوية أو غالبة لإرادة الآخرة فإنَّ العمل يبطل

(١) سبق تخريجه آنفاً.

وينتفي الإخلاص في هذا العمل، وصاحب العمل آثمٌ بهذه النية. والله أعلم.

جـ- أن تكون إرادة الدنيا بعمل الآخرة خالصةً للدنيا، فإنَّ العمل يبطل وينتفي الإخلاص في هذا العمل، قولاً واحداً لأهل العلم .

مسألة:

هل أجر من خلصت نيته لله كأجر من كان له قصد للدنيا بالعمل الصالح لكنَّ هذا القصد تابع ومقوٍ للمقصد الشرعي من العبادة، وغير قادح في الإخلاص؟.

الظاهر من النصوص الشرعية أنَّه ليس أجر من خلصت نيته، كأجر من كان له قصد للدنيا تابع؛ ولذا فقد جعل الشارع أجر من حصلت له الغنيمة أقل من أجر من لم يغنم، فمن باب أولى من لم يكن له مقصدٌ آخر إلا الله.

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة، إلاَّ تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تمَّ لهم أجرهم)[(١)].

قال النووي -رحمه الله-: ((وأما معنى الحديث: فالصواب الذي لا يجوز غيره، أنَّ الغزاة إذا سلموا أو غنموا يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم، أو سلم و لم يغنم، وأنَّ الغنيمة هي في مقابلة جزء من أجر غزوهم، فإذا حصلت لهم فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترتب على الغزو، وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر، وهذا موافق للأحاديث الصحيحة المشهورة عن الصحابة...))[(٢)].

وأيضاً فحديث (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امريءٍ ما نوى...)[(٣)] يشهد لما ذكر آنفاً فمن كانت نيته خالصة فله ما نوى ومن كانت نيته غير خالصة بل تابعة فله ما نوى، والفرق بين النيتين يثبت الفرق في الأجر، والله أعلم.

---

(١) سبق تخريجه في هذا المبحث ضمن القول السادس.

(٢) شرح النووي على مسلم، ٧/٦٠.

(٣) سبق تخريجه ص١٦٣، في مبحث ما يتوهم كونه إخلاص.

قال القرطبي -رحمه الله- معلقاً على حديث (ما من غازية...): ((ويحمل الثاني على ما إذا نوى الجهاد ولكن مع نيل المغنم))[١].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: ((وأما الاعتراض بحل الغنائم فغير وارد؛ إذ لا يلزم من الحل ثبوت وفاء الأجر لكل غاز))[٢].

وقال البهوتي -رحمه الله-: ((والثواب بحسب الإخلاص في العمل لقوله صلى الله عليه وسلم: "وإنما لكل امرئ ما نوى"))[٣].

تنبيهات:

١- الأحكام التي ورد نسبتها لبعض العلماء، بعضها كانت أحكاما لهم في مسائل، ومنهم من أورد المسألة كمثال فيفهم منه أن قوله في بقية المسائل المشابهة مثل القول في هذه المسألة.

٢- قد يكون هناك استثناءٌ لبعض أهل العلم فالحكم للمستثنى منه لا للمستثنى، وقد يكون قد تراجع بعض العلماء عن قولهم في المسألة لم يطلع عليه الباحث؛ لذا فلم يدون الباحث إلاَّ ما اطلع عليه.

٣- بعض العلماء خلط في الاستدلال فيستدل على إرادة الدنيا بالعمل الصالح بعبادة أخرى، وعند النظر يتضح أنها إرادة عبادة بعبادة كالصوم طلباً للعفة وهذا أمرٌ جائز لا حرج فيه، وقد دونته في ما يتوهم أنه ليس بإخلاص من الأعمال مع كونه إخلاص وقد نقلت استدلالهم به كما استدلوا به أمَّا في الترجيح فقد حاولت ألا استدل إلا بما يصح به الاستدلال على المراد كطلب الغنيمة مع الغزو فهذا لاشك أنه من إرادة الدنيا بالعمل الصالح وسبق الكلام عليه، وقد نبه على ما ذكرته الحافظ ابن حجر -رحمه الله- حيث اعترض على القرافي -رحمه الله- في استدلاله،

---

(١) تفسير القرطبي، ٢٧٩/٥.

(٢) فتح الباري، ١٣/٦.

(٣) كشاف القناع، ٣٩٦/٢، وينظر: الفروع، لابن مفلح، ٤٤١/١.

فقال: ((واستنبط القرافي من قوله ((فإنه له وجاء)) أنَّ التشريك في العبادة لا يقدح فيها بخلاف الرياء؛ لأنه أمر بالصوم الذي هو قربة وهو بهذا القصد صحيح مثاب عليه، ومع ذلك فأرشد إليه لتحصيل غض البصر، وكف الفرج عن الوقوع في المحرم، اهـ.

فإن أراد تشريك عبادة بعبادة أخرى فهو كذلك وليس محل النزاع، وإن أراد تشريك العبادة بأمرٍ مباح فليس في الحديث ما يساعده)) [(١)].

٤- الأعمال الصالحة التي يعملها العبد ويستحضر فيها ثواب الدنيا على قسمين :

القسم الأول :

أن يكون العمل مما لم يلفت الشرع فيه نظر المكلف إلى أن يقصد به الدنيا مطلقاً كالصلاة والصيام ونحوهما، فهذا القسم لا يجوز أن يقصد المكلف به الدنيا مطلقا.

القسم الثاني :

أن يكون العمل مما لفت الشرع فيه نظر المكلف إلى أن يقصد به ثواب الدنيا كصلة الرحم، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله، ونحو ذلك، فهذا القسم يجوز للمكلف أن يعمله مع استحضاره لثواب الدنيا فيه على أن يكون المقصد الأصلي والباعث على العمل هو إرادة الله والدار الآخرة والقصد للدنيا يكون قصداً تابعاً لهذا المقصد، وقد سبق تفصيل القول في هذه المسألة .

كما ينبغي التنبيه إلى أنَّ هناك أمورا مشتبهة بين القسمين يجري النظر فيها لتلحق بأحد القسمين، والله تعالى أعلم .

---

(١) فتح الباري، ١٤١/٩.

المبحث الرابع

حكم الحج طلباً للتجارة، والغزو للمغنم، وأثرهما على الإخلاص

هذه المسألة فرعٌ عن المسألة السابقة، وصورةٌ من صورها الكثيرة، والخلاف الذي كان في المبحث السابق كان في هذا المبحث؛ لأنها فرعٌ عن المسألة السابقة، وكان جل استدلال العلماء في المبحث السابق بأدلة هذا المبحث.

ولم يعقد هذا المبحث لبيان الخلاف في مسألتيه؛ لأنَّ الخلاف قد مضى ذكره، وإنما عقد لبيان تطبيق المسألة السابقة على أحد فروعها بما وقع عليه الاختيار والترجيح، وهذا المبحث فيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم الحج للتجارة، وأثره على الإخلاص:

دلت النصوص الشرعية على جواز أن يحج الإنسان ويطلب التجارة مع حجه، ومن هذه النصوص:

١- قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾[1].

والمفسرون على أنَّ الآية في التجارة مع الحج كما دلَّ على ذلك سبب نزولها[2].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: ((ولا خلاف بين العلماء في أنَّ

---

(١) (البقرة ١٩٨)

(٢) ينظر: تفسير القرطبي، ٤٠٦/٢، وتفسير ابن كثير، ٢٥٧/١، وفتح القدير، للشوكاني، ٢٠٣/١، وأضواء البيان، للشنقيطي، ١١٤/١.

المراد بالفضل المذكور في الآية ربح التجارة))[١].

وسبب نزولها ما ذكره ابن عباس -رضي الله عنهما- حيث قال: ((كانت عكاظ، ومجنّة، وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في المواسم، فنزلت: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[٢]. في مواسم الحج))[٣].

٢- وقد حكى الإجماع على جواز الحج والتجارة عددٌ من أهل العلم[٤].

فهذه الأدلة دلت على جواز الحج والتجارة معه، لكن للقول بالجواز شروط، وهي:

١- أن يكون الحج هو المحرك الأصلي.

٢- أن يكون عرض التجارة كالتابع المعين المقوي[٥].

ودلت على هذه الشروط الأدلة التي ذكرت في المبحث السابق -وسبق القول أنَّ هذه المسألة أحد فروعها- وعليه فإنَّ الحج مع التجارة يظهر أثره على الإخلاص بحسب قصد المرء ونيته على التفصيل الآتي:

قصد التجارة مع الحج لا يخلو من حالين:

الحالة الأولى:

ألا يكون مراداً بالحج إلا التجارة فتخلص نيته للتجارة وحدها بمعنى: أنه لا يريد من حجه إلا الدنيا.

---

(١) أضواء البيان، ١/١١٤.

(٢) (البقرة ١٩٨)

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، ٨/٢٣٤، برقم [٤٥١٩].

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٤/٥٠٨، ومختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ٤٦٤، ومنتهى الآمال، للسيوطي، ١٤٧.

(٥) ينظر: المصادر السابقة.

وحكم الحج هنا هو البطلان، وينتفي الإخلاص في هذا العمل قولاً واحداً لأهل العلم[١].

الحالة الثانية:

أن تكون نيته مشوبة فيقصد الحج والتجارة ولا تخلو هذه الحالة من الصور التالية:

أولاً: أن يكون قصد التجارة تابعاً ومقوياً للحج، والمقصد الأصلي هو الحج، ففي هذه الصورة لا يتأثر الإخلاص ولا يقدح فيه أو في صحة الحج هذا القصد، لكنَّ أجر من كانت نيته خالصةً أعظم أجراً ممن كانت نيته مشوبةً، كما في هذه الصورة[٢].

ثانياً: أن يكون قصد الحج مساوياً لقصد التجارة أو يكون قصد التجارة غالباً على الحج فعلى القول المختار في المبحث السابق، فإنَّ حج من كانت هذه نيته باطل، وينتفي إخلاصه في هذا العمل؛ لأنَّ هذه النية تقدح في الإخلاص وتبطله كما سبق بيانه.

لكنَّ أثم من غلبت نية التجارة على قصد الحج، أعظم ممن تساوى القصدان عنده، فكما أنَّ الأجور تتفاضل فكذلك الآثام، والله أعلم.

المطلب الثاني: حكم الغزو طلباً للمغنم، وأثره على الإخلاص:

وهذه المسألة كسابقتها من فروع المبحث السابق لهما، وما جرى من الخلاف في المبحث السابق جرى في هذه المسألة.

وقد دلت النصوص الشرعية على جواز طلب المغنم مع الغزو في سبيل الله، ومن النصوص الدالة على ذلك ما يلي:

---

(١) ينظر: صـ ٣٥٧-٣٥٨ ، في حكم من خلصت نيته للدنيا، والمصادر المذكورة هناك هي مصادر هذه المسألة.

(٢) ينظر: المصادر السابقة، وسبق القول في بيان فضل أجر من خلصت نيته على من لم تخلص نيته في المبحث السابق.

١- قال تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾[1].

٢- وقال عليه الصلاة والسلام: (من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه)[2].

٣- وقال عليه الصلاة والسلام: (ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلاّ تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تمَّ لهم أجرهم)[3].

هذه النصوص وما في معناها أصلٌ في جواز طلب المغنم مع الغزو في سبيل الله.

وهناك نصوصٌ عارضت هذا الحكم، كما في الأحاديث الناهية عن إرادة الدنيا بعمل الآخرة -ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه في المبحث السابق- والأحاديث الناهية عن الشرك الأصغر.

ومضى القول في بيان مذاهب العلماء في الجمع بين هذه النصوص في المبحث السابق.

وعلى القول الراجح فإنه يجوز طلب المغنم مع الغزو في سبيل الله، لكن بشروط، وهي:

١- أن يكون المقصد الأصلي هو إعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله.

٢- أن يكون طلب المغنم تابعاً ومقوياً للمقصد الأصلي وهو إعلاء كلمة الله، والمزعج والمحرك الأصلي هو الجهاد في سبيل الله[4].

ومن السابق يتضح أثر طلب المغنم مع الغزو في سبيل الله على الإخلاص كما في التفصيل الآتي وعلى القول المختار:

---

(١) (الفتح ٢٠).

(٢) سبق تخريجه في المبحث السابق، صـ ٣٦٩ .

(٣) سبق تخريجه في المبحث السابق. صـ ٣٦٤ .

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٥٠٨/٤، ومختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي، ٤٦٤، ومنتهى الآمال، للسيوطي، ١٤٧.

لا يخلو طالب المغنم في غزوه من حالين:

الحالة الأولى:

أن يكون قصده من الغزو هو المغنم وحده فتكون نيته خالصةً للمغنم فحسب، بمعنى: أنه لا يريد من غزوه إلا الدنيا.

وحكم هذه الحالة أن العمل يبطل، وينتفي إخلاص صاحب هذه الحالة في هذا العمل، ويأثم بهذه النية، دون خلاف[1].

الحالة الثانية:

أن يكون العمل مشوباً، بمعنى أنَّه لم تخلص نيته للدنيا و لم تخلص لإعلاء كلمة الله، فهذه تحتها صور:

الأولى: أن يكون المقصد الأصلي هو إعلاء كلمة الله وطلب المغنم تابعاً ومقوياً لهذا المقصد، ففي هذه الصورة لا يبطل العمل، ولا يتأثر الإخلاص؛ لأنَّ هذه النية لا تقدح في الإخلاص كما سبق بيانه في المبحث السابق لكن أجر من خلصت نيته أعظم من أجر من لم تخلص، وسبق بيانه.

الثانية: أن يكون قصد المغنم مساوياً أو غالباً على قصد الغزو في سبيل الله وإعلاء كلمته فهنا يبطل العمل وينتفي الإخلاص فيه على القول المختار لكن إثم من غلب قصد المغنم عليه أعظم من إثم من تساوى القصدان عنده، فكما أنَّ الأجور تتفاضل فكذلك الآثام، والله أعلم.

---

(١) ينظر: المبحث السابق، صـ ٣٥٧- ٣٥٨، في حكم من خلصت نيته لإرادة الدنيا وحدها والمصادر هناك هي المصادر هنا.

المبحث الخامس

طلب العلم للشهادة، أو الوظيفة، أو حظوظ الدنيا، وأثره على الإخلاص

جاءت النصوص الشرعية مرغبة في طلب العلم الشرعي؛ لأنَّ عبادة الله لا تستقيم دون علم، فمَنْ عبد الله على غير علم وقع في البدع، وأثنت النصوص على العالم والمتعلم ترغيباً في هذا العمل النافع ومن هذه النصوص:

١- قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ﴾(١).

٢- وقال صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)(٢).

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (... ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة...)(٣).

فهذه بعض النصوص: المرغبة في طلب العلم، والحاثة على طلبه، ومعلومٌ أنَّ طلب العلم عبادة من العبادات، وكل عبادة فإنَّ الإخلاص شرط فيها -كما سبق بيانه- وفي العصر الحاضر جدت حادثة لا يكاد يخلو مسلمٌ منها، وهي طلب العلم الشرعي في دور العلم المختلفة، ويعطى الطالب عليها شهادات، بها يستحق العمل والوظيفة في المرافق المختلفة، وبدونها قد لا يجد المسلم عملاً يناسبه، وتنافس المسلمون في تحصيل هذه الشهادات لأغراض مختلفة، وجملة هذه المقاصد:

---

(١) (فاطر ٢٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ٢١٦/١، رقم [٧١]، وأخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ١٣٧/٤، برقم [١٠٣٧].

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ٢٦/٩، برقم [٢٦٩٩].

١- أن يكون طلبه لله.

٢- أن يكون طلبه للعلم وتحصيل الشهادة: للرياء والسمعة فحكمه كحكمها كما سبق بيانه.

٣- أن يكون طلبه لحظوظ الدنيا، وعقد هذا المبحث لبيان هذا المقصد .

حكم إرادة الدنيا بطلب العلم :

كما جاءت النصوص الشرعية مرغبةً في طلب العلم وابتغاء مرضات الله بطلبه، كذلك جاءت محذرةً من طلب العلم لغير الله، ومن هذه النصوص:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلاّ ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة)(١)، يعني: ريحها.

٢- عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار)(٢).

هذه الأحاديث وما كان في معناها نهت عن أن يراد بالعلم غير وجه الله تعالى، والقول بتحريم طلب العلم للدنيا هو ظاهر صنيع الأئمة المتقدمين، كالترمذي -رحمه الله- حيث أورد أحاديث النهي عن طلب العلم للدنيا تحت باب: "في من يطلب بعمله الدنيا"(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله، ١٠/٧٠، برقم [٣٦٥٩]، وابن ماجة، كتاب السنة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، ١/١٦٤، برقم [٢٥٢]، وصحح الحديث لغيره الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب، ١/١٥٣، برقم [١٠٥].

(٢) أخرجه ابن ماجة، كتاب السنة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، ١/١٦٥، برقم [٢٥٤]، وله شاهد عند الترمذي، كتاب العلم، باب من يطلب بعلمه الدنيا، ٧/٣٤٦، برقم [٢٧٩٢]، وصحح الحديث لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/١٥٤، برقم [١٠٧].

(٣) ينظر: سنن الترمذي، ٧/٣١٦.

وكذلك أبو داود -رحمه الله- في باب: "طلب العلم لغير الله"[(١)]، ولم يفصلوا القول -رحمهم الله- في حكم ذلك، ولم يفرقوا بين من خلصت نيته للدنيا، وبين من كانت نيته مشوبة: فقصد لله، وقصد للدنيا.

والمسألة هذه فرعٌ من مسألة إرادة الدنيا بعمل الآخرة وصورةٌ من صورها، والحكم واحد في الجمع بين النصوص المتعارضة في هذا الباب؛ وذلك قياساً على مسألة الحج والتجارة، والغزو وقصد المغنم، وعلى جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن [(٢)]؛ لأنَّ العلة واحدة هي إرادة الدنيا بعمل الآخرة، قال الشيخ محمد العثيمين -رحمه الله- تحت باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا في شرحه لكتاب التوحيد: ((هل يدخل فيه من يتعلمون في الكليات أو غيرها يريدون شهادة، أو مرتبة بتعلمهم؟

والجواب: أنهم يدخلون في ذلك إذا لم يريدوا غرضاً شرعياً مثل من أذن ليأخذ الراتب، ومن حج ليأخذ المال))[(٣)].

لكن ما أثر طلب العلم للشهادة والوظيفة وحظوظ الدنيا على الإخلاص؟

سبق القول أن هذه المسألة فرعٌ من مسألة إرادة الدنيا بعمل الآخرة، قياساً على الحج والتجارة، والغزو مع قصد المغنم، وعليه فإنَّ أثره على الإخلاص يظهر من قصد المكلف، وقصد المكلف لا يخلو من حالين:

الحال الأول:

ألا يكون له قصد من طلبه للعلم الشرعي إلا الدنيا، بمعنى: أنَّ نيته خالصةً لإرادة الدنيا.

فمن كان هذا قصده فإنَّ عمله باطل، وأجره في هذا العمل حابط، وهو آثم بهذا

---

(١) ينظر: سنن أبي داود، ١٠/٧٠.

(٢) هذا على المذهب الراجح في جواز ذلك، ينظر لتفصيل المسألة : فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن، د/ أحمد ملحم، ٣٨٦-٣٩٤، دار النفائس، الأردن، الأولى، ١٤٢١هـ.

(٣) القول المفيد، ٢/٢٤٤.

القصد، وينتفي إخلاصه في هذا العمل، قولاً واحداً لأهل العلم[(١)].

الحال الثاني:

أن يريد الدنيا والآخرة من طلبه العلم، بمعنى أنَّ قصده مشوبٌ، فقصد للدنيا، وقصد لله، ولا تخلو هذه الحالة من الصور الآتية:

الأولى: أن يكون قصده للدنيا تابعاً ومقوياً للمقصد الشرعي، من طلب العلم ، والمحرك الأصلي لطلبه للعلم هو إرادة الله وحده، فهذه الحالة لا يتأثر بها إخلاص المكلف في هذا العمل، لكنَّ أجره ينقص عن أجر من كانت نيته خالصة لله وحده.

الثانية: أن يكون قصْده للدنيا بطلبه العلم الشرعي مساوياً أو غالباً لقصد الآخرة ومرضاة الله، فإخلاص المكلف يتأثر في هذه الصورة، وعمل من كان هذا قصده باطل وأجره حابط في هذا العمل، ويأثم بهذه النية، لكنَّ إثم من غلب قصد الدنيا على الآخرة أعظم من إثم من تساوى القصدان عنده كما سبق بيانه.

تنبيهات:

١- مما ينبغي أن يعلم أنَّ المرء يستطيع تحسين نيته بيسر وسهولة في طلبه للعلم الشرعي؛ لأنه من الممكن أن يكون قصده لنيل الشهادة لكن له قصداً صالحاً من حصوله على الشهادة، فيقصد بهذه الشهادة أن تأهله ليعمل في حقل نافع للمسلمين، وبهذا القصد يكون قد طلب عبادةً بعبادة، وطلب العبادة بالعبادة لا يقدح في الإخلاص كما سبق إيضاحه[(٢)].

٢- إذا طرأ على من طلب العلم الشرعي إرادة الدنيا، فلا يترك طلبه للعلم بل يجاهد نفسه في دفع هذا الخاطر، كما أنَّ العلم الشرعي من طرق تحصيل الإخلاص،

---

(١) ينظر صـ ٣٥٧-٣٥٨ من هذا البحث، في حكم من لم يكن له قصد من عمله إلا الدنيا.

(٢) ينظر صـ ٢٠٥ في مبحث ما يتوهم أنه ليس بإخلاص، وصـ ٣٧٢ في تنبيهات في أنواع إرادة الدنيا. وينظر القول المفيد، لابن عثيمين، ٢/٢٤٤، والمجموع الثمين، لابن عثيمين، ٢/٣١.

وكان السلف يقولون: ((كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا إلى الآخرة))[١].

قال الذهبي -رحمه الله-: ((عن معمر: كان يقال إنَّ الرجل يطلب العلم لغير الله فيأبى عليه العلم حتى يكون لله.

قلت: نعم يطلبه أولاً والحامل له حبُّ العلم، وحبُّ إزالة الجهل عنه، وحب الوظائف، ونحو ذلك، و لم يكن علم وجوب الإخلاص فيه، ولا صدق النية، فإذا علم حاسب نفسه، وخاف من وبال قصده، فتجيئه النية الصالحة كلها، أو بعضها، وقد يتوب من نيته الفاسدة، ويندم، وعلامة ذلك أنَّه يقصر من الدعاوى، وحب المناظرة، ومن قصد التكثُّر بعلمه، ويزري على نفسه فإن تكثر بعلمه، أو قال: أنا أعلم من فلان فبعداً له))[٢].

(١) ينظر: تفسير القرطبي، ٣٧/١، وممن روي عنه هذا القول وما هو في نحوه: الحسن، وسفيان الثوري، وحبيب بن أبي ثابت، ينظر المصدر السابق، وينظر: جامع بيان العلم وفضله، ٧٤٧/١.

(٢) سير أعلام النبلاء، ١٧/٧، وينظر: الفروع، لابن مفلح، ٤٤٦/١.

المبحث السادس

المسابقات في العلوم الشرعية حكمها وأثرها على الإخلاص

وفي هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول: حكم المسابقات في العلوم الشرعية:

تنقسم المسابقات في العلوم الشرعية إلى نوعين:

النوع الأول:

مسابقات بغير عوض، وحكمها الجواز فكل المسابقات دون عوض جائزة، ومنها المسابقات العلمية، للإجماع في هذه المسألة[1].

وأدلة النوع الثاني دلت على جواز هذا النوع من باب أولى؛ لأنه بغير عوض.

النوع الثاني:

مسابقات في العلوم الشرعية بعوض، وقد اختلف في هذه المسألة بناءً على الاختلاف في حكم العوض في غير الأنواع التي استثنتها النصوص، ولأهل العلم قولان في هذه المسألة:

القول الأول:

المنع من المسابقات العلمية في العلوم الشرعية وغيرها بعوض،وممن قال بهذا القول:المالكية[2]،

---

(١) حُكي الإجماع في: المغني، لابن قدامه، ١٣/٤٠٧، وتحفة الأحوذي، ٥/٢٨٦، والفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، ٥/٧٨٦-٧٨٧، دار الفكر، دمشق، الثالثة، ١٤٠٩هـ.

(٢) مواهب الجليل، للحطاب، ٣/٣٩٠، والقوانين الفقهية، لابن جزي، ١٠٥، وجواهر الإكليل، لصالح عبدالسميع الأزهري، ١/٧٢١، دار الفكر، بيروت، لبنان.

وهو مذهب الشافعية[(١)]، وهو مذهب الحنابلة[(٢)].

أدلة هذا القول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: (لا سبق إلاّ في: خف، أو حافر، أو نصل)[(٣)].

وجه الاستدلال:

أنّ المسابقات في العلوم الشرعية ليست مما ذكر في الحديث فلا يجوز السبق -الجعل- فيها.

القول الثاني:

أنّ المسابقات في العلوم الشرعية جائزة، وهو مذهب الحنفية[(٤)]، ووجه عند بعض الحنابلة، ومنهم: شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-[(٥)]، وابن القيم -رحمه الله-[(٦)]، والشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله-[(٧)].

---

(١) ينظر: الغاية والتقريب، لأبي شجاع، ٣٥٥، تحقيق/ ماجد الحموي، دار ابن حزم، بيروت، الأولى، ١٤١٣هـ، وروضة الطالبين للنووي، ١٠/٣٥١.

(٢) ينظر: المغني، لابن قدامه، ١٣/٤٠٥، والشرح الكبير، لعبدالله بن أحمد بن قدامه، ١٥/٨-٩، نشر وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، تحقيق د/ عبدالله التركي، ١٤١٩هـ، والعدة شرح العمدة، لبهاء الدين المقدسي، ٢٢٣، قرطبة، والإنصاف، للمرداوي، ٦/٩٠.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في السبق، ٧/١٧٣، برقم [٢٥٧١]، والترمذي، أبواب الجهاد، باب ما جاء في الرهن، ٥/٢٨٧، برقم [١٧٥٢]، والنسائي، كتاب الخيل، باب السبق، ٦/٥٣٥، برقم [٣٥٨٧]، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٥/٣٣٣، برقم [١٥٠٦].

(٤) ينظر: الفتاوى الهندية، ٥/٣٢٤، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، الثانية، ١٣١٠هـ، وحاشية ابن عابدين، ٦/٤٠٣.

(٥) ينظر: مختصر الفتاوى، لابن تيمية، ٥٢٧-٥٣٥، اختصرها البعلي، تحقيق/ عبدالمجيد سليم، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ، والإنصاف، للمرداوي، ٦/٩١، وتيسير الفقه الجامع للاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام، د/ أحمد موافي، ٣/١١٨١-١١٨٩، ابن الجوزي، الدمام، الثانية، ١٤١٦هـ.

(٦) الفروسية، ٩٦-٩٨،٢٠٣،٢٠٧-٢١١، تحقيق/ مشهور حسن سلمان، دار الأندلس، حائل، الأولى، ١٤١٤هـ.

(٧) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، ٨/١٣٢، جمع ابن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الأولى، ١٣٩٩هـ.

الأدلة لهذا القول:

ما ورد عن أبي بكر رضي الله عنه، أنَّه راهن كفار مكة على غلبة الروم للفرس، وقد بذل كل منهما جعلاً للآخر(١).

و لم يقم دليل على نسخ هذا الحديث، وأفاد الحديث جواز المسابقة بعوض فيما كان فيه مصلحة الدين، ومنها المسابقات في العلوم الشرعية، كما أنه إذا جازت المراهنة على آلات الجهاد فهي في العلم أولى بالجواز؛ لأنَّ الدين قائم على الحجة والجهاد، ولا حجة أبلغ من العلم.

الترجيح:

يظهر صحة القول الثاني -والله أعلم- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عام يخصص بحديث أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-(٢).

المطلب الثاني: أثر المسابقات في العلوم الشرعية على الإخلاص:

طلب العلم الشرعي عبادة من العبادات، وكل العبادات من شروط قبولها: الإخلاص، وذكر في المبحث السابق أثر طلب العلم لحظوظ الدنيا على الإخلاص، والأثر المذكور هناك هو الأثر في هذه المسألة، وبعد بيان جواز المسابقات في العلوم الشرعية، يأتي القول في أثر ذلك على الإخلاص؛ لأنَّ النظر أولاً لجواز المسألة من عدمه، ثم في الأثر على الإخلاص؛ لأنه قد يكون الحكم الجواز، لكن ربما لم يكن للمكلف قصدٌ إلاَّ الدنيا وما يعطاه من جائزة في هذه المسابقة، وربما

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب سورة الروم، ٩/٣٨-٣٩، برقم [٣٤١٠]، والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد، ١/١٤٤، برقم [١١٦]، وابن خزيمة في كتاب التوحيد، ١/٤٠٤-٤٠٥، برقم [٢٣٧]، تحقيق د/ عبدالعزيز الشهوان، الرشد، الرياض، السادسة، ١٤١٨هـ، والبيهقي في الاعتقاد، ١٠٨، وصحح الحديث الألباني في صحيح الترمذي برقم [٢٥٥٢].

(٢) ينظر: المسابقات وأحكامها في الشريعة الإسلامية، د/ سعد ناصر الشتري، ١٨٧-١٨٩، دار الحبيب، الرياض، الثانية، ١٤٢٠هـ.

كان قصده مشوباً وفي كلا القصدين يظهر أثر هذا القصد على الإخلاص كما ذكر في المبحث السابق.

تنبيهات:

١- قبل أن يذكر أثر الإخلاص في المسائل المختلفة لابد من النظر في جواز هذه المسألة من عدمه؛ لأنَّ الكلام لا يكون إلاَّ فيما يجوز فعله، ثم ينظر في أثر ذلك على الإخلاص، وأمَّا ما لا يجوز فعله فلا يجوز أن يكون مقصوداً للمكلف.

٢- لا يستدل على جواز إرادة الدنيا بعمل الآخرة فيما كان تابعاً ومقوياً للمقصد الشرعي من العبادة، على جواز المسائل المختلفة، بل النظر أولاً في جواز المسألة من عدمه يكون بالنظر للأدلة التفصيلية في المسائل المختلفة؛ لأنَّ أهل الأهواء قد استغلوا مقاصد الشريعة الإسلامية في إباحة ما ثبت حرمته دون نظر للأدلة التفصيلية مع أنَّ المسألة قد يكون فيها نصٌ معينٌ يفيد تحريمها وعدم جوازها، فالنظر في المقاصد العامة للشريعة لا يعني طرح النصوص الجزئية، بل لابد من النظر فيهما، فربما كانت هذه النصوص مقيدةً للمقاصد الكلية، أو تبينها بوجه من أوجه البيان(١).

٣- لم يتم التعرض في هذا الفصل لجميع المسائل والأعمال الصالحة التي يمكن أن يراد بها الدنيا، مثل مسائل الإجارة على فعل القربات؛ لأنَّ القصد من عقد هذا الفصل: بيان أثر إرادة الدنيا بعمل الآخرة على الإخلاص في المسائل عموماً، أما المسائل التفصيلية وأحكامها فلم تكن مقصودةً في هذا الفصل وما ذكر من بعض المسائل فهو للمنتشر أكثر من غيره وقصد به التمثيل والدلالة على غيره.

كما أنَّ هناك أبحاثاً خاصةً في بيان أحكام هذه المسائل تغني عن طرقها في هذا الفصل(٢).

---

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، د/ محمد سعد اليوبي، ١٠.

(٢) ينظر مثلاً: الاستئجار على فعل القربات الشرعية، لعلي عبدالله أبو يحيى، رسالة ماجستير مطبوعة، طبع دار النفائس، عمان، الأردن، الأولى، ١٤١٨هـ.

الفصل السادس

الهــوى

وفيه المباحث التالية:

المبحـــث الأول: تعريف الهوى.

المبحـــث الثـــاني: حكم الهوى.

المبحـــث الثـــالث: أسباب الهوى ودوافعه.

المبحـــث الرابـــع: مفاسد الهوى.

المبحـــث الخـــامس: علاج الهــوى.

المبحـــث الســـادس: أثر الهوى على الإخلاص.

المبحث الأول

تعريف الهوى

أولاً: تعريف الهوى في اللغة:

قال ابن فارس –رحمه الله–: ((هوي: الهاء، والواو، والياء، أصلٌ صحيح يدلُّ علــى خلوٍّ وسقوط ... وأمّا الهوى: هوى النفس فمن المعنيين جميعاً؛ لأنَّه خالٍ من كل خير، ويهوي بصاحبه في ما لا ينبغي...))[1].

وقال الراغب الأصفهاني –رحمه الله–: ((الهوى: ميل النفس إلى الشـــهوة، ويقـــال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وقيل سمي بذلك؛ لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كـــل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية...))[2].

وقال ابن منظور –رحمه الله–: ((وهوى النفس: إرادتها ... قال اللغويون: الهـــوى محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه... ومن تكلم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذمومـــاً حتى ينعت بما يخرج معناه كقولهم: هوى حسنٌ، وهوى موافق للصواب...))[3].

ثانياً: تعريف الهوى شرعاً:

عُرِّف الهوى بعدة تعريفات، وسلك أهل العلم في تعريفهم للهوى مسلكين:

١- المسلك الأول:

من جعل تعريفه للهوى عاماً للهوى المحمود، والهوى المذموم بمعنى: أنه عرف الهوى بما يشمل النوعين، ومن ذلك:

---

(١) معجم المقاييس في اللغة، ١٠٥٦-١٠٥٧.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ٨٤٩.

(٣) لسان العرب، ٣/٨٤٩.

١- قال ابن الجوزي -رحمه الله-: ((اعلم أنَّ الهوى: ميل الطبع إلى ما يلائمه... فـــلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، وإنما يذم المفرط من ذلك))(١).

٢- وقال القرطبي -رحمه الله-: ((وأصل الهوى: الميل إلى الشيء... ولذلك لا يستعمل في الغالب إلا فيما ليس بحق... وقد يستعمل في الحق))(٢).

٣- وقال ابن القيم -رحمه الله-: ((وأمَّا الهوى: فهو ميل النفس إلى الشيء... وأكثر مـا يستعمل في الحب المذموم ... وقد يستعمل في الحب الممدوح استعمالاً مقيداً))(٣).

٤- وقال ابن رجب -رحمه الله-: ((أنه الميل إلى خلاف الحق ... وقد يطلـــق الهـــوى بمعنى المحبة، والميل مطلقاً فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره، وربما استعمل بمعنى محبـــة الحق خاصة والانقياد إليه))(٤).

٥- وقال الشوكاني -رحمه الله-: ((وأصل الهوى: الميل إلى الشيء))(٥).

٦- وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشـــيخ -رحمـــه الله-: ((قـــال بعضـــهم: هواه بالقصر، أي: ما يهواه، أي: تحبه نفسه وتميل إليه، ثمَّ المعروف في اســـتعمال الهوى عند الإطلاق، أنه الميل إلى خلاف الحق، ومنـــه ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾(٦)، وقد يطلق على الميل والمحبة ليشمل الميل للحق وغيره، وربمـــا استعمل في محبة الحق خاصة والانقياد إليه...))(٧).

---

(١) ذم الهوى، ٣٥، تحقيق/ خالد عبداللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الثانية، ١٤١٩هـ.

(٢) تفسير القرطبي، ٢٩/٢، وينظر: تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ٣٧/١٠.

(٣) روضة المحبين، ٢٧، تحقيق/ بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، الأولى، ١٤٢١هـ.

(٤) جامع العلوم والحكم، ٤٣٨/٢.

(٥) فتح القدير، ١١٠/١.

(٦) (ص ٢٦).

(٧) تيسير العزيز الحميد، ٥٦٩.

٢- المسلك الثاني:

من عرف الهوى بما يقصره على الهوى المذموم، ومن ذلك:

١- قال الجرجاني -رحمه الله-: ((الهوى: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع))[١].

٢- وقال الصنعاني -رحمه الله-: ((والهوى: هو ما تشتهيه النفس من غير نظرٍ إلى مقصد [يحمد] عليه شرعاً))[٢].

٣- وقال المناوي -رحمه الله-: ((هوى النفس: وهو ميلها إلى المستلذات والمستحسنات عندها؛ لأنه يشغل عن الطاعة...))[٣].

٤- وعرَّفه بعض المعاصرين، فقال: ((هو ميل النفس إلى نيل شهوة تلائم طبعها أو اتباع شبهة توافق عقلها))[٤].

ومن النصوص الواردة بمعنى الهوى المذموم:

١- قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[٥].

٢- وقال تعالى: ﴿...وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

---

(١) التعريفات، ٣٢٠، وينظر: التقرير والتحبير، لمحمد بن محمد، ٣٢١/٢، دار الفكر، بيروت، الأولى، ١٩٩٦م، وينظر: البحر الرائق، لزين بن إبراهيم بن محمد، ٩٣/٧، وقواعد الفقه، لمحمد عميم الإحسان، ٥٥٣.

(٢) سبل السلام، ٣١٧/٨، في النسخة المعتمدة ما بين المعكوفتين [يحمل] وفي نسخة أخرى [يحمد] ولعله الصحيح والله أعلم، ١٩٦/٤، طبع دار إحياء التراث العربي، بتحقيق/ محمد الخولي، بيروت، الرابعة، ١٣٧٩هـ.

(٣) فيض القدير، ١١٠/٢.

(٤) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، لمحمد العبده وطارق عبدالحليم، ٤٦، دار الأرقم، الكويت، الثانية، ١٤٠٦هـ.

(٥) (الجاثية ٢٣).

يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ ﴾[١].

٣- وقال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ ﴾[٢].

٤- وقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾[٣].

وغير هذه النصوص كثير وسيأتي المزيد منها في حكم الهوى بحول الله.

ومن النصوص التي جاءت بمعنى الهوى المحمود:

١- قصة أسارى بدر قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: (فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر رضي الله عنه، ولم يهو ما قلت)[٤].

٢- وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهنَّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله تعالى: ﴿ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَ ﴾[٥]، قلت: ما أرى ربك إلاَّ يسارع في هواك)[٦].

ولا تعارض بين المسلك الأول والثاني في تعريفهما للهوى؛ لأنَّ من عرف الهوى بما يشمل المحمود والمذموم من الهوى، اشترط عدم إطلاق الهوى في المحمود إلاَّ مقيداً[٧].

---

(١) (القصص ٥٠.)

(٢) (البقرة ٨٧.)

(٣) (القصص ٥٠.)

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ٣٢٨/٦، برقم [١٧٦٣].

(٥) (الأحزاب ٥١.)

(٦) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ ...الآية﴾ ٦٦٦/٨، برقم [٤٧٨٨]، وأخرجه مسلم، كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرتها، ٣٠٥/٥، برقم [١٤٦٤].

(٧) ينظر: روضة المحبين لابن القيم، ٢٧، ولسان العرب، لابن منظور، ٨٤٩/٣، وتيسير العزيز الحميد، لسليمان آل الشيخ، ٥٦٩.

ويبدو أنَّ اشتراط عدم إطلاق الهوى على الهوى المحمود إلا مقيداً؛ لأنَّــــه غلــب إطلاق لفظ الهوى على الهوى المذموم(١).

ومما يؤكد أنه غلب إطلاق الهوى على الهوى المذموم أنَّه لم يذكـــر في القـــرآن إلاَّ مذموماً، قال ابن عباس رضي الله عنه: ((ما ذكر الله عزوجل الهوى في موضع من كتابه إلاَّ ذمه))(٢).

أما لماذا سمي الهوى بهذا الاسم؟

فقد قيل لأنه يهوي بصاحبه في النار(٣)، وقد قال الشعبي -رحمه الله- : ((إنما سميـت الأهواء؛ لأنها تهوي بصاحبها في النار))(٤).

الفرق بين الهوى والشهوة :

وأمَّا الفرق بين الهوى والشهوة فقد قال الماوردي -رحمه الله-: ((فأمَّا فرق ما بـين الهوى والشهوة مع اجتماعهما في العلة والمعلول، واتفاقهما في الدلالة والمدلول فـهو أنَّ الهوى مختصٌّ بالآراء، والاعتقادات، والشهوة مختصة بنيل المستلذات فصارت الشـــهوة من نتائج الهوى، وهي أخص، والهوى أصل وهو أعم))(٥).

---

(١) ينظر: تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ٣٧/١٠.

(٢) ذم الهوى، لابن الجوزي، ٣٦، وورد هذا القول عن طاووس رحمه الله، ينظر: شرح أصول اعتقاد أهـــل السنة والجماعة ١٤٧/١، برقم [٢٢٨] وسيأتي ذكر الأثر بحول الله في حكم الهوى، وينظـــر: روضـــة المحبين، لابن القيم، ٢٧.

(٣) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة, للالكائي، ١٤٧/١، وتفسير القرطبي، ٢٩/٢، وروضـــة المحبين، لابن القيم، ٢٧، وفتح القدير، للشوكاني، ١١٠/١.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١٤٧/١، برقم [٢٢٩].

(٥) أدب الدنيا والدين، للماوردي،٤٢، تحقيق/ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق، الثانية،١٤١٥هـ.

المبحث الثاني

حكم الهوى

إن الحكم على الهوى يقتضي النظر إلى ثلاثة اعتبارات:

١- نوعه.

٢- أقسام الناس معه.

٣- أثره.

الاعتبار الأول: نوع الهوى:

قد سبق في تعريف الهوى بيان أنَّ الهوى ينقسم لقسمين:

هوى محمود، وهوى مذموم، وإذا أطلق لفظ الهوى انصرف إلى المذموم، وإذا أريد بلفظ الهوى ما كان منه محمودا فلا بد فيه من تقييد اللفظ، و لم يعقد هذا الفصل لبيان الهوى المحمود، وإنما عقد لبيان المذموم منه، ولا كلام في المحمود؛ لأنه ليس بمخالف لمراسم الشريعة كما قال الشاطبي -رحمه الله-: ((والهوى ليس بمذموم إلا إذا كان مخالفاً لمراسم الشريعة))[1].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: ((فلا ينبغي ذم الهوى مطلقاً ولا مَدْحه مطلقاً كما أنَّ الغضب لا يذم مطلقاً، ولا يحمد مطلقاً، وإنما يذم المفرط من النوعين، وهو ما زاد على جلب المنافع ودفع المضار، ولما كان الغالب من مطيع هواه وشهوته وغضبه أنه لا يقف فيه على حد المنتفع به أطلق ذم الهوى والشهوة والغضب؛ لعموم غلبة الضرر؛ لأنه يندر من يقصد العدل في ذلك، ويقف عنده... فلذلك لم يذكر الله تعالى الهوى في كتابه إلا

(١) الموافقات، ١/٥٢٩.

ذمه، وكذلك في السنة لم يجيء إلاّ مذموماً إلاّ ما جاء منه مقيداً»[١].

أما النوع الثاني من أنواع الهوى، وهو المذموم فقد عقد هذا الفصل له، والأصل فيه التحريم، وسيأتي ذكر أدلته بحول الله.

الاعتبار الثاني: أقسام الناس مع الهوى:

١- أن يغلب داعي الدين داعي الهوى، فهذه حال الأنبياء وصفوة الأولياء، قال تعالى عنه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝﴾[٢].

٢- أن يغالب الهوى فيغلبه الهوى مرةً، ويغلب الهوى أخرى، وهذه حال المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

٣- أن يغلبه الهوى ويكون كمن قال الله فيهم: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[٣].

وهؤلاء قسمان:

أ – أن يكون من جند الشيطان وحزبه، وهذه حال العاجز الضعيف.

ب- أن يصير الشيطان من جنده، وهذه حال الفاجر القوي المتسلط، والمبتدع الداعية، كما قال القائل:

وكنت امرءاً من جند إبليس فارتقى
بي الحال حتى صار إبليس من جندي

وتكون الحال يوم القيامة موازنةً لهذه الأحوال الثلاث، فمن الناس من يدخل الجنة،

---

(١) روضة المحبين، ٢٧، وينظر: ذم الهوى، لابن الجوزي، ٣٥، ويبدو أن ابن القيم نقل أغلب كلامه نصاً مع تغيير بسيط لكلام ابن الجوزي رحم الله الجميع.

(٢) (النازعات ٤٠-٤١).

(٣) (الجاثية ٢٣).

ومنهم من يدخل النار، ولا يدخل الجنة، ومنهم من يدخل النار ثم مآله إلى الجنة(١).

الاعتبار الثالث: أثر الهوى:

لما كان للإنسان مع الهوى حالات مختلفة انعكس أثرها على أعماله – لذا فقد اختلف الحكم باختلاف الأثر – لكن على العموم فإنَّ الأصل في الهوى المذموم التحريم ، يقول العز بن عبد السلام –رحمه الله–: ((وكذلك النهي عن الهوى إنما هو نهي عن موافقته ومتابعته، وقد صرح بذلك في قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ﴾(٢) بخلاف قوله: ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾(٣)، فإنَّ معناه: ونهى النفس عن آثار الهوى فإنَّ الهوى هو: الميل إلى المشتبهات طبعاً فلا يتعلق به تكليف، ولا ذم، ولا ثواب، ولا عقاب))(٤).

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله–: ((ونفس الهوى –وهو الحب والبغض الذي في النفس– لا يلام عليه فإنَّ ذلك قد لا يملك وإنما يلام على اتباعه))(٥).

وقال أيضاً –رحمه الله–: ((ومجرد الحب والبغض هوى، لكنَّ المحرم اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله))(٦).

وللهوى آثارٌ كثيرة، وجماع هذه الآثار: أن يكون أثره على المرء إمَّا بدفعه إلى الشرك الأكبر،أو بدفعه إلى الشرك الأصغر، أو بدفعه للمعاصي، والبدع، وسواء كانت المعصية كبيرة أو صغيرة، لكنَّ حكم الكبيرة ليس كحكم الصغيرة كما هو معلوم.

---

(١) ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، للأصفهاني، ١٠٤–١٠٥، وعدَّة الصابرين، لابن القيم ٤٩–٥٢، فهي مأخوذة منهما بتصرف.

(٢) (ص ٢٦).

(٣) (النازعات ٤٠–٤١).

(٤) الإمام، ١٨٠، تحقيق/ رضوان مختار غربية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الأولى، ١٤٠٧هـ.

(٥) مجموع الفتاوى، ١٣١/٢٨.

(٦) مجموع الفتاوى، ١٣٣/٢٨.

وما يهمنا هو أثر الهوى على الإخلاص، وقد عقد لهذه المسألة مبحـــث في آخـــر الفصل سيأتي بيان القول فيه بحول الله وقوته.

الأدلة التي تبين حرمة الهوى المذموم:

فمن أدلة الكتاب الكريم التي دلت على النهي عن الهوى المذموم ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[١].

قال الحسن -ومثله عن قتادة- في تفسير الآية السابقة: ((قال هو المنافق لا يـــهوى شيئاً إلا ركبه))[٢].

وقال الطبري -رحمه الله- في تفسير الآية السابقة:

((... وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه فيعبد ما هوي من شيء دون إله الحق الذي له الألوهية مـــن كـــل شيء؛ لأنَّ ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره))[٣].

٢- وقال تعـــالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[٤].

قال الطبري -رحمه الله- في تفسير الآية السابقة: ((... ومن أضل عن طريق الرشاد وسبيل السداد ممن اتبع هوى نفسه بغير بيان من عند الله، وعهد من الله، ويترك عـــهد الله الذي عهده إلى خلقه في وحيه، وتتريله))[٥].

---

(١) (الجاثية ٠٢٣)

(٢) صفة النفاق، ٢٨، برقم [٤٥]، وتفسير الطبري، ١٥٠/٢٥.

(٣) تفسير الطبري، ١٥٠/٢٥.

(٤) (القصص ٠٥٠)

(٥) تفسير الطبري، ٨٧/٢٠.

٣- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾[1].

٤- وقال تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[2].

٥- وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[3].

٦- وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[4].

٧- وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[5].

٨- وقال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾[6].

فقد نزه سبحانه نبيه في هذه الآية عن الهوى وأثره، فدلَّ على أنَّ النطق بالهوى -المذموم- منهيٌّ عنه.

٩- وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ

---

(١) (الأنعام ١٥٠)

(٢) (ص ٠٢٦)

(٣) (الأنعام ١١٩)

(٤) (النازعات ٠٤٠-٠٤١)

(٥) (النساء ١٣٥)

(٦) (النجم ٠٠١-٠٠٣)

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾[(١)].

هذه النصوص وما كان في معناها دلت على النهي عن الهوى إما تصريحـــاً وإمـــا إشارة.

ومن نصوص السنة النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم- ما يلي:

١- عن أبي برزة الأسلمي[(٢)] -رضي الله عنه- قال: قال عليه الصلاة والسلام: (إنَّ ممـا أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم، وفروجكم ومضلات الهوى)[(٣)].

٢- وقال صلى الله عليه وسلم: (... وإنه سيخرج في أمتي أقوام تتجارى بهم الأهـــواء كما يتجارى الكلبُ بصاحبه)[(٤)].

٣- وقال صلى الله عليه وسلم: (ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوى متبع، وإعجـاب المرء بنفسه من الخيلاء، وثلاث منجيات: العدل في الرضا والغضب، والقصـــد في

---

(١) (الأعراف ١٧٦)

(٢) أبو برزة الأسلمي، صحابي جليل، دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للإسلام فأبى فدعاه أبناه فأجـاب وأسلم وحسن إسلامه، واختلف في اسمه ورجح الذهبي أن اسمه: نضلة بن عبيد على الأصح، روى عـدَّة أحاديث، شهد فتح مكة، وخيبر، وحضر مع علي رضي الله عنهما حربه ضد الحرورية، مات في البصرة وقيل في خراسان وقيل غير ذلك، (توفي سنة ٦٠ وقيل ٦٤هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ٣/٤٠-٤٣، والإصابة، لابن حجر، ٣٢/٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٢/١٥، برقم [١٩٦٦١]، وأخرجه الطـبراني في الصغـير، ٣٠٩/١، برقـم [٥١١]، بتحقيق/ محمد شكور محمود، المكتب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤١٥هـــــ، وصححـه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١٣٠/١، برقم [٥٢].

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ٢٠٦/١٣، برقم [١٦٨٧٦]، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، بـاب شرح السنة، ٢٢٣/١٢، برقم [٤٥٨٤]، وابن أبي عاصم في السنة، ٧/١، برقم [٢،١]، واللالكـائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١١٤/١، برقم [١٥٠].

وحسن الحديث الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٢٩/١، برقـم [٥١] والكَلَـبُ: داء يعـرض للإنسان من عضة الكلْبِ الكَلِبِ، المصدر السابق، ١٢٩/١.

الغنى والفاقة، ومخافة الله في السر والعلانية)[١].

٤- وكان -صلى الله عليه وسلم- يقول: (اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخـلاق، والأعمال، والأهواء)[٢].

أما الآثار في ذم الهوى، فقد ورد عن السلف الصالح رضوان الله عليهم أقوال كثيرة في ذم الهوى، ومن هذه الآثار ما يلي:

١- قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: ((الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكـم، فقال: كل هوى ضلالة))[٣].

٢- وعن طاووس -رحمه الله- أنه قال: ((ما ذكر الله هوى في القرآن إلاّ عابه))[٤].

٣- وعن محمد بن سيرين -رحمه الله- أنَّه قال: ((لو خرج الدجال لرأيت أنه سـيتبعه أهل الأهواء))[٥].

٤- وقال الحسن -رحمه الله-: ((أهل الهوى بمترلة اليهود والنصارى))[٦].

٥- وقال الحسن، وابن سيرين -رحمهما الله-: ((لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجـادلوهم،

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط -واللفظ له-، ٣٢٨/٥، برقم [٥٤٥٢]، والبزار في مسنده ٢٩٥/٨، برقـم [٣٣٦٦] والشهاب في مسنده، ٢١٤/١، برقم [٣٢٤]، و٢١٥/١، برقم [٣٢٦،٣٢٧]، والبيـهقي في شعب الإيمان، ٤٥٢/٥، برقم [٧٢٥٢] و٤٧١/١، برقم [٧٤٥].
وحسن الحديث الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١٣٠/١، برقم [٥٣].

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب شتى من أبواب الدعوات، ٣٦/١٠، برقم [٣٨٢٥]، وابن حبان في صحيحـه، ٢٤٠/٣، برقم [٩٦٠]، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٢٧٨/١، برقم [١٢٩٨].

(٣) أخرجه عبدالرزاق في المصنف، ١٢٦/١١، برقم [٢٠١٠٢]، والآجري في الشـريعة، ٤٤٤/١-٤٤٥، برقم [١٢٦]، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١٤٦/١، برقم [٢٢٥].

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١٤٧/١، برقم [٢٢٨]، وورد هذا القول عن ابن عباس رضـي الله عنه، ينظر: ذم الهوى، لابن الجوزي، ٣٦.

(٥) المصدر السابق، ١٤٨/١، برقم [٢٣٥].

(٦) المصدر السابق، ١٤٨/١، برقم [٢٣٣].

ولا تسمعوا منهم))[١].

٦- وقال رجل لسفيان -رحمه الله- أوصني، فقال: ((إياك والأهواء، والخصومة، وإيــاك والسلطان))[٢].

والنصوص الواردة في ذم الهوى عن السلف الصالح كثيرة، لعلّ ما سبق يكون كافياً في بيان المراد من تحريم الهوى المذموم، والله أعلم.

(١) سنن الدارمي، ١/١٢١، برقم [٤٠١]، وشرح أصول اعتقاد أهل الســنة والجماعــة، ١/١٥٠، برقــم [٢٤٠]، وجامع بيان العلم وفضله، ٢/٩٤٤، برقم [١٨٠٣].

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١/١٥٤، برقم [٢٥٤].

المبحث الثالث

أسباب الهوى ودوافعه

١- عدم تعويد النفس على ضبط هواها منذ الصغر[١]:

قد ينشأُ الإنسان نشأةً يربى فيها على تلبية جميع رغباته وشهواته، حتى لا يـرى ولا يسمع ما يكبح جماح شهوته ويلجم هواه.

ولاشك أنَّ التربية الأولى، والنشأة الأولى لها دورها الفعال في توجيه سلوك الفـرد، فإن كانت حسنة كان سلوك الفرد حسناً، وإن كانت سيئةً كان سلوك المـرء سـيئاً، ومن سلوك المرء الذي له أثره الفعال على الفرد هوى المرء وشهواته فتوجيهـها نحـو الطريق الخاطيء منذ النشأة الأولى له أثره على المرء، فإذا لم يجد منذ بداية نشـأته مـا يكبح شهواته وأهواءه اعتاد على هذا السلوك وتملكه هواه وقادتـه رغباتـه، فنشـأة الإنسان الأولى لها دورها الهام في تعويد الإنسان على أن يضبط هواه ويكبح شـهوات نفسه كما قال صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانـه، أو ينصرانه أو يمجسانه...)[٢].

فعلى كل مرب وكل مسؤول عن رعيته أن يلحظ هذا الأمر، وأن يوليه عنايتـه، وأن يحسن تعويد من ولي أمره على ضبط شهواته منذ الصغر حتى يصبح زمام هـواه مملوكاً له ومنقاداً له يصرفه حيث رأى الخير.

٢- العجز وترك مجاهدة النفس:

إنَّ العجز عن ضبط شهوات النفس ورغباتها يحمل صاحبه أن ينقاد لهواه وينسـاق

---

(١) ينظر: آفات على الطريق، د/ السيد محمد نوح، ١/١٩٥.

(٢) سبق تخريجه صـ ٣٠٦ في مبحث أسباب الرياء.

لرغباته، وأدلُّ شيء على عجز الإنسان هو أن يترك مجاهدة نفسه فيستسلم لها يقوده الهوى، وتسيره الرغبات، وتأسره الشهوات أينما حطه الهوى نزل، وأينما رحل به ارتحل، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بمجاهدة أنفسهم كما قال عز من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾(١) فلا يترك المسلم نفسه دون خطام يقودها به، ولا يعجز فيترك مجاهدة نفسه فيتزلق به الهوى في المهالك، ويورده قبيح الفعال، وسيء الخصال، بل يصدق بوعد الله فيجاهد نفسه وهواه حتى يملّكه الله إياه.

٣- قلة الصبر:

إنَّ الصبر أعظم حاجز عن المحارم، وخير معين للمسلم على أن يقهر هواه ويغلبه؛ لذا فقد عُدَّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((ألا إنَّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس باد الجسد، ثمَّ رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له))(٢).

وعديم الصبر أو قليله من أكثر الناس اتباعاً لهواه، ومن أكثر الناس جرياً وراء شهواته، فحريٌّ بالمسلم أن يجاهد نفسه على أن يحقق الصبر بجميع أنواعه: الصبر على فعل الطاعات، والصبر على اجتناب السيئات، والصبر على أقدار الله(٣).

ومتى ما حقق المسلم الصبر قهر هواه، وقاده، واستطاع أن يسيطر عليه، بل إن تحقيق الصبر مع اليقين يورث الإمامة في الدين كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً

---

(١) (العنكبوت ٦٩).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصبر والثواب عليه، ٢٤، برقم [٨]، بتحقيق/ محمد خير رمضان، دار ابن حزم، بيروت، الأولى، ١٤١٨هـ، وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ٤/٩٢٤، برقم [١٥٦٩]، وحسنه سليم الهلال في تحقيقه لعدة الصابرين، ١٥٦.

(٣) ينظر في بيان هذه الأنواع عدة الصابرين، لابن القيم، ٥٥-٥٩.

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[(١)].

٤- ضعف اليقين:

إنَّ ضعف اليقين بالله سببٌ لسير المرء وراء هواه وشهوته؛ لأنَّ اليقين خير معين للمسلم على أن يدفع كل شبهة ترد عليه، وبالتالي يدفع به الهوى عن نفسه، فكما أنَّ الصبر حاجزٌ عن الشهوات، فكذا اليقين دافعٌ للشبهات، قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: ((فبالصبر تترك الشهوات، وباليقين تدفع الشبهات ومنه قوله: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾[(٣)]))[(٤)].

فإذا ضعف اليقين وقل في المسلم ملكه الهوى وأصبح أسيره.

٥- محبة الدنيا والركون إليها مع نسيان الآخرة[(٥)]:

من تعلق قلبه بالدنيا، ونسي الآخرة، طاربه هواه وتسلط عليه، وقاده لكل خطيئة، وحب الدنيا مع نسيان الآخرة حمل أقواماً على ترك دين الله والرضى بالكفر والشرك، فاستحقوا غضب الله وسخطه كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾[(٦)].

وحب الدنيا حمل أقواماً على عبادة الله إن حصل لهم مرادهم من الدنيا، وإن

---

(١) (السجدة ٠٢٤)

(٢) (العصر ٠٠٣)

(٣) (ص ٠٤٥)

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم، ١/١٢٠.

(٥) ينظر: آفات على الطريق، د/ السيد محمد نوح، ١/١٩٩.

(٦) (يونس ٠٠٧-٠٠٨)

أصابهم ما يمتحنون به في دنياهم تركوا عبادة الله، قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعـالى- في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾[1].

قال -رحمه الله-: ((... ثم ذكر حال من يعبد الله على حرف، وهذه حال المتبـع لهواه الذي إن حصل له ما يهواه في الدنيا عبدالله، وإن أصابه ما يمتحن به في دنياه ارتـد عن دينه، فهذه حال من كان مريضاً في إرادته وقصده وهي حـال أهـل الشـهوات والأهواء))[2].

والتنافس في الدنيا حمل أقواماً على تصنيف كتب الضلال تحقيقاً لهواهم ورغبـاقم، كما قال القائل:

لولا التنافس في الدنيا لما وضعت ... كتب التناظر لا المغني ولا العمـد

يحللـون بزعم منهم عقـداً ... وبالذي وضعوه زادت العقـد[3]

٦- قلة المعرفة بالله عز وجل:

المعرفة بالله من عوامل تقوية الإيمان به سبحانه وتعالى، وقلة المعرفة بالله مدعاةٌ لقلـة الإيمان، وقلة الإيمان مدعاةٌ لاتباع الهوى، ولو عرف الإنسان ربه حق معرفته ما اجـترأ على تقديم هواه على رضى مولاه، ولما طوعت له نفسه أن يقدِّم هواه علـى أمـر الله ونهيه، قال سبحانه وتعـالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ

(١) (الحج ١١٠)

(٢) درء التعارض، ٥/٢٦٤.

(٣) ذكرها ابن أبي العز في شرح الطحاوية، ١/٢٣٩.

ﭐلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1]، فمن عرف أنَّ الحكم لله وحده وأنه سبحانه وتعالى سيحاسبه على ما فرط فيه من أمـر الله ونهيه سارع في تطبيق شرع الله كما قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾[2]، فمن عرف الله حق معرفته قدره حق تقديره، وامتثل أمره، واجتنب نهيـــه، وبالتالي ترك هواه من خشية الله.

٧- قلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قواعد الدين العظيمة، وأسسه المتينة، وقـد علق الله فلاح الأمة ونجاحها بقيامهم بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كمـــا قال سبحانه وتعـــالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[3].

وبه أمر نبينا صلى الله عليه وسلم، كما قال سبحانه وتعـــالى: ﴿ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ ﴾[4].

إنَّ من دواعي استجابة أهل الهوى النصح لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؛ لأنها تحي واعظ الله في القلب، فتذكر الناسي، وتعلم الجاهل، وتقيم المعوج وتوضـــح الحق، كما أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة من وسائل حماية المجتمع التي تمنع أن تفشو فيه أمراض الشهوات، وأمراض الشبهات، ولو قام المسلمون بمـــا يجـب عليهم لله في هذا الأمر لا نزجر كثيرٌ من أهل الهوى عن أهوائهم، ولا تعظ غيرهم عـــن

---

(١) (الزمر ٠٦٧)

(٢) (الأنعام ٠٦٢)

(٣) (آل عمران ١٠٤)

(٤) (النساء ٠٦٣)

الوقوع فيما وقعوا فيه.

٨- ترك الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

إنَّ الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصنٌ متينٌ، وسد منيع ضد الهـــوى، وما أُتي كثير من الناس إلاَّ من ترك الاتباع، ولو أنَّ المسلمين جردوا المتابعة لما تفـــرق جمعهم، ولما اختلفت كلمتهم، ولو أنهم جردوا المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لربحوا محبة الله التي لا تنال إلا باتباعه عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾[١]، والناظر في أحوال أرباب الهوى والبدعة يرى أنهم ما وقعوا فيما هـم فيه إلاَّ من ترك المتابعة، ومن اعتدادهم بعقولهم وأفهامهم ومن تقصيرهم في طلب الأدلة الشرعية من مظانها المعتبرة فجاءوا بما يخالف المنقول، ويصادم العقول، فلا سلم لهـم دينهم، ولا صح لهم فكرهم.

٩- مجالسة أهل الأهواء والبدع والتلقي عنهم:

حث الشارع الحكيم على مجالسة الصالحين، والبعد عن رفقاء السوء مـن أهـل الهوى والفجور؛ حتى لا يقع المسلم فيما وقعوا فيه، ومن الأدلة التي حثت على ذلك:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ... الآية﴾[٢].

قال الشوكاني -رحمه الله- في تفسير الآية: ((في هذه الآية موعظة عظيمـة لمـن يسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله))[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)[٤].

(١) (آل عمران ٠٣١)

(٢) (الأنعام ٠٦٨)

(٣) فتح القدير، ١٢٨/٢.

(٤) سبق تخريجه صـ ٨٣ في مبحث طرق تحصيل الإخلاص العملية.

وكذلك حث السلف الصالح على ترك مجالستهم، حتى لا يتأثر المسلم بهم، كما قال الحسن وابن سيرين -رحمهما الله-: ((لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم))[1].

ونقل الذهبي -رحمه الله- عن ابن عقيل أنه قال: ((كان أصحابنا الحنابلة يريدون مني هجران جماعة من العلماء، وكان ذلك يحرمني علماً نافعاً)).

فعلق الذهبي على كلامه: ((كانوا ينهونه عن مجالسة المعتزلة ويأبى حتى وقع في حبائلهم، وتجسر على تأويل النصوص نسأل الله السلامة))[2].

وفي ترك مجالسة المبتدعة فوائد منها:

١- حماية عقيدة المرء؛ لأنه قد يتأثر بهم.

٢- الزجر بالهجر لأهل البدع[3].

١٠- ترك مصادر أهل السنة والجماعة في التلقي:

وهذا من أسباب الوقوع في الهوى.

١١- الجهل بعواقب الهوى ومفاسده:

فالجهل بعواقب الهوى ومفاسده من الأسباب التي تهون هذا الأمر في عين صاحبه فيقع فيه دون مبالاة ودون تحسب لما ينتج من هذا الداء، وقد عقد لبيان مفاسد الهوى مبحث خاص بعد هذا المبحث.

فهذه أهم الأسباب التي تبعث الهوى وتحركه في النفوس.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٤٠١ في مبحث حكم الهوى.

(٢) سير أعلام النبلاء، ١٩/٤٤٧.

(٣) ينظر: موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، د/ إبراهيم عامر الرحيلي، ٢/٦٩٣، مكتبة الغرباء، المدينة النبوية، الأولى، ١٤١٥هـ.

المبحث الرابع

مفاسد الهوى

للهوى المذموم مفاسد كثيرة، فما خالط الهوى شيئاً إلاَّ أفسده، يقول ابن القيم -رحمه الله- عند بيانه لمفاسد الهوى: ((الثامن عشر : أن يعلم أنَّ الهوى ما خالط شيئاً إلاَّ أفسده فإن وقع في العلم أخرجه إلى البدعة والضلالة، وصار صاحبه من جملة أهل الأهواء، وإن وقع في الزهد أخرج صاحبه إلى الرياء ومخالفة السنة، وإن وقع في الحكم أخرج صاحبه إلى الظلم وصده عن الحق... وإن وقع في العبادة خرجت عن أن تكون طاعة وقربة فما قارن شيئاً إلا أفسده))[١].

ويقول -رحمه الله-: ((... والمقصود أنه سبحانه جمع بين الاستمتاع بالخلاق، وبين الخوض بالباطل؛ لأنَّ فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به، وهو الخوض، أو يقع في العمل بخلاف الحق والصواب، وهو الاستمتاع بالخلاق، فالأول البدع، والثاني اتباع الهوى، وهذان هما أصل كل شر وفتنة وبلاء، وبهما كذبت الرسل، وعصي الرب ودخلت النار...))[٢].

والنصوص المبينة لعظم فساد الهوى كثيرة قد سبق بعضها في حكم الهوى، ومنها:

قال تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ ﴾[٣].

---

(١) روضة المحبين، ٤١٧.

(٢) إعلام الموقعين، ١/١٨٤.

(٣) (المؤمنون ٠٧١)

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[(١)].

ولعلَّ في بيان بعض مفاسد الهوى العظيمة تحذير للمسلم عن الوقوع فيــه، فمــن مفاسد الهوى ما يلي:

١- اتباع الهوى يقدح في كمال الإيمان:

إنَّ المتبع لهواه الذي فرط في مرضاة مولاه، قد نقص إيمانه؛ لأنَّ الهوى يحمله علــى معصية الله سبحانه وتعالى، ومعلوم أنَّ المعاصي تؤثر في إيمان العبد فتنقص من كمالــه، ويكون مقدار نقص الإيمان بحسب عظم المعصية، وهذا معلوم من مذهب أهل الســنة والجماعة[(٢)].

قال ابن رجب -رحمه الله-: ((ومن كان حبه، وبغضه، وعطاؤه، ومنعــه؛ لهــوى نفسه كان ذلك نقصاً في إيمانه الواجب، فيجب عليه التوبة من ذلك، والرجـــوع إلى اتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم))[(٣)].

٢- يقدح في كمال التوحيد:

قال ابن رجب -رحمه الله-: ((... وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنــه، قادحٌ في تمام التوحيد وكماله؛ ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشــؤها من اتباع هوى النفس بما هو كفر وشرك، كقتال المسلم، ومن أتى حائضاً، أو امرأة في دبرها، ومن شرب الخمر في المرة الرابعة، وإن كان ذلك لا يخرجه عن الملة بالكليـــة؛ ولهذا قال السلف: كفر دون كفر، وشرك دون شرك، وقد ورد إطلاق الإلـــه علــى الهوى المتبع، قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[(٤)]))[(٥)].

---

(١) (ص ٠٢٦)

(٢) سبق تقرير أنَّ المعاصي تؤثر في الإخلاص والإيمان صـــ ١٧٤ ، مبحث تصورات خاطئة.

(٣) جامع العلوم والحكم، ٤٣٧/٢، وينظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان آل الشيخ، ٥٦٩-٥٧٠.

(٤) (الجاثية ٠٢٣)

(٥) كلمة الإخلاص، ٢٢٨-٢٢٩، ضمن الجامع المنتخب، وينظر: معارج القبول، للحكمي، ٤٣٣/٢.

ويوضح شيخ الإسلام في كلام له أنَّ صاحب الهوى فيه شرك؛ لذا عـــدَّ الهـــوى قادحاً في كمال التوحيد، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((فصاحب الهوى الذي اتبـع هواه بغير هدى من الله له نصيبٌ ممن اتخذ إلهه هواه فصار فيـــه شـــرك منعـــه مـــن الاستغفار...))[١].

٣- اتباع الهوى يقدح في كمال المتابعة:

لم يرسل الله سبحانه وتعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام إلاَّ ليطاعوا ويتبعـــوا في دعوهم،كما قال سبحانه وتعـالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[٢]، فكما أنه مطلوبٌ توحيد المرسِل فكذلك مطلوبٌ توحيد المرسَل بالمتابعة؛ ففـــي تمـــام المتابعة لهم عصمة للعبد من الوقوع في الشرك والبدع والمعاصي؛ لأنَّ تمام المتابعة يجنبـــه سوء الفهم ويوضح له السبيل المستقيم والنهج السديد الذي يجب عليه سلوكه؛ لتجنب الانحراف والضلال.

ولا تتحقق المتابعة التامة إلا بطرح الهوى وتقديم السنة عليه، فتمام المتابعة والهـــوى ضدان، ومن كان فيه هوى كان فيه تفريط في المتابعة التامة، وهذا التفريط يكون قـدره بقدر ما وقع فيه من الهوى، والمرء إما متبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإما متبـــعٌ لهواه لا ثالث لهما.

قال ابن القيـــم -رحمـــه الله-: ((قـــال الله: ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾[٣]، فقسم الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما: إمَّا الاستجابة لله والرسول وما جاء به، وإمَّا اتباع الهوى، فكـــل مـــا لم يـــأت بـــه الرســـول فـــهو

(١) مجموع الفتاوى، ٢٦٢/١٠.

(٢) (النساء ٦٤).

(٣) (القصص ٥٠).

من الهوى))[1].

٤- اتباع الهوى مخالف للمقصد الشرعي من وضع الشريعة:

قال الشاطبي -رحمه الله-: ((المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف من داعية هواه؛ حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبد لله اضطراراً))[2].

واستدل على كلامه بأمور أسوقها إجمالاً:

أحدها: النص الصريح الدال على أنَّ العباد إنما خلقوا للتعبد لله، والدخول تحت أمره ونهيه، كقوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[3].

الثاني: ما دلَّ على ذم مخالفة هذا القصد.

الثالث: ما علم بالتجارب والعادات من أنَّ المصالح الدينية والدنيوية لا تحصل مع الاسترسال في الاتباع للهوى، والمشي مع الأغراض[4].

٥- اتباع الهوى سبب رئيسي للمعاصي والبدع:

إنَّ الهوى داعية للمعاصي وجالب للبدع واتباعه موقع للعبد في هذين الأمرين، بل ربما وصل الحال بصاحب الهوى أن يقع في الشرك الأكبر بسبب اتباعه لهواه، ومعلومٌ أنَّ الطاعة سبب يحقق للعبد الهداية كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾[5]، واتباع الهوى ضد الطاعة؛ لذا فإن المتبع لهواه لا تتحقق له الهداية؛ لأنَّ من شرط هداية الله للعبد أن يكون مطيعاً، فإذا اتبع هواه فرط في الطاعة، ومن حرم هداية الله وقع في المعاصي والبدع، وأصيب بالخذلان، ولا تتحقق الطاعة إلا بتحقيق المتابعة لرسول الله

---

(١) إعلام الموقعين، ١/٨١.

(٢) الموافقات، ٢/٢٨٩.

(٣) (الذاريات ٥٦).

(٤) ينظر: الموافقات، ٢/٢٨٩-٢٩٢، باختصار.

(٥) (النور ٥٤).

صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال بعض السلف: ((من أمر السنة على نفسه قولاً وفعـــلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة لقوله وتعـــالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾[١]))[٢].

وأول معصية نشأت كان من أعظم أسبابها اتباع الهوى يقول الشهرستاني -رحمـه الله-: ((اعلم أنَّ أول شبهة وقعت في الخليقة: شبهة إبليس لعنه الله، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص، واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خلـــق منها، وهي النار على مادة آدم عليه السلام، وهي الطين))[٣].

ويقول ابن رجب -رحمه الله-: ((وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى علـــى الشرع، ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء، وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ، ومحبة ما يحبه))[٤].

٦- اتباع الهوى يضلُّ عن الحق ويبعد عن الصواب:

يقول سبحانه وتعـلى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾[٥].

قال الطبري -رحمه الله- في تفسير الآية السابقة: ((...وإنَّ الله لا يوفـــق لإصابـــة الحق، وسبيل الرشد القوم الذين خالفوا أمر الله وتركوا طاعته، وكذبوا رسله، وبدلـــوا

(١) (النور ٥٤٠)

(٢) ينظر: الزهد الكبير، للبيهقي، ١٦٥/٢، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيـــب، ١٤٥/١، وحلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، ٢٤٤/١٠.

(٣) الملل والنحل، للشهرستاني، ٢٣/١.

(٤) جامع العلوم والحكم، ٤٣٦/٢-٤٣٧.

(٥) (القصص ٥٠٠)

عهده، واتبعوا أهواء أنفسهم إيثاراً منهم لطاعة الشيطان على طاعة ربهم))[١].

وقال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: ((إنَّ أخوف ما أخاف عليكم اتبـــاع الهوى وطول الأمل، أمَّا اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق، وأمَّا طــول الأمــل فينســي الآخرة))[٢].

والسلف رضوان الله عليهم جعلوا الهوى علامةً للأمر الأبعد عن الصواب إذا تـردد المرء بين أمرين لا يدري ما يختار منهما، فما كان أقرب لهواه كان أبعد عن الصـــواب، ولهذا قالوا: ((إذا ابتدأت أمرين لا تدري أيهما الصواب فانظر أيهما أقرب إلى هــــواك مخالفة فإن كثرة الصواب في خلاف الهوى))[٣].

وأمَّا لماذا جعلوا الصواب أقرب لما خالف الهوى؟ فلأنَّ الهوى مرضٌ يمنع من صحـة الإدراك، ومن لا يدرك لابد له من علامة تميز له مراده حتى لا يقع في الخطــأ ويــزل، وهذه العلامة هي مخالفة الهوى.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((... وهذه الإرادة الفاسدة هي: الهــوى، الــذي يصد عن معرفة الحق، وهو مرض في القلب يمنعه ما فطر عليــه مــن صحــة الإدراك والحركة كما يمنع مرض العين ما فطرت عليه من صحة الإدراك والحركة، وكذلـــك المرض في سائر الأعضاء))[٤].

٧- اتباع الهوى يمرض القلب ويفسد الرأي:

قال الجنيد -رحمه الله-: ((علل القلوب من اتباع الهوى كما أنَّ علل الجوارح مــن مرض البدن))[٥].

---

(١) تفسير الطبري، ٢٠/٨٧.

(٢) شعب الإيمان، ٧/٣٦٩، برقم [١٠٦١٣].

(٣) الزهد الكبير، للبيهقي، ٢/١٥١.

(٤) تلبيس الجهمية، ٢/٤٧٠.

(٥) تفسير القرطبي، ١/٢١٥-٢١٦.

وقد أوضح ابن القيم -رحمه الله- السبب في أن اتباع الهوى، يمرض القلب ويفسد الرأي بكلام نفيس حيث قال -رحمه الله-: ((الثالث والأربعون: أنّ الله سبحانه وتعـالى جعل في العبد هوى وعقلاً، فأيهما ظهر توارى الآخر، كما قال أبو عليٍّ الثقفي: "مـن غلبه هواه توارى عنه عقله" فانظر عاقبة من استتر عنه عقله، وظهر عليه خلافه، وقـال علي بن سهل -رحمه الله-: "العقل والهوى يتنازعان فالتوفيق قرين العقل، والخـذلان قرين الهوى، والنفس واقفة بينهما فأيهما غلب كانت النفس معه"))[1].

ومن غاب عنه عقله، وضل فكره، وقع في الملـذات، وانغمـس في الشـهوات؛ ومرض قلبه.

٨- اتباع الهوى يوقع المسلم في صفة من صفات المنافقين:

سبق القول عن الحسن وقتادة -رحمهما الله- في تفسير قوله تعـالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[2] أنهما قالا: ((هو المنافق لا يهوى شيئاً إلا ركبه))[3].

ومن وقع في اتباع الهوى شارك المنافقين في خصلة من خصالهم.

٩- اتباع الهوى سبب للفرقة بين المسلمين:

وهذا أمرٌ واضح، والواقع يشهد بصحته؛ فصاحب الهوى نابذٌ رأي الجماعة، متبـعٌ لهواه، وبهذا شق صفهم، وفرق جمعهم، وصدع كلمتهم.

قال الطبري -رحمه الله-: ((عن عكرمة في قولـه: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾[4]، قال: لا يزالون مختلفين في الهوى))[5].

---

(١) روضة المحبين، ٤٢٤، وينظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ٩٩/١، ففيه كلام نفيس.

(٢) (الجاثية ٢٣).

(٣) ينظر صـــ ٣٩٧ في مبحث حكم الهوى.

(٤) (هود ١١٨-١١٩)

(٥) تفسير الطبري، ١٤٢/١٢.

١٠- سبب للحرمان من الجنة:

جعل الله سبحانه وتعالى من أسباب دخول الجنة: أن ينهى المرء نفسه عن هواهـــا، وألاَّ يتبع مناها، كما قال سبحانه وتعـــالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾[١].

يقول الطبري -رحمه الله- في تفسير الآية السابقة: ((وقولـه: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ يقول: وأمَّا من خاف مسألة الله إياه عند وقوفه يـــوم القيامة بين يديه فاتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيـــه، ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ يقول: ونهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله ولا يرضاه منها فزجرها عن ذلك وخالف هواها إلى ما أمره به ربه: : ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ يقول: فإنَّ الجنة هـــي مـــأواه ومترله يوم القيامة))[٢].

وأما من لم ينهها عن هواها فلا يكون مصيره إلى الجنة بل يحرم منها، وسبق بيـــان سبب تسمية الهوى بذلك؛ لأنَّه يهوي بصاحبه في النار لاتباعه هواه[٣].

١١- سبب لهلاك المرء:

قال صلى الله عليه وسلم: (ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوى متبع، وإعجـــاب المرء بنفسه)[٤].

١٢- يلقي صاحب الهوى الهوان:

إن المتبع لهواه فسد عقله، ومرض قلبه، وأصبح صريع الملذات، أسير الشـــهوات،

---

(١) (النازعات ٤٠-٤١)

(٢) تفسير الطبري، ٣٠/٤٨.

(٣) ينظر صـ ٣٩٣ في مبحث تعريف الهوى.

(٤) سبق تخريجه صـ ٤٠٠ في مبحث حكم الهوى.

واقع في المحرمات، منبوذ من رب الأرض والسماوات، سالك سبيل الغـــي، ســاءت سمعته، وقبحت سريرته، لا يرحب به في قوم، ولا يدعى لمكرمة، يجتنبـــه الصـــالحون، ويستاء من مجالسته الطيبون، ومن كانت هذه حاله فأي هوانٍ له بعد هذا.

قال الأصمعي -رحمه الله-:

((سمعت رجلاً يقول:

إن الهوان هو الهوى قلب اسمـــــه

فإذا هويت فقد لقيت هواناً))[1]

وسئل ابن المقفع[2] عن الهوى، فقال: ((هوان سرقت نونه))[3].

وقد نظم الشاعر معنى ما قاله ابن المقفع فقال:

نون الهوان من الهوى مسروقة

فإذا هويت فقد لقيت هواناً[4]

وقال آخر:

إن الهوى لهو الهـــوان بعينه

فإذا هويت فقد كسبت هواناً

---

(١) تفسير القرطبي، ١٦/١٦٤، وذم الهوى لابن الجوزي، ٥٧.

(٢) ابن المقفع: هو عبدالله بن المقفع، (١٠٦-١٤٢هـ) من أئمة الكتاب، وأول مـــن عـــني في الإســـلام بترجمة كتب المنطق، أصله من الفرس، ولد في العراق مجوسياً مزدكياً، وأسلم علـــى يـــد عيســـى بـــن علي عم السفاح، ولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، ومن كتبه التي ترجمها: كتب أرســـطا طـــاليس الثلاثة، وإيســـاغوجي، وكليلـــة ودمنـــة، وصنـــف: الأدب الكبـــير، والأدب الصغـــير، وغيرهـــا، اهم بالزندقة فقتله أمير البصرة سفيان بن معاوية المهلبي، وقيل قتله لغير ذلك، قال عنه الخليل بن أحمـــد: "ما رأيت مثله، وعلمه أكثر من عقله".

ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٦/٢٠٨-٢١٠، الأعلام، للزركلي، ٤/١٤٠.

(٣) تفسير القرطبي، ١٦/١٦٤، وذم الهوى، لابن الجوزي، ٥٧.

(٤) ينظر: المصدر السابق.

وإذا هويت فقد تعبدك الهوى

فاخضع لحبك كائناً ما كان[١]

١٣- يحرم من الفلاح في الدنيا وفي الآخرة:

إنّ نبذ الهوى دليل على الفلاح في الدنيا والآخرة، قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: ((قد أفلح من عصم من الهوى، والطمع، والغضب، وليس فيما دون الصدق من الحديث خير))[٢].

أما الفلاح في الدنيا: فقد سبق أن الهوى إذا ما اتبع غلب العقل، وضلّ الفكر، وران القلب، فكيف يفلح من هذه حالته؟! كما أنّ المتبع لهواه ينغمس في الملذات وتأسره الشهوات، فلا يستطيع الفكاك منها، وكلما زاد انعماسا زاد مرضاً وصعب علاجه فيحرم من الفلاح.

وأما في الآخرة؛ فلأنّ المتبع لهواه محروم من الجنة ومن حرم من الجنة كيف يفلح؟!.

١٤- أبطأ الناس استجابة لداعي الحق صريع الهوى:

ولهذا قيل: ((أبطأ الصرعى نهضةً صريع هوى يدعيه إلى الله قربة))[٣].

وصاحب الهوى: إما أن يعتقد أنه على الحق، أو لا يعتقد ذلك.

فإن اعتقد أنه على الحق احتاج إلى أمرين:

أن يقتنع بأنه على الباطل، وأن يترع عن هواه؛ ولهذا كان رجوعه أصعب.

وأما إن كان لا يعتقد أنه على الحق فإنّ رجوعه أسهل من سابقه؛ لأنه لا يحتاج إلاّ أن يترع عن هواه.

---

(١) تفسير القرطبي، ١٦/١٦٤.

(٢) مصنف عبد الرزاق "الجامع في آخره لمعمر" ١١/١٦٢، برقم [٢٠٢٠٤].

(٣) ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ٩/٣٠٦.

١٥- سبب من أسباب رفض النصح[1]:

المتبع لهواه راكب رأسه لما آثر هواه على داعي عقله، وأصبح عبداً لشهوته، وهــذا الأمر يمنعه من الاستجابة للنصح والوعظ ودعوة الحق، وهذه العلة هي الــتي جعلــت المشركين لا يقبلون الرسالة ويرفضون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما حملــهم على ذلك إلاّ الهوى مع أن الدلائل دلت على صدقه وصدق نبوته، قال سبحانه وتعــالى عنهم: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾[2].

١٦- يتخبط صاحب الهوى، ولا يهتدي للطريق المستقيم:

إنّ المتبع لهواه معرض عن مصدر الهداية والتوفيق، ومن كانت هذه حالته فكيــف يجد التوفيق، وكيف يهتدي للطريق المستقيم، قال سبحانه وتعــالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3].

فانظر كيف جعل الله حال من اتخذ إلهه هواه: الضلال، وحرمان الهداية، ومن هذه حالته فإنه يتخبط ولا يوفق للطريق المستقيم.

١٧- يجانب من كان متبعاً لهواه من المسلمين:

إن المسلم الصالح حريصٌ على نفسه من الضلال؛ ولهذا فكل سبب مــن أســباب الضلال فإنه يجتنبه خوفاً على نفسه من الزيغ والهلاك، ومن أسباب الضلال مجالسة أهل الأهواء؛ لأنّ لهم تأثيرهم على جليسهم، ومن رحمة الله بعباده أن شرع لهم مجانبة أهــل الهوى والضلال؛ حتى لا يتأثر غيرهم بهم، فيغويه عن الطريق المستقيم، وحتى يــترجر

---

(١) آفات على الطريق، د/ السيد محمد نوح، ١/٢٠٢.

(٢) (القصص ٥٠).

(٣) (الجاثية ٢٣).

صاحب الهوى ويرتدع عن هواه وغيه، وقد نهى السلف الصالح حتى عن أخذ العلـــم والتلقي عنهم مخافة أن يفتنوا المرء في دينه، قال الإمام مالك -رحمه الله-: ((لا يؤخـــذ العلم من أربعة، ويؤخذ ممن سوى ذلك:

لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من سفيه معلن بالســفه وإن كان من أروى الناس، ولا من رجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمــه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث))(١).

هذا وقد سبق الحديث عن هجر أصحاب الهوى(٢).

١٨- تباح غيبة صاحب الهوى:

لما كان صاحب الهوى مضراً بجليسه كما سبق بيانه، فقد جازت غيبته إن كـــان يؤثر على جليسه ليحذر منه، ويذكر بما فيه من هوى حتى يتقيه المسلمون، ولا يغـــتروا به، قال الحسن -رحمه الله-: ((ثلاثة لا غيبة لهم الإمام الخائن، وصاحب الهوى الـــذي يدعو إلى هواه، والفاسق المعلن فسقه))(٣).

وحكي القول بجواز غيبة صاحب الهوى عن السلف الصالح رضوان الله عليهم(٤).

---

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للحسن الرامهرمزي، ٤٠٣، تحقيق/ د. محمد عجاج الخطيـب، دار الفكر بيروت، الثالثة، ١٤٠٤هـ، والجامع لخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ١/١٣٩، والتمهيد، لابن عبدالبر، ١/٦٦.

(٢) ينظر مبحث أسباب الهوى، السبب رقم [٩].

(٣) الزهد، لابن أبي عاصم، ٢٨٨، تحقيق/ عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث، القاهرة، الثانيـة، ١٤٠٨هـ، وتفسير القرطبي، ١٦/٣٢٢.

(٤) ينظر: اعتقاد أئمة الحديث، لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، ٧٨، تحقيق د/ محمد الخميـس، دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤١٢هـ.

١٩- صاحب الهوى بذرة سيئة في المجتمع:

لما شرع مجانبة صاحب الهوى، وكذلك غيبته، علم أن صاحب الهوى بذرة ســيئة في المجتمع يضل الآخرين ويغويهم عن الحق، كما قـــال تعـــالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(١).

هذا الأمر هو العلة في مشروعية مجانبة أهل الأهواء؛ لإضلالهم الناس، وإبعـــادهم للناس عن الحق.

وأخيراً فهذه بعض مفاسد الهوى العظيمة لعل فيها زاجراً عن اتباع الهوى المذمــوم، وتحذيراً من عواقبه السيئة على الفرد والجماعة، أسأل الله التوفيق لي وللمســـلمين وأن يعصمنا من الهوى إنه على كل شيء قدير.

---

(١) (الأنعام ١١٩)

المبحث الخامس

علاج الهوى

جعل الله سبحانه وتعالى لكل مرض علاجاً، والهوى مرض من جملة الأمراض، وقد جعل سبحانه له علاجاً، واهتم العلماء -رحمهم الله- ببيان علاج الهوى، فابن القيم -رحمه الله- قد أوصل طرق علاج الهوى إلى خمسين طريقاً، سأذكر المهم منها مختصراً لها بحول الله، وحاول بعض المعاصرين إرجاع علاج الهوى إلى ضوابط وأصول تعصم من الهوى(1).

سأورد ما أراه مناسباً منها مضيفاً ما لم يذكروه بما رأيته مهماً في ذكره بحول الله.

أما ما ذكره ابن القيم -رحمه الله- فهذا بيان الطرق المهمة منها باختصار لها:

١- العزيمة.

٢- الصبر.

٣- نفس قوية تشجعه.

٤- النظر في العواقب.

٥- النظر في الآلام التي يسببها الهوى.

٦- إبقاؤه لمترلته عند الله.

٧- إيثاره لذة العفة على لذة المعصية.

٨- فرحه بغلبة عدوه.

٩- التفكر في أنه لم يخلق للهوى، بل لأمر عظيم لا يناله إلاّ بمخالفة هواه.

---

(١) ينظر: مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، لمحمد العبده وطارق عبد الحليم، ٦٣-٧٨، وينظر: مقاصد المكلفين، د/ عمر سليمان الأشقر، ٤٢٥-٤٣١، وينظر: آفات على الطريق، د/ السيد محمد نوح، ٢٠٦-٢٠٨.

١٠- ألا يختار لنفسه أن يكون كالبهيمة في اتباع هواه.

١١- أن ينظر في الفضائل التي تفوته.

١٢- أن يتفكر فيما تطالبه به نفسه وأنه ليس بشيء.

١٣- أن يأنف من أن تذل نفسه لهواها.

١٤- أن يوازن بين السلامة وبين نيل اللذة وأن لا نسبة بينهما.

١٥- أن يأنف لنفسه أن تكون تحت قهر الشيطان.

١٦- أن يعلم أن الهوى لم يخالط شيئاً إلا أفسده.

١٧- أن يعلم أن الهوى مدخل للشيطان.

١٨- أن يعلم أن الهوى مضاد لما أنزله الله على رسوله.

١٩- أن الله شبه متبع الهوى بالكلب والحمار.

٢٠- متبع الهوى ليس أهلاً أن يطاع أو يتبع.

٢١- متبع الهوى بمنزلة عابد الوثن.

٢٢- أن الهوى هو حائط جهنم المحيط بها فمن وقع فيه وقع فيها.

٢٣- الخوف على صاحب الهوى من أن ينسلخ عن إيمانه.

٢٤- اتباع الهوى من المهلكات.

٢٥- مخالفة الهوى تورث قوة للعبد في بدنه وقلبه ولسانه.

٢٦- أغزر الناس مروءةً المخالف لهواه.

٢٧- إذا غلب الهوى طُرد العقل.

٢٨- الخطأ واتباع الهوى قرينان.

٢٩- الهوى داء ومخالفته دواؤه.

٣٠- إن لم يكن جهاد الهوى أعظم من جهاد الكفار فليس بدونه.

٣١- يغلق أبواب التوفيق.

٣٢- من فسح لهواه ضيق على نفسه في قبره.

٣٣- يصرع العبد أن ينهض مع الناجين يوم القيامة.

٣٤- اتباع الهوى يحل العزائم ويوهنها.

٣٥- التوحيد واتباع الهوى متضادان.

٣٦- مخالفة الهوى تطرد داء القلب والبدن.

٣٧- أصل العداوة والحسد والشر من اتباع الهوى.

٣٨- الهوى عدة للباطل.

٣٩- من كانت بدايته الهوى فنهايته الذل والصغار.

٤٠- مخالفة الهوى توجب شرف الدنيا والآخرة.

هذه أهم ما ذكره رحمه الله من الطرق والمتأمل لها يرى أنها تعود إلى:

١- النظر في مفاسد الهوى.

٢- النظر في المصالح التي تعود لمن خالف هواه[1].

لكنَّ العلاج لابد أن يكون دواء لداءٍ نزل بصاحبه أو كاد أن يترل، فــلا يكفــي للمريض أن تصف داءه له، وتبين له أضرار ومفاسد هذا الــداء، ولا تعطيــه الــدواء المناسب، كما لا يكفي أن تذكر ما سيتحقق له من مصالح إذا ما ذهب هذا الداء عنه، نعم هذا مما يرغب في طلب العلاج لكنه ليس هو العلاج.

ولعل من المفيد أن أسوق ما ذكره أهل العلم علاجاً لداء الهوى مضيفاً ما أراه مــن المناسب لهذا الداء.

فعلاج الهوى، وما يعصم منه يكون بالأمور التالية:

أولاً: اتباع الكتاب والسنة:

الكتاب والسنة هما المصدر الأساسي للتلقي عند المسلم وبهمــا تــوزن الأقــوال، والأفعال، والاعتقادات، وجاءت النصوص الشرعية بوجوب اتباعهما؛ ليعصم العبد مــن

---

(١) ينظر: فيما أورده ابن القيم، روضة المحبين، ٤١٤-٤٢٧.

كل المضلات؛ لأنَّ الفلاح والنجاح والتوفيق والهداية لن تكون إلاَّ باتباعهما.

ومن أدلة الكتاب الكريم على وجوب اتباعهما ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾(١).

٢- وقـال تعـالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾(٢).

٣- وقـال تعـالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾(٣).

٤- وقال تعـالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾(٤).

٥- وقال تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾(٥).

يقول ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره للآية السابقة: ((قال مجاهد وغير واحد من السلف: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله))(٦).

ومن السنة النبوية هناك أيضاً أدلة كثيرة دلت على وجوب اتباع الكتاب

---

(١) (آل عمران ١٣٢)

(٢) (النساء ٠٦٩)

(٣) (آل عمران ٠٣٢)

(٤) (المائدة ٠٩٢)

(٥) (النساء ٠٥٩)

(٦) تفسير ابن كثير، ٥٦٨/١.

والسنة منها:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب النـــاس في حجة الوداع فقال: (أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم بــــه فلــن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه)(١).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعوني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكـــم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم)(٢).

والنصوص الآمرة باتباع الكتاب والسنة كثيرة، ذون فرق بينهما في الاتبـــاع؛ لأنَّ السنة وحيٌّ كما قال ســـبحانه وتعـــالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾(٣).

قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: ((لم أسمع أحداً -نسبه الناس أو نسب نفســـه إلى علم- يخالف في أنَّ فرض الله عزوجل اتباع أمر رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم، والتسليم لحكمه، بأنَّ الله عزوجل لم يجعل لأحد بعده إلاَّ اتباعه، وأنه لا يلزمُ قولٌ بكل حالٍ إلا بكتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنَّ ما سواهما تبعٌ لهمـــا، وأنَّ فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رســـول الله صلـــى الله عليـــه وسلم: واحد، لا يختلف في أنَّ الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله صلـــى الله

(١) أخرجه الإمام مالك بلاغاً في الموطأ "مع فتح البر" ، ١٤٧/١، تحقيق د/ محمد الغراوي، مجموعة التحـف والنفائس، الرياض الأولى، ١٤١٦هـــ، والبيهقي في السنن الكبرى، ١٩٤/١٠-١٩٥، برقم [٢٠٣٣٦] وقواه بالشواهد د/ محمد المغراوي، ينظر: فتح البر ١٤٧/١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء وسنن رسول الله صلى الله عليه وسـلم، ٣٠٨/١٣، برقم [٧٢٨٨].

(٣) (النجم ٠٠٣-٠٠٤)

عليه وسلم إلاَّ فرقة سأصف قولها إن شاء الله تعالى))[١].

إنَّ الاتباع للكتاب والسنة سياجٌ للمرء من الهوى أن يقوده للمهالك، والناس إمَّا متبعٌ للكتاب والسنة وإمَّا متبع لهواه لا ثالث لهما، مما يبين عظم أمر اتباع الكتاب والسنة فبهما ينجو المرء من هواه، ويتحصن من تسلط الهوى عليه.

ثانياً: اتباع منهج السلف الصالح في التعامل مع النصوص:

دلت الأدلة على وجوب اتباع السلف الصالح، ولزوم مذهبهم ومنهجهم؛ لسلامته، وصفائه من الشوائب، ولدقته وإحكامه، وكونه مبنياً على أسس راسخة مستمدة من النصوص الشرعية، ولكونهم عاصروا التتريل وبالتالي فهم أعلم بالتأويل، وقد أخذوا علمهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن جاء بَعْدَهم أخذه منهم، وهكذا استمرت هذه السلسلة حلقة ترتبط بأخرى، فمن كان منها فقد نهج نهجهم وفاز بطريقهم وكان أبعد الناس عن الهوى، ومن انقطع عن هذه السلسلة فقد خسر، وضل، وسقط في حبال الهوى، وشراك الردى.

ومن الأدلة الدالة على اتباع طريقهم ما يلي:

من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[٢].

٢- وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[٣].

فانظر كيف جعل الله جزاء من خالف سبيل المؤمنين نار جهنم، وأولى من اتُّبع

---

(١) جماع العلم، للشافعي، ١١-١٢، تحقيق/ أحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، مصر.

(٢) (التوبة ١٠٠)

(٣) (النساء ١١٥)

سبيله من المؤمنين هم سلف الأمة الصالحون؛ لكمال إيمانهم، وكمال متابعتهم، وهـــذا الكمال شهدت له النصوص، فاستحقوا به أن يكونوا خير القرون –كما سيأتي دليلـه– فمن كانت هذه حالته كان الأولى بالاتباع.

ومن نصوص السنة الدالة على وجوب اتباع منهجهم والسير على طريقتـــهم مـــا يلي:

١– عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم: (خير الناس قرني، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ يجيء أقوامٌ تســـبق شـــهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)(١).

و لم يستحقوا هذا الثناء إلاَّ لكمال إيمانهم، وكمال متابعتهم، ومن كانت هكـــذا حالتهم فواجب على من أراد أن يبلغ درجتهم ويحظى بمترلتهم أن يتبع منهجهم.

٢– وفي حديث الافتراق أبان النبي صلى الله عليه وسلم عن صفة الفرقة الناجية وهـــم من كان على طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم، فقد قـــال عليـــه الصـــلاة والسلام: (ليأتينَّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كـــان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإنَّ بني إسرائيل تفرقـــت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلاَّ ملـةً واحدة، قال: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي)(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شـــهادة جـــور إذا أشـــهد، ٣١٩/٥، برقـــم [٢٦٥٢]، وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهـــم، ثم الذيـــن يلونهم، ٣٢٤/٨–٣٢٥، برقم [٢٥٣٣].

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب شرح السنة، ٢٢٢/١٢–٢٢٣، برقم [٤٥٨٣،٤٥٨٤]، وأخرجـــه الترمذي –واللفظ له– كتاب الإيمان، باب ما جاء في افـــتراق هـــذه الأمـــة، ٣٣٢/٧–٣٣٤، برقـــم [٢٧٧٨–٢٧٧٩]، وابن ماجة، كتاب الفتن، باب افتراق الأمـــم، ٣٥٢/٤–٣٥٣، برقـــم [٣٩٩١–٣٩٩٣]، والإمام أحمد في المسند، ٣٠١/٨، برقم [٨٣٧٧]، والدارمي، كتاب السير، باب في افـــتراق هذه الأمة، ٣١٤/٢، برقم [٢٥١٨]، وابن أبي عاصم في السنة، ٣٢–٣٦، برقم [٦٣–٧١]، والآجري

=

ومن آثار السلف في الحث على اقتفاء أثر السلف الصالح، ما يلي:

١- قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((إنَّا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر))(١).

٢- وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: ((اتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم، فلعمري لإن اتبعتموه لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً))(٢).

٣- وكان الحسن -رحمه الله- في مجلس فذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((إنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله عزوجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، فتشبهوا بأخلاقهم، وطرائقهم، فإنهم ورب الكعبة على الهدى المستقيم))(٣).

كل هذه النصوص والآثار تحث على اتباع منهج السلف الصالح في كل الأمور، ومن جملتها التعامل مع النصوص الشرعية، وما ذكر فقليل من كثير، فحريٌّ بكل مسلم أراد السلامة من الهوى أن يقتفي أثرهم، ويسلك سبيلهم، لينال ما نالوه.

ثالثاً: التقوى والإخلاص:

أما الإخلاص فهذا البحث عقد لبيانه وسبق توضيح مفهومه، وأهميته، وآثاره.

وأما التقوى:

= في الشريعة، ١/٣٠٤-٣١٥، برقم [٢١-٢٩]، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١/١١١-١١٦، برقم [١٤٧-١٥٢] وصحح الحديث جمع من أهل العلم منهم: شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى، ٣/٣٤٥، والألباني في تحقيق السنة لابن أبي عاصم، ٣٢، وأحمد شاكر، في تحقيق المسند، ٨/٣٠١.

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١/٩٦-٩٧، برقم [١٠٦].

(٢) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ٢/٩٤٧، برقم [١٨٠٩].

(٣) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ٢/٩٤٦، برقم [١٨٠٧].

فقد أمر الله بها، وحث عليها وذكر فضائلها ومن تلك الفضائل أنَّ بها يحصل العلـم كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ ﴾(١) ووصى أنبياء الله عليهم صلــوات الله وسلامه أقوامهم بها فمن تلك الوصية:

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾(٣).

ومن الآيات الآمرة بالتقوى:

قولـــه تعـــالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾(٥).

والنصوص الآمرة بالتقوى والحاثة عليها كثيرة، لعل فيما سبق مقنع للمؤمن، ويبقى السؤال ما هي التقوى وما مفهومها؟.

عرف أهل العلم –رحمهم الله– التقوى، وذكروا عدَّة تعريفات لها، ومن ذلك :

١- قال الراغب الأصفهاني –رحمه الله–: ((فالتقوى حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور ويتم ذلك بترك بعض المباحات))(٦).

٢- وقال ابن رجب –رحمه الله–: ((وأصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافــه ويحذره وقايةً تقيه منه، فتقوى العبد لربه: أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه مــن:

---

(١) (البقرة ٢٨٢)

(٢) (الشعراء ١٠٦)

(٣) (الشعراء ١٢٤)

(٤) (النساء ١٣١)

(٥) (التغابن ٠١٦)

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، ٨٨١.

غضبه، وسخطه، وعقابه، وقايةً تقيه من ذلك، وهـــو فعـــل طاعتـــه، واجتنـــاب معاصيه))(١).

وقد أورد -رحمه الله- عدَّة آثار لأهل العلم في تعريف التقوى، كلها تدور علـــى: اجتناب المعاصي، وفعل الطاعات(٢).

ومن تعريف التقوى يظهر أنها ضد الهوى المذموم؛ لأنه من جملة المعاصي المطلـــوب اجتنابها لتحقيق التقوى، فإذا حققت التقوى طرد الهوى وتخلص العبد منه.

رابعاً: مجاهدة النفس، والصبر على هذه المجاهدة:

من أنجح الوسائل لطرد الهوى وكل معصية، مجاهدة النفس والصبر علــــى هـــذه المجاهدة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾(٣).

وهذا وعدٌ منه سبحانه لمن جاهد فيه أن يهديه السبيل المستقيم، والسبيل المســـتقيم والهوى لا يجتمعان فإما طريق مستقيم وسبيل قويم، وإمَّا هوىً وضلال.

فحريٌّ بكل من أراد علاج هواه أن يجاهد نفسه، ويصبر على هذه المجاهدة ليحظى بوعد الله، ومما يرغبه في مجاهدة نفسه أن يعلم أن جهاد النفس من أعظم الجهاد، قـــال ابن رجب -رحمه الله-: ((... وكذلك جهاد العدوّ الباطن، وهو جهاد النفس والهـــوى، فإنَّ جهادهما من أعظم الجهاد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (المجاهد من جـــاهد نفسه في الله)(٤).

وقال عمر بن عبدالعزيز لمن سأله عن الجهاد: ((ابدأ بنفســـك فجاهدهـــا، وابـــدأ

---

(١) جامع العلوم والحكم، ٤١١/١.

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم، ٤١١/١-٤١٧.

(٣) (العنكبوت ٦٩٠)

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ١٨١/١٧، برقم [٢٣٨٣٤]، والترمذي، أبواب فضائل الجهاد، باب مـــا جاء في فضل من مات مرابطاً، ٢٠٦/٥، برقم [١٦٧١]، وابن حبان في صحيحـــه ٢٠٣/١١-٢٠٤، برقم [٤٨٦٢]، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ١١٣٣/٢ برقم [٦٦٧٩].

بنفسك فاغزها))[١].

خامساً: تحويل الاتجاه[٢]:

النفس الإنسانية دائمة الهم والإرادة، وهي كالنهر المتدفق والناس إن خافوا من تدفق النهر وإهلاكه لهم، فليس لهم القدرة في إيقاف تدفقه أو قطع منبعه، وإنما سيعملون على تغيير اتجاه النهر، وتحويل مجراه.

وكذلك النفس الإنسانية، لا يمكن أن يوقفها المرء عن الطلب والهم والإرادة، ولهذا فإنَّ العمل على تغيير اتجاه هذا الهم والإرادة، لما يحمد فعله من أنجح الوسائل في رفع الهوى المذموم، ومثاله: أنَّ الله سبحانه وتعالى غرس في نفوس عباده الشهوة والميل إلى النساء، ولا يمكن قلع هذا الميل والشهوة من النفس، فماذا يعمل المرء ليوجهها التوجيه الصحيح؟ عليه أن يعلم أنَّ الذي حرم الزنا والفواحش أباح النكاح، فحرم الخبيث وأباح الطيب، فمن أراد أن يوجه شهوة النساء التوجيه الصحيح فعليه أن يصرفها عن الحرام وأن يطلب النكاح المباح، فيكون قد لبى رغبتها من الطريق المحمود.

قال سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[٣].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في تفسير الآية السابقة: ((سياق الكلام يدل على أنه ضعيف عن ترك الشهوات فلابد له من شهوة مباحة يستغني بها عن المحرمة، ولهذا قال طاووس ومقاتل: "ضعيف في قلة صبره عن النساء"))[٤].

سادساً: النظر في أسباب الهوى ليعالج هذه الأسباب:

فما كان من الممكن أن يبتعد عنه حاول جاهداً البعد عنه، وما كان عن ضعف

---

(١) جامع العلوم والحكم، ٥١٦/١.

(٢) ينظر: مقاصد المكلفين، د/ عمر سليمان الأشقر، ٤٢٥.

(٣) (النساء ٢٨).

(٤) مجموع الفتاوى، ٥٧٢/١٠.

منه سلط عليه الهوى عالج هذا الضعف، وهكذا يحاول استخدام ما يناسب كل سـبب أوقعه في الهوى.

سابعاً: النظر في مفاسد الهوى ليحذره الإنسان وينفر منه :

وقد مضى ذكر جملة من هذه المفاسد .

ثامناً: طلب العون من الله في أن يدفع عنه الهوى المذموم:

والالتجاء إليه سبحانه وتعالى، والاطراح بين يديه ليعينه في دفع هواه، فإنه سبحانه وتعالى نعم المعين، ومن لم يكن له عون من الله هلك في أودية الهوى، وسقط في مهالك الردى، ودعاؤه لمولاه مصداق قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه في الحديث القدسي: (يا عبادي كلكم ضال إلاّ من هديته فاستهدوني أهدكم)[١].

تاسعاً: محاسبة النفس:

أي أن يحاسب العبد نفسه على تقصيره في جنب الله وعلى ما فرط فيه، وعلى ما لم ينه نفسه عن هواها فيه[٢].

فهذه بعض طرق علاج الهوى، والمسلم حريصٌ على ما ينفعه، حَذِرٌ مما يضره، فإن رأى أنّ نفسه بحاجة لهذا العلاج حرص عليه لدفع شر الهوى عنه، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ٣٧٥/٨، برقم [٢٥٧٧].

(٢) ينظر صـ ٣٢١ في مبحث علاج الرياء، فقرة رقم /٦، فقد سبق الحديث عن محاسبة النفس هناك.

المبحث السادس

أثر الهوى على الإخلاص

قد يكون المحرك على العمل والباعث عليه هو الهوى، وليس الباعث عليـه إرادة الله وحده؛ وعليه فإنَّ الهوى يعد من مضادات الإخلاص ونواقضه، وقد ذكر ذلك عدد من أهل العلم -رحمهم الله-:

قال سهل بن عبدالله التستري -رحمه الله-: ((نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن يكون حركاته، وسكونه في سره وعلانيته لله وحده لا شريك لــه، لا يمازجه شيء: نفس، ولا هوى، ولا دنيا))[١].

فقد جعل -رحمه الله- الحركة لله وحده دون ممازجة شيء من: حظوظ النفــس، والهوى، والدنيا: إخلاصاً، وأمَّا إن مازجه شيءٌ من ذلك فليس بإخلاص.

وقال الجنيد -رحمه الله-: ((الإخلاص سر بين العبد وبين الله لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله))[٢].

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((فصاحب الهوى الذي اتبع هواه بغير هدى مــن الله له نصيبٌ ممن اتخذ إلهه هواه، فصار فيه شرك منعه من الاستغفار، وأمَّا من حقــق التوحيد والاستغفار فلابد أن يرفع عنه الشر))[٣].

فإذا كان اتباع الهوى من الشرك، فإنه من نواقض الإخلاص؛ لأنَّ الشرك بأنواعــه مما يضاد الإخلاص، وسبق بيان ذلك.

قال ابن القيم -رحمه الله- متحدثاً عن أوصاف القلب السليم: ((... ولا تتم لــــه

---

(١) شعب الإيمان، ٣٤٧/٥، برقم [٦٨٧٨]، والسنن الصغرى، ٢٢/١، برقم [٧]، كلاهما للبيهقي.

(٢) تفسير القرطبي، ١٥١/٢.

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٦٢/١٠.

سلامته مطلقاً حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد، والإخلاص.

وهذه الخمسة حجبٌ عن الله، وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة تتضمن أفراداً لا تحصر))[١].

قال ابن رجب -رحمه الله-: ((... قال الله عز وجلّ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٢]، وهذا نصٌ في أنَّ محبة ما يكرهه الله، وبغض ما يحبه متابعة للهوى، والموالاة على ذلك، والمعاداة عليه، من الشرك الخفي...))[٣].

وقال الشاطبي -رحمه الله-: ((... فقد جعل الله اتباع الهوى: مضاداً للحق، وعده قسيماً له كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٤]... فقد حصر الأمر في شيئين: الوحي: وهو الشريعة، والهوى، فلا ثالث لهما، وإذا كان كذلك فهما متضادان...))[٥].

وقال -رحمه الله-: ((وأما العمل بالحظ والهوى بحيث [٦] يكون قصد العامل تحصيل مطلوبه وافق الشارع أو خالفه فليس من الحق في شيء، وهو ظاهر والشواهد عليه أظهر))[٧].

وقد جعل -رحمه الله- العمل للهوى مضاداً للحق ومن جملة الحق الإخلاص.

---

(١) الداء والدواء، ٢٩٩-٣٣٠، وينظر منه، ٣١٨، حيث عد من أنواع الشرك العمل للهوى.

(٢) (آل عمران ٠٣١)

(٣) جامع العلوم والحكم، ١/٥٥٦، وينظر كلمة الإخلاص ضمن الجامع المنتخب، ٢٢٨، للمؤلف.

(٤) (ص ٠٢٦)

(٥) الموافقات، ٢/٢٩٠-٢٩١.

(٦) أورد المحقق هنا حرف [لو] بين معكوفتين لكن السياق لا يتلاءم مع ذكرها، والله أعلم .

(٧) الموافقات، ٢/٣٧٧.

وقال -رحمه الله- في معرض حديثه عن الأعمال التي تعمل لغير الله مـــع كونهـــا موافقة للشرع: ((والحاصل أنّ هذه الأعمال التي كان الباعث عليها الهوى المجـــــرد، إن وافقت قصد الشارع بقيت ببقاء حياة العامل، فإذا خرج من الدنيا فنيت بفناء الدنيـــا، وبطلت: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾[1]، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾[2]))[3].

ومما استدل به من قال بأنّ الهوى يضاد الإخلاص ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[4].

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسير الآية السابقة: ((الهوى إله يعبد مـــن دون الله ثم تلا هذه الآية: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾))[5].

وقال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيرها: ((أي: إنما يأتمر بهواه، فما رآه حسناً فعله، وما رآه قبيحاً تركه))[6].

ويقول الشاطبي -رحمه الله- فيما يُعقبه الهوى على صاحبه: ((وذلك أنّ مخالفة مـــا تهوى الأنفس شاق عليها وصعب خروجها عنه، ولذلك بلغ أهل الهوى في مســـاعدته مبالغ لا يبلغها غيرهم، وكفى شاهداً على ذلك: حال المحبين، وحال من بعث إليـــهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين وأهل الكتاب، وغيرهم ممن صمم على ما

---

(١) (النحل ٠٩٦)

(٢) (الشورى ٠٢٠)

(٣) الموافقات، ٤٥٨/١.

(٤) (الجاثية ٠٢٣)

(٥) تفسير القرطبي، ٤٠/١٣.

(٦) تفسير ابن كثير، ١٥٨/٤.

هو عليه، حتى رضوا بإهلاك النفوس والأموال، و لم يرضوا بمخالفة الهوى؛ حتى قـــال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾[1]، وقـــال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾[2])) [3].

٢- وقال تعالى: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾[4]، قد ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة حال المشركين، ووصفهم باتباع الهـــوى، وهـــذه التبعيـــة حملتهم على الشرك بالله إرضاءً لأهوائهم، فكان الهوى مضاداً للإخلاص.

يقول ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: ((أي: ليس له مستند إلا حســـن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلاّ حظ نفوسهم في رياســـتهم، وتعظيم آبائهم الأقدمين))[5].

وانظر كيف وصفهم ابن كثير بأنهم عملوا لحظ نفوسهم، والعمل لحظ النفس ممـــا يضاد الإخلاص، ولا يكون العمل خالصاً حتى يكون لله وحده.

٣- وقـــال تعـــالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ ﴾[6].

قال السعدي -رحمه الله- في تفسيره للآية: ((أي: لا يستوي من هو على بصـــيرة من أمر دينه علماً، وعملاً، قد علم الحق واتبعه، ورجا ما وعده الله لأهل الحق كمـــن هو أعمى القلب، قد رفض الحق وأضله، واتبع هواه بغير هدى من الله، ومع ذلك يـرى

(١) (الجاثية ٠٢٣)

(٢) (النجم ٠٢٣)

(٣) الموافقات، ٢/٢٦٤.

(٤) (النجم ٠٢٣)

(٥) تفسير ابن كثير، ٤/٢٦٨.

(٦) (محمد ٠١٤)

أنَّ ما هو عليه من الحق، فما أبعد الفرق بين الفريقين!، وما أعظـــم التفـــاوت بـــين الطائفتين!، أهل الحق، وأهل الغي))(١).

وهذه الآية تفيد ما أفادته الآية السابقة.

٤- وقال صلى الله عليه وسلم: (تعس عبدالدينار، وعبدالدرهم، وعبدالخميصـــة،: إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش)(٢).

قال ابن رجب -رحمه الله- في معرض استدلاله بالحديث السابق على أنَّ الهوى إله متبوع: ((... فدلَّ هذا على أنَّ كل من أحب شيئاً وأطاعه، وكـــان غايـــة قصـــده ومطلوبه، ووالى لأجله، وعادى لأجله، فهو عبده، وكـــان ذلـــك الشـــيء معبـــوده وإلهه))(٣).

٥- وقال صلى الله عليه وسلم: (ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوى متبع، وإعجـــاب المرء بنفسه... الحديث)(٤).

فقد عد النبي صلى الله عليه وسلم من المهلكات الهوى المتبع، ولا يكـــون الهـــوى متبعاً حتى يُعمل لأجله، فيكون المرء تابعاً لهواه عاملاً له، وبهذا لا يكون عاملاً لله، ومن ثَمَّ فليس بمخلص.

٦- ومما يدل على أنَّ اتباع الهوى عبادة من دون الله؛ وبالتالي فهو يناقض الإخـــلاص قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَـٰنَ﴾(٥)، فقـــد سمى الله اتباع الشيطان في المعاصي عبادةً له.

قال ابن رجب -رحمه الله- في معرض استدلاله بالآية السابقة على أنَّ الهوى إله

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ٧٨٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، ٦/١٠٠، برقم [٢٨٨٧].

(٣) كلمة الإخلاص، ٢٣٠.

(٤) سبق تخريجه في صـــ ٤٠٠ في مبحث حكم الهوى.

(٥) (يس ٠٦٠)

متبوع: ((... ويدل عليه أيضاً أنّ الله تعالى سمى طاعة الشيطان في معصيـــــة: عبـــادةً للشيطان،كما قال تعـــالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ﴾، وقال تعالى حاكياً عن خليله إبراهيم أنه قـــال لأبيـــه: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ ﴾[(١)]، فمن لم يتحقق بعبودية الرحمن وطاعته، فإنـــه يعبد الشيطان بطاعته له، و لم يخلص من عبادة الشـــيطان إلاَّ مـــن أخلـــص عبوديـــة الرحمن))[(٢)].

وعموماً فكل النصوص الدالة على كون الإنسان قد يتبع هواه تفيد أنـــه مضـــاد للإخلاص[(٣)]؛ لأن العمل إمَّا أن يكون لله وحده، أو لغيره من هوى، أو دنيا...إلخ.

فالأول: الإخلاص، والثاني: ضده.

فلا يصح للعبدُ توحيد -وأحد أركانه الإخلاص- حتى يفـــرد طلبـــه، وإرادتـــه، ومطلوبه، فلا ينقسم المطلوب، ولا الطلب.

فتوحيد المطلوب: بأن لا يتعلق طلبه وإرادته بغير الله، وما يقرب إليه ويدني منه.

وأمَّا توحيده في الطلب: بأن يســـتأصل الطلـــبُ والإرادةُ: نـــوازع الشـــهوات، وجواذب الهوى، فلا يدع في نفسه فضلاً لغير الانجذاب إلى جانب الحق جلَّ جلاله[(٤)].

ولكن يبقى السؤال ما أثر الهوى على الإخلاص؟

ونجيب على ذلك أن أعمال الإنسان إما طاعات، وإما معاصٍ.

أما المعاصي فجميعها تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورســـوله، ومـــن هذه المعاصي التي تنشأ من الهوى:

---

(١) (مريم ٤٤٠)

(٢) كلمة الإخلاص، ٢٣٠، وينظر: جامع العلوم والحكم، ١/٥٥٥.

(٣) سبق بعضها غير المذكور هنا في مبحث حكم الهوى صـ ٣٩٧-٤٠٠.

(٤) ينظر: عدة الصابرين، ٤٠٥-٤٠٦.

الشرك، فقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه حيـــث قـــال عنـــهم: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[١].

وكذلك البدع تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا يسمى أصحابهـــا أهـــل الأهواء.

وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه الله[٢].

وعلى هذا فإنّ الهوى يدفع للمعصية، ولا تخلو المعصية من أن تكون:

١- شركاً أكبر: وفي هذه الحالة يكون أثر الهوى على الإخلاص كأثر الشرك الأكـــبر على الإخلاص؛ لأنه دفع إليه، وأصبح منه.

٢- شركاً أصغر: وفي هذه الحالة يكون أثر الهوى على الإخلاص، كأثر الشرك الأصغر على الإخلاص، لأنه منه.

٣- أن يدفع لكبائر المعاصي والذنوب، والبدع، والصغائر التي لا تخرج عن الإسلام ولا تعد من الشرك الأصغر، فإنّ أثر الهوى هنا على الإخلاص كأثر المعـــاصي -الـــتي ليست من الشرك- على الإخلاص، وهي تنقص من كمال الإخـــلاص الواجـــب لكنها لا تنفيه كلية كالشرك الأكبر، أو تبطله في العمل المشاب كالشرك الأصغـــر كما سبق في تفصيل أثره على الإخلاص في الرياء.

ويكون النقص في الإخلاص بقدر هذه المعصية، لأنّ المعاصي رتب متفاوتة كالطاعات، قال ابن عبدالبر -رحمه الله-: ((قال ابن القاسم -رحمه الله- قد يكون من غـــير أهـــل الأهواء من هو شر من أهل الأهواء، وكان يقال تمام الإخلاص تجنب المعاصي))[٣].

---

(١) (القصص ٠٥٠)

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٤٣٦/٢-٤٣٧.

(٣) التمهيد، لابن عبد البر، ٢٦٣/٢٠، وينظر: تفسير القرطبي، ١٧٧/٤.

فقد جعل ابن القاسم[1] -رحمه الله- تمام الإخلاص -الواجب- تجنب المعاصي.

ويدلُّ على هذا الكلام أن صاحب الكبيرة قد يدخل النار بكبيرته، ولا يدخل النار من حقق الإخلاص الكامل مما يدل على أنَّ الكبائر تنقص من كمال الإخلاص الواجب، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((... فإن الإخلاص ينفي أسباب دخول النار فمن دخل النار من القائلين لا إله إلا الله لم يحقق إخلاصها المحرم له على النار بل كان في قلبه نوع من الشرك الذي أوقعه فيما أدخله النار))[2].

وقد ذكرت الأدلة على كون الكبائر قد تدخل النار في مبحث تصورات خاطئة عن حقيقة الإخلاص[3].

ولا يعني كلام شيخ الإسلام أو غيره ممن يسمى الذنوب شركاً أنها الشرك المخرج عن الملة، أو من أنواع الشرك الأصغر، كما قال البيهقي -رحمه الله- عن أهل السنة والجماعة: ((وكانوا يجرون الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاءت تعظيماً لحرمات الله، ولا يعدون الذنوب شركاً، ولا كفراً))[4].

وأما مراد من أطلق على الذنوب -الكبائر- شركاً أو كفراً فالمقصود شرك دون شرك، وكفر دون كفر، وليس المقصود الكفر المخرج عن الملة، أو الشرك المخرج عن

---

(١) ابن القاسم: هو عبدالرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي مولاهم، أبو عبدالله (١٣٢-١٩١هـ) المصري، عالم مصر، ومفتيها، صاحب الإمام مالك، روى عنه وعن غيره أحاديث، وكان ثقة، وقد أثنى عليه جمع من أهل العلم، منهم الإمام مالك رحمه الله، قيل عنه كان يختم القرآن مرتين كل ليلة، وكان فيه: العبادة، والسخاء والشجاعة، والعلم، والورع، والزهد، روى له البخاري، وأبو داود في المراسيل. ينظر: تهذيب الكمال، للمزي، ١١/٣٣٤-٣٣٦، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٩/١٢٠-١٢٥، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ٥٩٥.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٠/٢٦١، وسبق نقله في ثمار الإخلاص صـ ٩٨ .

(٣) ينظر صـ ١٧٤ ، المطلب الحادي عشر.

(٤) الاعتقاد، ١/٣٣٦.

الملة.

يقول ابن رجب -رحمه الله-: ((وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قـــادح في تمام التوحيد، وكماله؛ ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشؤها مـــن هوى النفس أنها كفر، وشرك، كقتال المسلم... ومن شرب الخمر في المرة الرابعة وإن كان ذلك لا يخرجه عن الملة؛ ولهذا قال السـلف: كفـر دون كفـر وشـرك دون شرك...))(١).

فهذا أثر الهوى على الإخلاص إن دفع الهوى لمعصية.

ولكن ما أثر الهوى على الإخلاص إذا كان الدافع لفعل الطاعة مجرد الهوى؟ بمعـنى أنه لم يفعل الطاعة امتثالاً لأمر الله، و لم ينته لنهي الله بل لمجرد الهوى؟ وفي جواب هـذا السؤال يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((... ويحتاج أن يُؤمر بذلك لأمر الله[بـه] وينهى عنه لنهي الله عنه، ويخبر بما أخبر الله به؛ لأنه حق وإيمان وهدى وكمال، كما تحتاج العبادة إلى [أن] يقصد بها وجه الله، فإذا قيل ذلك لاتباع الهوى والحميـة، أو لإظهار العلم والفضيلة، أو لطلب السمعة والرياء، كان بمترلة المقاتل شـجاعة وحمية ورياءً))(٢).

ويظهر من كلام شيخ الإسلام -رحمه الله- أن من أمر أو نهى لهواه، فإنه بمترلـة المرائي، وطالب السمعة، فقد عامله معاملة من وقع في الشرك الأصغر.

ويقول ابن القيم -رحمه الله-: ((وأمَّا الشرك في العبادة فهو أسهل من هذا الشـرك وأخف أمراً، فإنه يصدر ممن يعتقد أنه لا إله إلا الله، وأنه لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع إلا الله، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه، ولكـن لا يخـص الله في معاملتـه وعبوديته، بل يعمل: لحظ نفسه تارةً، ولطلب الدنيا تارةً، ولطلب الرفعة والمترلة والجـاه

---

(١) كلمة الإخلاص، ٢٢٨، وينظر تيسير العزيز الحميد، لسليمان آل الشـيخ، ٥٧٠، ومعـارج القبـول، للحكمي، ٤٣٢/٢-٤٣٣، وسبق نقل الكلام.

(٢) الاستقامة، ٣٠٠/٢.

عند الخلق تارةً، فلله من عمله وسعيه نصيب، ولنفسه، وحظـــه، وهـــواه نصيـــب، وللشيطان نصيب، وللخلق نصيب))[1].

فقد جعل -رحمه الله- العمل لمجرد الهوى، وحظ النفس من أنواع الشرك الأصغر.

وعليه فإنَّ فعل الطاعة لمجرد الهوى من الشرك الأصغر، قياساً على الريـــاء -كمـــا قرره شيخ الإسلام آنفاً- إذ العلة واحدة، وهي: إرادة غير الله بالعمل، لكـــنَّ المرائـــي قصد الناس بعمله، وأمَّا من فعل الطاعة لمجرد الهوى فقد قصد حظ نفسه، فيكون وقـــع في الشرك الأصغر؛ لأنه قصد بعمله غير الله، وفي هذه الحالة فإن أثـــر الهـــوى علـــى الإخلاص كأثر الشرك الأصغر على الإخلاص بتفصيلاته السابقة، والله أعلم.

---

(١) الداء والدواء، ٣١٨.

الفصل السابع

العمل لتحقيق شهوات النفس وحظوظها

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: العجب.

المبحث الثاني: الكبر.

المبحث الثالث: التعبد بقصد الاطلاع على العوالم الغيبية.

المبحث الرابع: الحقد والحسد.

المبحث الأول

العجب

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف العجب.

المطلب الثاني: أنواع العجب.

المطلب الثالث: أسباب العجب.

المطلب الرابع: مظاهر العجب.

المطلب الخامس: علاج العجب.

المطلب السادس: حكم العجب، وأثره علـــى الإخـــلاص، وكيف ينقضه.

المطلب الأول: تعريف العجب:

أولاً: تعريف العجب لغة:

قال ابن فارس -رحمه الله- تحت مادة "عجب": ((العين، والجيم، والباء، أصلان صحيحان، يدل أحدهما: على كبر واستكبار للشيء، والآخر خِلقة من خلق الحيوان.

فالأول: العُجب: وهو أن يتكبر الإنسان في نفسه، تقول: هو معجب بنفسه، وتقول من باب العجب: عجب يَعْجبُ عَجَباً، وأمرٌ عجيب، وذلك إذا استُكبر واستُعظم...))[١].

وقال الراغب الأصفهاني -رحمه الله- تحت مادة: "عجب": ((... ويقال لمن يروقه نفسه: فلانٌ معجب بنفسه...))[٢].

وقال الفيروز آبادي -رحمه الله- تحت مادة "عجب": ((... وبالضم: الزهو، والكبر...))[٣].

وقال ابن منظور -رحمه الله- تحت مادة: "عجب": ((والعُجْبُ: الزُّهُوُّ، ورجلٌ معجبٌ: مزهوٌّ بما يكون منه حسناً أو قبيحاً، وقيل: المُعجب: الإنسان المعجب بنفسه، أو بالشيء، وقد أعجب فلانٌ بنفسه، فهو معجبٌ برأيه، وبنفسه، والاسم: العُجْب بالضم...))[٤].

ثانياً: تعريف العجب في الشرع:

ذكر أهل العلم تعريفات للعجب متنوعة فمن تلك التعريفات:

١- قال عبد الله بن المبارك -رحمه الله- وقد سأل عن العجب: ((أن ترى أنَّ عندك

---

(١) معجم المقاييس في اللغة، ٧٤٣-٧٤٤.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ٥٤٧.

(٣) القاموس المحيط،١ /١٠٥.

(٤) لسان العرب، ٢/٦٨٨.

شيئاً ليس عند غيرك، قال: ولا أعلم في المصلين شيئاً شرٌّ من العجب))[(١)].

٢- وقال الراغب الأصفهاني -رحمه الله- عنه: ((العجب: ظن الإنسان في نفسه استحقاق مترلة هو غير مستحق لها))[(٢)].

٣- وقال الغزالي -رحمه الله- عنه: ((وإذ العجب: يحصل بالاستعظام، ونسيان النعمة، دون توقع جزاء عليه))[(٣)].

٤- وقال الجرجاني -رحمه الله- عنه: ((هو عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقاً لها، وتغير النفس بما خفي سببه، وخرج عن العادة مثله))[(٤)].

٥- وقال ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- فيه: ((قال القرطبي: إعجاب المرء بنفسه: هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله))[(٥)].

٦- وقال ابن حجر الهيتمي -رحمه الله- فيه: ((فهو استعظام النعمة، والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى الله تعالى))[(٦)].

٧- وقال المناوي -رحمه الله- فيه: ((... وعرف بعضهم العجب بأنه: استعظام النعمة مع نسيان إضافتها للمنعم))[(٧)].

٨- وقال صديق حسن خان -رحمه الله- فيه: ((وهو أن يرى في نفسه فضيلة تحصل بها للنفس هزة، وفرح، ولا يشترط فيه رؤية الغير))[(٨)].

ومن التعريفات السابقة يتضح أنَّ العجب:

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي، ٦/٣٠٣، برقم [٨٢٦٠].

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ٣٠٦.

(٣) إحياء علوم الدين، ٣/٤٧٤، ويقصد: بالاستعظام: استعظام النفس.

(٤) التعريفات، ١٩٠.

(٥) فتح الباري، ١٠/٣٢١.

(٦) الزواجر، ١/١٥٤، وينظر: القوانين الفقهية، لابن جزي، ٢٨٦.

(٧) فيض القدير، ٢/٣٧٥.

(٨) أبجد العلوم، ٢/٨٥.

خلق في النفس، يكون بالاستعظام لها، دون نظر من المعجب إلى أنّ ما أعجب به من عند الله وليس من عنده، كما أنّ المعجب بنفسه يظنُّ أن ما عنده ليس عند غيره؛ ولهذا أعجب به.

فأركان العجب على ما سبق هي:

مكانه: وهو النفس، يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه من الخيلاء)[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إعجاب المرء بنفسه) دلّ على أنّ مكان العجب هو النفس.

صفته وهيئته: استعظام للنفس، أو ملاحظتها بعين الكمال، أو الزهو بها.

صاحبه: المعجب.

ما كان به العجب: العمل، العلم...إلخ.

دافع العجب الرئيسي: رؤية العبد وملاحظته لنفسه، وعمله دون أن يتذكر أنّ ما به من نعم الله عليه.

كما أنّ ظنه أنّ ما عنده ليس عند غيره دافعٌ له أيضاً.

المطلب الثاني: أنواع العجب:

ذكر عدد من أهل العلم أنّ للعجب أنواعاً وأقساماً[2]، يكون بها العُجْب، وهذه الأنواع والأقسام هي أصول تجمل الأمور التي يتم بها العجب، وبيان هذه الأقسام والأنواع كالتالي:

١- أن يعجب ببدنه: بجماله، وهيئته، وصحته، وحسن صورته... ناسياً أنها نعمة من

---

(١) سبق تخريجه صـ ٤٠٠ ، في مبحث حكم الهوى.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٣/٤٧٩-٤٨٤، وموعظة المؤمنين، للقاسمي، ٣٨٠-٣٨٢، والعجب، لعمر موسى الحافظ، ٣٩، طيبة، الرياض، ١٤١٨هـ.

عند الله، وأنها بعرضة الزوال في كل حال.

٢- أن يعجب بقوته وبطشه، كما حكى الله عن قوم عاد حين قالوا فيما أخبر عنهم سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ....الآية﴾[1].

فانظر كيف كان عجبهم بقوتهم وبطشهم حتى قالوا أن لا أحد أشد منهم قوة، فأذاقهم الله عذاب الخزي بما قالوا.

٣- العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الأمور، من مصالح الدين والدنيا، وثمرته: الاستبدا بالرأي، وترك المشورة، وعدم الإصغاء لأهل العلم.

٤- العجب بالنسب الشريف -كعجب بعض الناس بنسبهم الرفيع- حتى يظن بعضهم أنه ينجو بشرف نسبه، ونجاة آبائه بل يتخيل بعضهم أن الخلق موالٍ وعبيد له.

٥- العجب بنسب السلاطين، والأمراء، وأعوانهم، وأنه من نسلهم، دون نسب العلم والدين.

٦- العجب بكثرة العدد من: الأولاد، والخدم، والعشيرة، والأقارب، والأنصار كما قال تعالى عن الكفار: ﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾[2].

٧- العجب بالمال: كما قال تعالى مخبراً عن صاحب الجنتين: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾[3].

٨- العجب بالرأي الخطأ، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ

---

(١) (فصلت ١٥).

(٢) (سبأ ٣٥).

(٣) (الكهف ٣٤).

فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلاً ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[٢]، فانظر كيف كان عجبهم برأيهم حملهم على الظن أنّ أعمالهم حسنة، واسترسلوا في باطلهم حتى كان عاقبتهم النار، وجميع أهل الضلال إنما أصروا على رأيهم لعجبهم به.

فهذه مجمل أنواع العجب وأقسامه، وهي عبارة عن أصول ترجع إليها مفردات العجب، والله أعلم.

المطلب الثالث: أسباب العجب:

للعجب أسباب تدفع إليه، وتحركه في النفوس، ولكن ليس كل من توفرت له هذه الأسباب يكون واقعاً في هذا المرض؛ إذ لو وجد مقاومةً لما كان لهذه الأسباب أي أثر في ظهور العجب عليه، وبعض هذه الأسباب لا اختيار للمرء به،كشرف النسب ونحوه مما سيذكر بحول الله، فلا يلام عليها المرء لكن يلام على وضعها في غير موضعها، وبعض هذه الأسباب يلام عليها كالغلو في الأشخاص ونحوه لكون المرء مختاراً فيها، وفي الكلام على هذه الأسباب إيضاحٌ لذلك كله، فمن أبرز أسباب العجب ودوافعه ما يلي:

١- النشأة الأولى: فهي من أسباب هذا المرض، فالإنسان يتأثر بمن حوله، وأكثر من يتأثر بهم، هم الذين تربى عندهم ونشأ معهم[٣].

٢- الغلو في الأشخاص: إنّ الغلو في الأشخاص من الأسباب الدافعة لهذا المرض، و لم يكن هدي الصحابة رضوان الله عليهم الغلو في الأشخاص، فلم يكونوا يغـلـون في

---

(١) (فاطر ٠٠٨)

(٢) (الكهف ١٠٣-١٠٤)

(٣) ينظر صـ ٣٠٦ ، في مبحث أسباب الرياء، الأسباب الخارجية ففيه شرح له.

أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليٍّ، على جلالة قدرهم، ورفيع مترلتهم، وما كان من بعدهم من التابعين يغلون في سعيد بن المسيب وغيره ممن يقطع بصلاحهم وحسن حالهم[١].

ونهت الشريعة الإسلامية عن الغلو في الأشخاص؛ حتى لا تفسد عقيدة المرء بغلوه في غيره، وحتى لا يفسد المغلو فيه، ويقع فيما نهي عنه من سيء الخصال ورديء الفعال؛ ولذا فقد سد رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الذرائع المفضية لذلك، ومنها القيام للغير، كما قال صلى الله عليه وسلم: (من أحب أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار)[٢].

٣- الاغترار بسلامته من كل الآفات، وما به من قوة، وصحة، وعافية مع نسيان أنها من نعم الله عليه.

٤- المناظرات والجدل التي تتم دون قصد صحيح منها، فيؤدي إلى عجب أصحاب اللسان والبيان بلسانهم، وقوة بيانهم، يقول ابن الجوزي -رحمه الله-: ((...لأن نفس الجدل والمناظرة تحرك الكبر والعجب))[٣].

٥- الكذب: المعجب بنفسه أول ما يكذب يكذب نفسه، ولو كان صادقاً لصدقها، ولعلم أنَّ ما به من نعمةٍ فمن الله، ولعرف أن عجبه بنفسه مرض ينبغي عليه أن يسعى في طرده ومعالجته.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((ولهذا كان أصل أعمال القلوب كلها الصدق، وأضدادها من: الرياء، والعجب، والكبر، ... أصلها الكذب))[٤].

---

(١) تيسير العزيز الحميد، لسليمان آل الشيخ، ١٨٦.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب الرجل يقوم للرجل يعظمه بذلك، ١٤/٩٥، برقم [٥٢١٨]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/٣١، برقم [٢٧١٧].

(٣) تلبيس إبليس، ١٤١.

(٤) الفوائد، ١٣٦.

٦- الاغترار بطاعته، وقلة معصيته: فيظن أنَّ ذلك لفضله، ولا يشعر أنها من نعم الله عليه، فيغتر بنفسه ويعجب بها، ولذلك فقد تكون بعض الذنوب مع التوبة من الأمور التي تنفع في كسر قلب صاحبها فتلينه عن العجب وغيره.

قال الحسن البصري -رحمه الله-: ((لو كان كلام بني آدم كله صدقاً، وعمله كل حسناً يوشك أن يخسر، قيل: وكيف يخسر؟ قال: يعجب بنفسه))(١).

ويقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((فإنَّ الذنوب قد يكون فيها مصلحة مع التوبة منها، فإنَّ الإنسان قد يحصل له بعدم الذنوب: كبر، وعجب، وقسوة، فإذا وقع في ذنب أذله ذلك وكسر قلبه، ولين قلبه بما يحصل له من التوبة؛ ولهذا قال سعيد بن جبير: ((إنَّ العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار، ويفعل السيئة فيدخل بها الجنة))، وهذا هو الحكمة في ابتلاء من ابتلي بالذنوب من الأنبياء والصالحين، وأما بدون التوبة فلا يكون المحرم إلا مفسدته راجحة، فليس للإنسان أن يعتقد حل ما يعلم أنَّ الله حرمه قطعاً...))(٢).

ولهذا قيل أيضاً: ((أنين المذنبين [أحب] إلى الله من زجل المسبحين؛ لأنَّ زجلهم يشوبه الافتخار، وأنين أولئك يشوبه الانكسار والافتقار))(٣).

ولا يعني هذا الكلام الترغيب في الذنب، بل المقصود عدم الاغترار بالعمل الصالح.

٧- المدح: إنَّ المدح للأشخاص من الأمور الدافعة للعجب؛ لأنه يصور للمرء أنَّ فيه أمراً ليس في غيره فيحمله على العجب؛ وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المدح لما يسببه من عواقب، قال صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب)(٤).

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي، ٥/٤٥٤، برقم [٧٢٥٧] بتصرف بسيط.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٤/٤٧٤.

(٣) فيض القدير، ٥/٣٣١، وما بين المعكوفتين ساقط من المطبوع، والسياق يقتضيه، والله أعلم.

(٤) سبق تخريجه في صـ ٣٠٦ ، في مبحث دوافع الرياء، الأسباب الخارجية فقرة رقم [٣]، وهناك تفصيل يستحسن النظر فيه.

وعلى الممدوح ألا يقبل المدح الذي يخرجه عن الصحة إلى هذا الداء، وقد قيل: ((قابل المدح كمادح نفسه))(١).

٨- الوقوف عند النعمة ونسيان المنعم(٢):

إنَّ حصول النعمة قديكون سبباً لضعاف النفوس في حملهم على العجب كما حكى الله سبحانه وتعالى عن قارون عندما قال لقومه: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾(٣)، وقد لفت القرآن أنظار الناس إلى أنَّ النعمة من الله سبحانه وتعالى؛ حتى لا ينسى الناس فضل الله سبحانه وتعالى في إنعامه عليهم كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم ﴾(٥)، وغيرها من الآيات الدالة على أنَّ النعم من الله، وبالتالي فلا ينبغي للمرء نسيان من أنعم بهذه النعمة، ويتخذها ذريعةً للعجب وغيره من الأمور التي تعد من جحود النعمة وقلة شكرها.

٩- صحبة من به هذا المرض:

فالإنسان يتأثر برفيقه، ومن طبعه محاكاة مَن حوله، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من صحبة رفقاء السوء فقال: (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)(٦).

١٠- التصدر للعمل قبل أن يتأهل المتصدر، وقبل أن يكتمل علماً، وينضج عقلاً(٧):

---

(١) أدب الدنيا والدين، للماوردي، ٣٧٩.

(٢) ينظر: آفات على الطريق، د/ السيد نوح، ١/١١١.

(٣) (القصص ٠٧٨)

(٤) (النحل ٠٥٣)

(٥) (فاطر ٠٠٣)

(٦) سبق تخريجه صـ ٨٣ ، في طرق تحصيل الإخلاص.

(٧) آفات على الطريق، د/ السيد نوح، ١/١١٢.

فمثل هذا الأمر قد يحمل صاحبه على أن يظنّ أنّ فيه إمكانات أعطته حق التصدر ليست في غيره فيهوي في داء العجب؛ لقلة فقهه، وقد حرص الإسلام على التفقه قبل التصدر ليأمن المسلم من الانزلاق في أوحال الرذائل الخلقية وغيرها، كما قال عز من قائل: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[1].

١١- الجهل والغفلة عن حقيقة النفس[2]:

لو تفكر من به داء العجب بحقيقة نفسه، وأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، وأن مصيره إلى الموت، لما أعجب بعمله، وقد ذكّر الله عباده بهذه الحقائق؛ ليعرفوا أنفسهم فلا يغتروا بها كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾[4].

١٢- شرف النسب:

فهذا من الأسباب التي تحمل من لا عقل له على العجب، بل ربما ظنّ أنّ التفاضل يكون في الأنساب.

وقد جاء الإسلام بما يبطل التفاخر في الأحساب والأنساب وجعل الميزان في التفاضل هو التقوى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[5].

١٣- الإفراط في الانقياد والطاعة للأشخاص[6]:

---

(١) (التوبة ١٢٢)

(٢) آفات على الطريق، د/ السيد نوح، ١/١١٣.

(٣) (المرسلات ٠٢٠)

(٤) (عبس ٠٢١)

(٥) (الحجرات ٠١٣)

(٦) آفات على الطريق، د/ السيد نوح، ١/١١٥.

لأنَّ الإفراط في الانقياد للأشخاص يوحي لهم أنَّ فيهم خصائص ليست في غيرهم، فيحملهم ذلك على أن يعجبوا بأنفسهم.

١٤- الغفلة عن الآثار السيئة للعجب:

للعجب آثار سيئة على الفرد والجماعة، أما الفرد فإنَّ العجب يؤثر على سلوكه فيكون فضاً مع الآخرين، كما يجعله يغض طرفه عن عيوبه، ويحمله على أن يستبد برأيه، ولا يصغي لأهل العلم، وللناصحين، ويتأثر عمله فقد يحبط بسبب هذا العجب، وغير ذلك من المفاسد الكثيرة التي تعود على الفرد بسبب العجب.

وأما على المجتمع فإنَّه يفكك روابطه، وينبذ المعجب من مجتمعه، وربما حمله ذلك على العمل فيما يهدم مجتمعه الذي نبذه، فتتشتت الكلمة، وينصدع الصف، وتثار الأحقاد، وتنشأ البغضاء بين أفراد المجتمع بسبب العجب، وغير ذلك من آثار العجب السيئة، ولو تأمل المعجب بنفسه لهذه الآثار لما أقدم على العجب، ولما رضي بهذا الداء.

١٥- الرغبة بإخفاء عيوب النفس:

قد يلجأ من ضعف عقله أن يقع في العجب؛ لكي يخفي عيوبه، مسدلاً -بزعمه- ستاراً عليها بهذا الداء، ولو أنصف نفسه لعلم أنه وقع في عيب آخر، وكان بإمكانه أن يتخذ الطريق المشروع والسعي في إصلاح عيوبه بدلاً من الوقوع في داء آخر.

١٦- ضعف اليقين، وقلة الاستعانة بالله[1].

١٧- عدم التأمل والتدبر لكتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التي حذرت من هذا الداء، وأبانت طرق علاجه، وسبل الوقاية منه، وسيأتي بحول الله علاج هذا الداء، وبيان حكمه.

١٨- عدم القراءة في سير السلف الصالح رضوان الله عليهم، فقد كانوا مثلاً عظيماً للتجرد من الهوى، وإنكار الذات مؤثرين رضى الله عنهم، نافرين عن كل ما

---

(١) ينظر صـ ٤٠٤ ، في أسباب الهوى فقرة رقم [٤] لبيان هذا العنصر.

يغضب الله من الأدواء، وفي سيرهم توضيح للطريق الصحيح للتخلص من هذا الداء؛ لأنَّ حياتهم كانت تطبيقاً عملياً للنصوص الشرعية.

١٩- الجهل بحقيقة الدنيا، والاغترار بها، والحرص عليها، فيعجب بنفسه وما عرف أن الدنيا دار ممر وليست بدار مقر، ولابد من الرحيل عنها، فإذا عرف ذلك وتيقنه فكيف تسول له نفسه المعصية، أو العجب بما أعطاه فيها من النعم.

٢٠- ضعف العقل، وقلة الإدراك: إنَّ المعجب بنفسه دل على نقصان عقله، وقلة إدراكه؛ لأن العقل السليم يعلم أن العجب من النقائص، فيحمي صاحبه عن الوقوع فيه، كما أن الإدراك النافع يبين لصاحبه آثار هذا الداء العظيمة فيحجزه عنه، ومن ضعف عقله، وقلَّ إدراكه وقع فيه.

٢١- الأمن من مكر الله:

الأمن من مكر الله حمل أهل المعاصي على المعصية، وقد نهى الله عباده وحذرهم من أن يأمنوا مكره كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾[1]، ولو كان صاحب داء العجب حريصاً على نفسه، وجلاً من مكر الله به ما أقدم على العجب بنفسه.

المطلب الرابع: مظاهر العجب:

كل داء له أمارات وعلامات تدل عليه، والعجب داء له أمارات ومظاهر تدل عليه، لكن لا يعني أنَّ من وجد به أحد المظاهر التي يأتي ذكرها أنَّ به مرض العجب، فقد يكون هذا المظهر وقع عرضاً، وعن غير شعور من صاحبه وليس من صفاته، لكن من تكرر معه هذا المظهر فعليه أن يراجع نفسه ويحاسبها خوفاً أن يكون به هذا الداء، ومن هذه المظاهر الدالة على العجب:

---

(١) (الأعراف ٩٩).

١- التسخط على أهل الدنيا مفضلاً نفسه[١]:

٢- الإصرار على البدع والمعاصي عجباً برأيه، وأنه على الحق، أو غير ملام على معصية لحسناته الكثيرة.

وقد قال محمد بن إبراهيم المرتضى[٢] في أهل البدع: ((...بل الغالب على أهل البدع شدة العجب بنفوسهم، والاستحسان لبدعتهم، وربما كان أجر ذلك عقوبة على ما اختاروه أول مرة من ذلك كما حكى الله تعالى ذلك في قوله: ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾[٣]، وهي من عجائب العقوبات الربانية، والمحذرات من المؤاخذات الخفية...))[٤].

٣- الاستهزاء بالناس، والسخرية بهم، وتنقيصهم؛ لأنّ الإنسان لو نظر لنقائصه وعيوبه لما انتقص غيره لكنه ظنَّ بغيره النقص، وبنفسه الكمال فاستهزأ به، وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ... ﴾[٥].

---

(١) سبق الكلام على هذه المسألة وتفصيل الكلام عليها صـ ١٩١ في مبحث ما يتوهم كونه إخلاصاً فقرة رقم [٢٧].

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني، القاسمي، أبو عبد الله عز الدين، (٧٧٥-٨٤٠هـ) من آل الوزير، مجتهد من أعيان اليمن، تعلم بصنعاء، وصعدة، ومكة، أقبل على العبادة آخر عمره، مات بصنعاء، من مصنفاته: إيثار الحق على الخلق، العواصم من القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، تنقيح الأنظار في علوم الآثار، وغيرها من مصنفاته رحمه الله.

ينظر: أبجد العلوم، لصديق حسن خان، ٣/١٩٠-١٩١، والأعلام للزركلي، ٥/٣٠٠-٣٠١.

(٣) (البقرة ٠٩٣)

(٤) إيثار الحق على الخلق، لمحمد بن إبراهيم بن علي المرتضى، ٣٨٥، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ١٩٨٧هـ.

(٥) (الحجرات ٠١١)

٤- تزكية النفس، والإكثار من الثناء عليها، دون مقصد شرعي صحيح من ذلك، وقد نهى الله عن هذا الفعل في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾[1].

٥- رد النصح:

فيظن بعض ضعاف النفوس أنه بلغ منزلة لا ينصح فيها لكماله، فيرد النصيحة وينفر منها.

٦- الفرح بسماع عيوب الآخرين؛ لأنه علم بعيبهم ونقصهم، وظنَّ أنه لا يوجد به أي عيب معتقداً بنفسه الكمال.

٧- تصعير الخد، وقد حذر الله سبحانه وتعالى من هذا الفعل وذلك عندما حكى عن لقمان الحكيم وصيته لابنه ينهاه عن هذا الفعل: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ﴾[2] فأقره الله سبحانه على هذه الوصية، وحكاها لعباده لأخذ العبرة منها.

٨- عدم الاستشارة لأهل العلم، مستبداً برأيه ظاناً بنفسه كمال عقله.

٩- إسبال الثياب.

١٠- الاختيال في المشي.

١١- التفاخر بالعلم والمباهاة به.

١٢- التفاخر بالحسب والنسب.

١٣- التفاخر بجمال الخلقة.

١٤- التقليل من شأن العلماء والعباد.

١٥- نسيان ذنوبه، وتقليلها، وعدم محاسبة النفس عليها.

١٦- الإصرار على الخطأ والاعتداد بالرأي فيما وقع فيه من خطأ.

---

(١) (النجم ٠٣٢)

(٢) (لقمان ٠١٨)

١٧- الفتور عن الطاعة لظنه أنه حاز القدر الكافي منها، وحصَّلَ لنفسه ما أمَّنها به.

١٨- احتقار العصاة والفساق، والشماتة بهم، دون دعوتهم، والرغبة في هدايتهم.

١٩- التصدر قبل أن ينضج علماً وعقلاً.

٢٠- الإكثار من ألفاظ التفخيم والتعظيم في حديثه عن نفسه، كنحن، مثلنا...إلخ.

فهذه بعض مظاهر العجب، لعل في ذكرها تحذيرٌ للمسلم عن الوقوع فيها، كما أن المسلم الصادق، والذي يصدق نفسه أولاً سيعلم ما كان لله وما كان لغيره من الأعمال[١].

المطلب الخامس: علاج العجب:

العجب كغيره من الأدواء له علاج، وسأذكر بحول الله بعض الطرق لعلاج هذا الداء، ومن ذلك :

١- أن يعلم المرء أنَّ ما به من نعمة فمن الله وحده، ومنَّةٌ منه سبحانه وتعالى على عبده:

والمنعم يستحق الشكر على إنعامه، والله قد أسبغ على عباده النعم التي لا تعد ولا تحصى كما قال تعالى: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[٢]، وعلى المسلم أن يشكر ربه على هذه النعم، وأن يعلم أنَّ الطاعات هي من نعم الله عليه أيضاً، فيشكر ربه على أن وفقه لفعلها ، ويشهد القدر عند فعل الطاعة فإن ذلك من أنفع الأمور، يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((فشهود القدر في الطاعات من أنفع الأمور للعبد، وغيبته عن ذلك من أضر الأمور به؛ فإنَّه يكون قدرياً منكراً لنعمة الله عليه بالإيمان والعمل الصالح، وإن لم يكن قدري الاعتقاد كان قدري الحال، وذلك يورث: العجب،

---

(١) ينظر في هذه المظاهر: آفات على الطريق، د/ السيد نوح، ١/١٢٠-١٢١، والعجب، لعمر موسى الحافظ، ٤٠-٤١.

(٢) (لقمان ٢٠).

والكبر، ودعوى القوة، والمنة بعمله، واعتقاد استحقاق الجزاء على الله به فيكون من يشهد العبودية مع الذنوب والاعتراف بها -لا مع الاحتجاج بالقدر عليها- خيراً من هذا الذي يشهد الطاعة منه، لا من إحسان الله إليه...))[١].

٢- الحياء من الله:

لأن من استحيا من الله حق الحياء ابتعد عن ما يسخط الله ويغضبه، ولما طلب رجلٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوصيه قال له عليه الصلاة والسلام: (أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي رجلاً صالحاً من قومك)[٢].

٣- أن ينظر في عقوبة المعجب بنفسه:

وقد قصَّ الله علينا ما فعله بقارون حيث خسف به الأرض لما أعجب بما آتاه الله، ونسي أنَّ ما به فمن نعم الله عليه، حيث قال عز من قائل سبحانه: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[٣].

٤- النظر في مفاسد العجب التي تنشأ بسببه:

وقد ذكرت بعضها في السبب الرابع عشر من الأسباب الباعثة على العجب.

٥- طلب العلم:

فإنَّ العلم نورٌ يبصر المرء بما يجب عليه فعله، وما يجب عليه أن يجتنبه، و يبصره بالطرق المشروعة لتجنب ما يسخط الله، يقول ابن القيم-رحمه الله-: ((وللقلب أمراض آخر من: الرياء، والكبر، والعجب،...وهذه الأمراض كلها متولدة عن الجهل، ودواؤها: العلم))[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى، ٣٣١/٨.

(٢) ينظر تخريجه في صـ ٣١٨ ، في مبحث علاج الرياء النظري فقرة رقم [٢].

(٣) (القصص ٨٣).

(٤) مفتاح دار السعادة، ١١١/١.

٦- أن يحمل نفسه على فعل أمور مباحة يأنف من فعلها ليروض نفسه، ويطرد داءها.

وقد حمل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قربة على عنقه، فقيل له في ذلك، فقال: ((إنَّ نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها))(١).

٧- مجاهدة النفس والصبر على مجاهدتها(٢).

٨- لبس المتواضع من الثياب:

وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على التواضع في اللباس حيث قال صلى الله عليه وسلم: (من ترك اللباس تواضعاً لله، وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها)(٣).

ولعل السرّ في الترغيب في لبس المتواضع: حث النفس على الزهد، والتقلل من الدنيا، وتجنب ما يصيب النفس بالعلل من عجب، وكبر، وغيرهما.

٩- اهتمام أولياء الأمور بتربية أبنائهم تربية سليمة، وأن يحاربوا السلوك الخاطئ في أبنائهم، ومن تولوا أمره من المسلمين، وقد دخل على عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ابنٌ له عليه ثياب حسنة، فضربه بالدرة حتى أبكاه، وقال: ((رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها إليه))(٤).

١٠- قطع العمل إن تيقن من نفسه العجب لو استمر به، وكان ذلك العمل غير لازم له أن يفعله في وقت معين، وإلا تعين عليه الاستمرار بالعمل مع مجاهدة نفسه في دفع العجب.

---

(١) الصواعق المحرقة، للهيتمي، ٢٩٩/١، تحقيق/ عبدالرحمن التركي وكامل الخراط، الرسالة، بيروت، الأولى، ١٩٩٧م،.

(٢) ينظر صـ ٤٣١ ، في مبحث علاج الهوى فقرة رقم [٤] لبيان هذه الفقرة.

(٣) سبق تخريجه في مبحث أثر الإخلاص على الأعمال صـ ١٢٩

(٤) مصنف عبدالرزاق ((في الجامع لمعمر الملحق به))، ٤١٦/١٠، برقم [١٩٥٤٨].

وكان عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- إذا خطب على المنبر، وخاف على نفسه العجب قطع خطبته(١).

١١- كما ينبغي على المرء عدم التصدر قبل أن يتأهل علماً، وعقلاً حتى لا يهلك.

١٢- معالجة الأسباب الباعثة على العجب، والناظر في أسباب العجب يجد أنها على نوعين:

النوع الأول:

أسباب لا خيار للمرء فيها كشرف النسب، والجمال ونحوهما، فعليه أن يشكر الله على هذه النعم، ويعلم أنها من عند الله، ثم يوجهها توجيهاً صحيحاً نافعاً، فشرف النسب يكون حاملاً له على المروءات، وفعل الطاعات، والبعد عن الرذائل والسيئات، وهكذا.

النوع الثاني:

أسباب للمرء خيارٌ فيها، كصحبة رفقاء السؤ، والجهل، ونحوهما، فعليه أن يقطع هذه الأسباب ويبتعد عنها.

١٣- أن يستعين بالله، ويدعوه، ويلتجيءُ إليه، فإنه نعم المعين، ومن لم يكن له عونٌ من الله فهو الهالك.

١٤- أن يعرف حقيقة نفسه:

فيستشعر ضعفه، وعجزه، ومن نظر في نفسه عرف نقصها، وأدرك عجزها، ولله در القائل إذ يقول:

عجبت من معجب بصورته * وكان بالأمس نطفة مذرة

وفي غدٍ بعد حسن صورته * يصير في اللحد جيفة قذرة

وهو على تيهه ونخوته * ما بين ثوبيه يحمل العذرة(٢)

---

(١) الفوائد، لابن القيم، ١٥٢، وينظر: تنبيه الغافلين، لأبي الليث السمرقندي، ٣٥٧.

(٢) أوردها الماوردي في أدب الدنيا والدين، ٣٧٤.

١٥- أن يعرف حقيقة الدنيا:

فمن عرف حقيقة الدنيا تيقن أنها دار ممر وليست دار مقر، وأنّ الدار الآخرة هي المغنم، فكيف يعجب بنفسه من عرف حقيقة الدنيا، وأنها ظلٌّ زائل، وليست إلا مزرعة للآخرة، ولا يقبل فيها إلا العمل الطيب، وكل معصية إن لم يغفرها الله فسيحاسب عليها.

١٦- أن يتذكر الموت:

فإنه واعظ بليغ، وزاجر شديد عن المعاصي والذنوب، ومن تيقن الرحيل استعد له.

١٧- التدبر لكتاب الله، والتأمل لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

حتى يرق قلبه، وتخشع جوارحه، وينظر في مواعظهما، وما دلت عليه من طرق العلاج لكل داء، فينتفع بذلك.

١٨- القراءة في سيرة السلف الصالح:

فإنها زادٌ عملي للتواضع، والزهد، والتقلل من الدنيا، والبعد عن أدوائها المختلفة، وفيها العبر والمواعظ البليغة، والنصائح المفيدة.

١٩- البعد عن رفقاء السوء الذين يحملون هذا الداء حتى لا ينتقل إليه بتأثيرهم فيه إذا ما جالسهم.

٢٠- النصح والوعظ من الناصحين لمن ابتلى بهذا الداء، قياماً بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنفيراً للمبتلى عن داء العجب الذي تلبس به.

٢١- محاسبة النفس:

إنّ المحاسبة للنفس من الطرق النافعة للمسلم ليرى عيوب نفسه، ولن ينتفع بهذا العلاج إلا إذا كان صادقاً مع نفسه[1].

٢٢- أن يعرف أن جميع الأنواع التي يعجب بها فهي عرضة للزوال، وأنها من نعم

---

(١) ينظر صـ ٣٢١ ، في مبحث علاج الرياء العملي فقرة رقم [٦].

الله، وأن الشرف في التقوى، وكثرة العدد والمال لا يغني من الله شيئاً، وأنَّ الرأي الصائب من توفيق الله له، ولو سلب التوفيق لضل عن الحق، وابتعد عن الصواب.

المطلب السادس: حكم العجب، وأثره على الإخلاص، وكيف ينقضه:

دلت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم- على تحريم العجب.

ومن النصوص الدالة على تحريم العجب:

أولاً: من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

فقد ساق الله هذا الخلق على سبيل الذم له[2].

٢- وقال تعالى حاكياً وصية لقمان لابنه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾[3].

قال السعدي -رحمه الله- في تفسير الآية السابقة: ((﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ أي: لا تمله، وتعبس بوجهك للناس تكبراً عليهم وتعاظماً، ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ أي: بطراً، فخراً بالنعم، ناسياً المنعم، معجباً بنفسك ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ

---

(١) (التوبة ٢٥).

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٣/٤٧٣.

(٣) (لقمان ١٨).

﴿مُخْتَالٍ﴾ في نفسه، وهيئته، وتعاظمه (فخور) بقوله))(١).

ثانياً: من السنة النبوية:

١- قال صلى الله عليه وسلم: (بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته، إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة)(٢).

٢- وقال صلى الله عليه وسلم: (ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه من الخيلاء)(٣).

٣- وعن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر منه: العجب)(٤).

والعجب من الآفات التي تعرض للعمل فتحبطه، وتبطله، ومن جملة الأعمال: الإخلاص، وهو من أعمال القلوب، وقد يعرض العجب له كبقية الأعمال: فيبطله، وينقضه، وقد عده جمع من أهل العلم من نواقض الإخلاص وآفاته، وذلك إما بالتصريح بأنه من نواقض الإخلاص وآفاته، وإما بقرنه بالرياء وإعطائهما حكماً واحدا، وهذه بعض أقوالهم:

١- قال أبو حنيفة -رحمه الله-: ((والرياء إذا وقع في عمل من الأعمال فإنه يبطل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ٦٤٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، ٣١٨/١٠، برقم [٥٧٨٩]، وأخرجه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه، ٣١٣/٧، برقم [٢٠٨٨].

(٣) سبق تخريجه صـ ٤٠٠ ، في مبحث حكم الهوى.

(٤) أخرجه البزار، ٢٤٤/٤، برقم [٣٦٣٣]، والشهاب في مسنده ٣٢٠/٢-٣٢١، برقم [١٤٤٦،١٤٤٧]، والبيهقي في شعب الإيمان، ٤٥٣/٥، برقم [٧٢٥٥]، وقال المنذري في سند البزار: ((رواه البزار بإسناد جيد))، وحسن الحديث لغيره الألباني، ينظر لقوليهما صحيح الترغيب والترهيب، ١١٠/٣، برقم [٢٩٢١].

أجره، وكذلك العجب))[١].

فقد عامله معاملة الرياء عند ما يقع في العمل ويخالطه.

٢- وقيل لعبد الله بن المبارك -رحمه الله-: ((ما الذنب الذي لا يغفر؟ قال: العجب))[٢].

ومعلوم أن الذنب الذي لا يغفر هو الشرك بنوعيه على خلاف في الأصغر -وابن المبارك -رحمه الله- لو كان يعد العجب من الكبائر لما قال بعدم مغفرته؛ لأن هذا مذهب الخوارج، وابن المبارك أجل قدراً من أن يقول بهذا القول، فيحمل على أنه عد العجب من الشرك، لأنَّ الشرك هو الذي لا يغفر. والله أعلم.

٣- وقال الترمذي -رحمه الله-: ((... ومعنى هذا الحديث أنَّ الذي يسر بقراءة القرآن أفضل من الذي يجهر بقراءة القرآن؛ لأنَّ صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية، وإنما معنى هذا عند أهل العلم لكي يأمن الرجل من العجب؛ لأنَّ الذي يسر العمل لا يُخاف عليه العجب ما يُخاف عليه من علانيته))[٣].

فجعل العجب من الأمور التي تخشى على العمل، والسبب واضح؛ لأن العجب من مفسدات العمل -ومنها الإخلاص-.

٤- وقال ابن حبان -رحمه الله-: ((قال أبو حاتم -رضي الله عنه- معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة) أنَّ الملائكة تقول: آمين، من غير علة: من رياء، وسمعة، أو إعجاب، بل تأمينها يكون خالصاً لله، فإذا أمن القاريء لله من غير أن يكون فيه علة من: إعجاب، أو رياء، أو سمعة، كان موافقاً تأمينه في الإخلاص: تأمين الملائكة...))[٤].

---

(١) الشرح الميسر للفقه الأكبر، د/محمد الخميس، ٧٤.

(٢) شعب الإيمان، للبيهقي، ٤٥٢/٥، برقم [٧٢٤٩].

(٣) سنن الترمذي مع التحفة، ١٩١/٨.

(٤) صحيح ابن حبان، ١٠٨/٥.

فقد قرن أبو حاتم -رحمه الله- العجب بالرياء والسمعة، وعد خلو العمل منها: إخلاص، فيفهم أن وجود أحدهم مضر بالإخلاص.

٥- وقال ابن حبان -رحمه الله-: ((ذكر الإباحة للمرء أن يمدح نفسه بشيء من الخير إذا أراد بذلك انتفاع الناس به، وأمن العجب على نفسه))[١].

فاشتراطه: أن يُأمن العجب؛ لكونه يراه مفسداً، والله أعلم.

٦- وقال حاتم الأصم -رحمه الله-: ((لا أدري أيهما أشد على الناس: العجب أو الرياء؟ العجب: داخل فيك، والرياء: يدخل عليك، العجب أشد عليك من الرياء، ومثلهما: أن يكون كلبك في البيت كلب عقور، وآخر خارج البيت، فأيهما أشد عليك الداخل معك، أو الخارج، أما الداخل فهو: العجب، وأما الخارج فهو: الرياء))[٢].

٧- وقال ذو النون -رحمه الله-: ((الإخلاص: نفي المعارضة في السر والعلانية، حتى لا يداخله في الخلق رياء، ولا يزين عمله من أجلهم، ولا يداخله من نفس: عجب، ولا استكبار))[٣].

٨- وقال النووي -رحمه الله-: ((واعلم أن الإخلاص قد يعرض له آفة العجب، فمن أعجب بعمله حبط عمله))[٤].

٩- وقال ابن القيم -رحمه الله-: ((قال: الدرجة الثانية: إشفاق يصون سعيه عن العجب ويكف صاحبه عن مخاصمة الخلق، ويحمل المريد على حفظ الجد.

الأول: يتعلق بالعمل، والثاني: بالخلق، والثالث: بالإرادة، وكل منها له ما يفسده، فالعجب: يفسد العمل كما يفسده الرياء، فيشفق على سعيه من هذا المفسد مشفقة

---

(١) صحيح ابن حبان، ٨٤/١٣.

(٢) حلية الأولياء، ٤٨/١٠-٤٩.

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي، ٣٤٧/٥، برقم [٦٨٨٠].

(٤) شرح النووي على الأربعين النووية، ١٦.

تصونه عنه...))[١].

١٠- وقال ابن حجر -رحمه الله-: ((فقد نقل أبو جعفر بن جرير الطبري عن جمهور السلف أنَّ الاعتبار بالابتداء، فإن كان ابتداؤه لله خالصاً لم يضره ما عرض له بعد ذلك من إعجاب وغيره [٢] ، والله أعلم))[٣].

١١- وقال المناوي -رحمه الله-: ((فقد يبتديء بالصلاة وغيرها بنية خالصة، ثم يعرض له آفة تمنع صحته، أو تبطل أجره من نحو عجب أو رياء...))[٤].

١٢- وقال سليمان آل الشيخ -رحمه الله-: ((... وإذا أداه المدح إلى التعاظم في نفسه والإعجاب بها وقع في أمر عظيم ينافي العبودية الخاصة))[٥].

كل هذه النقول تبين أن العجب من الأمور التي تفسد العمل، وتضاد الإخلاص.

ومن أدلتهم على كون العجب يبطل الإخلاص، وينقضه -غير ما سبق ذكره أول المبحث-:

١- قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾[٦].

قال إبراهيم بن أدهم -رحمه الله-: ((على القلب ثلاثة أغطية: الفرح، والحزن، والسرور، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، والحريص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط معذب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب، والعجب يحبط العمل، ودليل ذلك كله، قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ

(١) مدارج السالكين، ٥٧٣/١، وينظر الفوائد، للمؤلف، ٩٩، و١٥٢.

(٢) وقع الاتفاق على أنها لا تضر بعد انتهاء العمل وأما أثناء العمل فقد سبق بيان الخلاف فيه وعلى هذا يوجه كلامه.

(٣) فتح الباري، ٢٣/١-٢٤.

(٤) فيض القدير، ١٧٨/٢.

(٥) تيسير العزيز الحميد، ٧٣٢.

(٦) (الحديد ٢٣).

ءَاتَنكُمْ ﴾(١) »(٢).

فقد استدلَّ -رحمه الله- على أنَّ العجب يحبط العمل؛ وذلك لأن من عمل بقصد أن يمدح لظنه أنه مستحق للمدح -أعجب بنفسه- فقد عمل لغير الله، ومن عمل لغير الله فعمله باطل لانتفاء الإخلاص فيه.

فكان الدافع للعمل هو العجب.

٢- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله طيب لا يقبل إلاَّ طيباً)(٣).

قال ابن رجب -رحمه الله- معلقاً على الحديث السابق: ((وقد قيل: إنَّ المراد في هذا الحديث الذي نتكلم فيه الآن بقوله: ((لا يقبل إلا طيباً)) أعم من ذلك، وهو أنه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيباً طاهراً من المفسدات كلها، كالرياء، والعجب...))(٤).

والنصوص المحرمة للعجب دلت على كون العجب ليس من الطيبات، فلا يقبل عمل خالطه العجب لكونه ليس طيباً.

٣- ودل القياس على أنَّ العجب كالرياء إذا قصد بفعل الطاعة تغذية داء العجب وتنميته، والبروز بهذا الفعل؛ لأن الكل لغير الله.

وهناك من عارض القول بأنَّ العجب يؤثر في الإخلاص، ويحبطه(٥).

---

(١) (الحديد ٢٣).

(٢) حلية الأولياء، ٣٤/٨.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ١٠٦/٤، برقم [١٠١٥].

(٤) جامع العلوم والحكم، ٢٥٣/١.

(٥) ينظر: الفروق، للقرافي، ٢٢٧/٤، وترتيب الفروق، للبقوري، ٤١٢/٢، وتهذيب الفروق، لمحمد علي المالكي، ٢٤٧/٤، والفواكه الدواني، للنفراوي، ٣٢٨/٢.

وحجتهم:

أنَّ العجب يكون بعد العمل، وليس مقارناً؛ ولهذا لا يؤثر فيه كتأثير الرياء في العمل[(١)].

لكن النصوص ترد حجتهم، وتدل على أنَّ العجب قد يكون مقارناً للعمل، ومن هذه النصوص:

١- قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾[(٢)].

فقد نزلت الآية تبين أن النصر من عند الله وليس بالعدد والعدة[(٣)]، والآية نزلت على سبيل الذم لخلق العجب[(٤)].

كما أفادت الآية أنَّ عجبهم قارن عملهم -الجهاد-، ويدل على ذلك قوله سبحانه (إذ)؛ لأنَّ: "إذ" ظرف لما مضى[(٥)]، مما يدل على أن العجب كان مقارناً لعملهم، ولهذا جيء بـ"إذ" الظرفية الدالة على ما مضى. والله أعلم.

٢- وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: ذكر لي أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن فيكم قوماً يعبدون، ويدأبون حتى يعجبوا الناس، وتعجبهم أنفسهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)[(٦)].

---

(١) ينظر المصادر السابقة.

(٢) (التوبة ٢٥).

(٣) تفسير ابن كثير، ٢/٣٧٩.

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٣/٤٧٣.

(٥) ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني، لأحمد بن عبد النور المالقي، ١٤٨، تحقيق د/ أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الثانية، ١٤٠٥هـ. وينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، ١١١، تحقيق د/ مازن المبارك وآخرون، دار الفكر، بيروت، السادسة، ١٩٨٥م،. وينظر: إعراب القرآن الكريم، لمحي الدين درويش، ٣/٢٠٠، دار ابن كثير، دمشق، السادسة، ١٤١٩هـ.

(٦) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، ٢/٤٤٧، برقم [٩٤٥]، والإمام عبدالله بن أحمد في السنة -واللفظ له-، ٢/٦٤٥، برقم [١٥٤٧]، وصححه الألباني في تحقيق السنة، لابن أبي عاصم، ينظر: ٢/٦٤٥.

ورد الحديث السابق في وصف للخوارج[١]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (وتعجبهم أنفسهم) يفيد أنَّ العجب قارن عملهم؛ لأنَّه ورد بعد قوله: (... يعبدون ويدأبون حتى يعجبوا الناس) فإنه ذكر أنهم يعبدون ويدأبون، فهم مستمرون في العبادة، بل هم من أعبد الناس، لكنهم تلبسوا بداء العجب في عبادتهم، ولم يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوفهم عن العبادة لما قارنها العجب، بل هم يدأبون ويستمرون في العبادة مع تلبسهم بداء العجب، مما يدل على أنَّ العجب قد يقارن العبادة، ولا يمتنع ذلك.

٣- والسلف الصالح كانوا يعلمون أنَّ العجب يقارن العمل وتفيده النقولات التي سبق ذكرها أول المبحث، وقد ذُكر أنَّ عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- أنه كان إذا خطب وخشي على نفسه العجب قطع الخطبة ونزل[٢].

ولو لم يكن العجب يقارن العمل لما قطع الخطبة.

ويبقى السؤال ما أثر العجب على الإخلاص؟

ونجيب عن ذلك بأن أعمال بني آدم تنقسم إلى قسمين: طاعات، ومعاصٍ، والمعاصي قد تكون شركاً أكبر، أو شركاً أصغر، أو كبيرة لا تصل لحد الشرك أو صغيرة.

والعجب من المعاصي التي لها ثلاثة أحوال:

١- فقد يكون شركاً أكبر أو يكون كفراً:

فيكون أثر العجب هنا على الإخلاص كأثر الشرك والكفر على الإخلاص كما سبق بيانه.

ويكون العجب شركاً أو كفراً إذا حمل صاحبه على الكفر والشرك، ومن ذلك قصة قارون التي قصها الله لعباده في كتابه الكريم فقد حمل العجب قارون على الكفر بالله[٣].

---

(١) ينظر المصادر السابقة.

(٢) تنبيه الغافلين، للسمرقندي، ٣٥٧، والفوائد، لابن القيم، ١٥٢، وسبق نقله.

(٣) ذكرت القصة في سورة القصص في الآيات من: ٧٦-٨٣.

وقد أخبر الله على لسان قومه أنه كفر بالله، فقال سبحانه وتعالى ذاكراً قولهم: ﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(1).

وما حمله على الكفر إلا عجبه بنفسه كما قال تعالى: ذاكراً قوله الذي دل على عجبه بنفسه وكفره بالله: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾(2).

فنفى إحسان الله إليه، ونسب نعم الله التي أنعمها عليه لنفسه جاحداً فضل الله عليه فكفر بذلك، والحامل له على الكفر هو عجبه بنفسه.

٢- وقد يكون العجب شركاً أصغر:

فيكون أثره على الإخلاص كأثر الشرك الأصغر على الإخلاص بتفصيلاته السابقة.

ويكون العجب شركاً أصغر إذا حمل صاحبه على هذا الشرك، كمن نسب نعم الله عليه لنفسه عجباً بها، مع كونه معتقداً أنها من عند الله، كذلك قد يكون العجب شركاً أصغر إذا ما خالط الطاعة وكان الحامل عليها، والدافع لها، وسيأتي بيانه لاحقاً.

٣- وقد يكون العجب كبيرة من الكبائر:

وأقل أحوال العجب أن يكون من الكبائر كما سبق بيان ذلك في حكمه وأدلة تحريمه تفيد ذلك.

ويكون أثر العجب هنا على الإخلاص كأثر المعاصي التي لا تصل لحد الشرك بنوعيه على الإخلاص كما سبق بيانه في أثر الهوى الذي هو من الكبائر التي دون الشرك بنوعيه، فيُنقص العجب من كمال الإخلاص الواجب(3).

---

(١) (القصص ٨٢).

(٢) (القصص ٧٨).

(٣) ينظر صـ ٤٤٠ ، في مبحث أثر الهوى على الإخلاص.

اعتراض:

قد يقول قائل: كيف يكون العجب كبيرة دون الشرك بنوعيه مع أن فيه نسياناً للمنعم ونسبة الفضل للنفس؟.

والجواب عن هذا الاعتراض سيرد بحول الله في بيان أثر الكبر الذي لم يصل لحد الشرك بنوعيه على الإخلاص؛ لأن الاعتراض وارد هناك كما هو واردٌ هنا والجواب لهما واحدٌ(١).

حكم الطاعات التي يخالطها العجب وأثره على الإخلاص فيها:

إذا قارن العجب الطاعات، وكان الدافع لفعلها هو العجب، فإن فاعل ذلك يكون قد وقع في الشرك الأصغر؛ لأنه قد أشرك حظ نفسه في عمله، كمن طلب العلم ليبرز به على أقرانه ويفخر به؛ فإنَّ طلبه لم يكن مقصوداً به وجه الله بل حظ نفسه وشهوتها .

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((وكثيراً ما يقرن الناس بين الرياء والعجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر))(٢).

فقد أبان -رحمه الله- أنَّ العجب يقرن بالرياء، وأنَّ الرياء إشراك للناس في العمل، والعجب إشراك للنفس في العمل، فالكل إذاً شرك أصغر، وقياس شيخ الإسلام العجب على الرياء فيه دليلٌ على أنه يراه من الشرك الأصغر؛ وبهذا يتبين أثر العجب على الإخلاص إن حمل على فعل الطاعة وخالطها، وأنَّه كأثر الشرك الأصغر والرياء على الإخلاص بتفصيلاته السابقة.

وكذلك ابن القيم -رحمه الله- عامل العجب معاملة الرياء وقرنه به(٣).

---

(١) ينظر صـ ٤٩٦ ، في مطلب حكم الكبر وأثره على الإخلاص.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٠/٢٧٧، والفتاوى الكبرى، ٢/٣٢٧.

(٣) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ١/٥٧٣، والوابل الصيب له أيضاً، ٣٣.

أما كيف ينقض العجب الإخلاص؟

ففي بيان ذلك يقول المحاسبي -رحمه الله-: ((ولكن إذا استكثر عمله، واستعظمه، واستحسن علمه ورأيه، فأضاف ذلك إلى نفسه وحمدها عليه ونسي نعمة ربه عزوجل عليه، ومنته بذلك فقد أعجب بعمله وعلمه))[(١)].

فأبان -رحمه الله- أنَّ العجب ينقض الإخلاص؛ لأن المعجب يضيف الفعل لنفسه ولهذا يستكثره، ويستعظمه، ناسياً أن هذه النعمة من عند الله.

ويقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((... ولكن هو حال عامة المحلولين عن الأمر والنهي إن فعل طاعة: أخذ يضيفها إلى نفسه ويعجب، حتى يحبط عمله، وإن فعل معصية أخذ يعتذر بالقدر))[(٢)].

فأبان -رحمه الله- أن المعجب بعمله يضيف الفعل إلى نفسه فيقع بهذا في الشرك.

ويقول ابن القيم -رحمه الله- في حديثه عن العجب: ((...أصله: رؤية نفسه، وغيبته عن شهود منة ربه، وتوفيقه، وإعانته، فإذا غاب عن تلك الملاحظة، وثبت النفس، وقامت في مقام الدعوى فوقع: العجب، ففسد عليه القول، والعمل...))[(٣)].

وكلامه تأكيدٌ للكلام السابق.

وقال المناوي -رحمه الله- في تعليله لكون العجب مفسداً للعمل -ومنه الإخلاص-: ((... لأنَّ المعجب يستكثر فعله، ويستحسن عمله فيكون كمن أصابه عين فأتلفته، ولهذا قال الحكماء: العجب إصابة العمل بالعين... فكما أنَّ العين تميت الإنسان، فكذا تميت أعماله وتبطل أفعاله))[(٤)].

---

(١) الرعاية، ٤١٩-٤٢٠.

(٢) مجموع الفتاوى، ٤٤٦/٨، وينظر أيضاً كلامه من المصدر نفسه، ٢٧٧/١٠ ، وسبق نقله آنفاً.

(٣) الفوائد، ١٥٢.

(٤) فيض القدير، ٣٧٥/٢.

المبحث الثاني

الكبـــر

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف الكبر.

المطلب الثاني: الفرق بينه وبين العجب.

المطلب الثالث: دوافع الكبر.

المطلب الرابع: ما لا يعد كبراً.

المطلب الخامس: علاج الكبر.

المطلب السادس: حكم الكبر، وأثـــره علـــى الإخـــلاص، وكيف ينقضه.

المطلب الأول: تعريف الكبـــر:

أولاً: تعريف الكبر لغة:

١- قال الحميدي -رحمه الله-: ((والمتكبر والمتجبر: الذي يستحقر الناس ويزدريهم، ولا يرى لهم قدراً، ويرفع نفسه ويعظمها...))(١).

٢- وقال ابن فارس -رحمه الله- تحت مادة "كبر": ((كبر: الكاف، والباء والراء أصـــل صحيح يدل على خلاف الصغر... والكِبْرُ: معظم الأمر، قوله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ ﴾(٢) أي: معظم أمره... ومن الباب: الكِبَر: وهو الهــــرم، والكِــبْرُ: العظمة، وكذلك الكبرياء؛ ويقال ورثوا المجد كابراً عن كابر، أي: كبيراً عن كبــير في الشرف والعز...))(٣).

٣- وقال الراغب الأصفهاني -رحمه الله- تحت مادة "كبر": ((... والكِبْرُ، والتكـــــبر، والاستكبار: تتقارب، فالكبر: الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفســـه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره...))(٤).

٤- وقال الفيروز آبادي -رحمه الله- تحت مادة "كبر": ((... والكِبْرُ: معظم الشــــيء والشرف، ويضم فيهما...))(٥).

وقد وردت ألفاظ في اللغة مختلفة في مبناها مع كلمة الكبر، لكنها متفقة المعنى ومن تلك الألفاظ:

العجب، البغي، الخيلاء، التجبر، الأبهة، الاختيال، الاستطالة، التغطرس، الجبريـــــة،

---

(١) تفسير غريب ما في الصحيحين، ٣٤٤.

(٢) (النور ١١).

(٣) معجم المقاييس في اللغة، ٩١٥-٩١٦.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، ٦٩٧.

(٥) القاموس المحيط، ١٢٩/٢، وينظر: لسان العرب، لابن منظور، تحت مادة "كبر"، ٢١٠/٣-٢١٢.

الطيش، العنجهية[١].

ثانياً: تعريف الكبر شرعاً:

عرف الكبر جمع من أهل العلم، ومن تلك التعريفات:

١- سئل ابن المبارك -رحمه الله- عن الكبر؟

قال: ((أن تزدري الناس))[٢].

٢- وقال المحاسبي -رحمه الله-: ((قولك تكبّر ما معناه؟

قال: إذا جهل قدر نفسه عَظُم قدرها عنده، فَتَعظَّمَ على الخلق وأنفَ. فالكبر: التعظم))[٣].

٣- وقال الراغب الأصفهاني -رحمه الله-:

((والكبر: رفع نفسه فوق قدره))[٤].

٤- وقال الغزالي -رحمه الله- عنه:

((هو الخلق الذي في النفس، وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه))[٥].

٥- وقال ابن قدامه -رحمه الله-:

((واعلم أنَّ الكبر: خلق باطن تصدر عنه أعمال هي ثمرته. فيظهر على الجوارح، وذلك الخلق هو رؤية النفس على المتكبر عليه يعني يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبراً))[٦].

---

(١) ينظر: الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، لمحمد بن عبدالملك بن مالك الجياني، ١٢٤، تحقيق د/ محمد حسن عواد، دار الجيل، بيروت، الأولى، ١٤١١هـ، وينظر: المطلع، للبعلي، ٦٣.

(٢) شعب الإيمان، ٦/٣٠٣، برقم [٨٢٦٠].

(٣) الرعاية، ٤٧٤.

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة، ٢٩٩.

(٥) إحياء علوم الدين، ٣/٤٤١، وينظر: الزواجر، للهيتمي، ١/١٥٥.

(٦) مختصر منهاج القاصدين، ٢٩١.

٦- وقال ابن جزي -رحمه الله- فيه:

((ومعناه: تعاظم الإنسان في نفسه، وتحقيره لغيره))(١).

٧- وقال الصنعاني -رحمه الله- عنه:

((هو اعتقاد أنه يستحق من التعظيم فوق ما يستحقه غيره ممن لا يعلم استحقاقه الإهانة))(٢).

٨- وقال المناوي -رحمه الله- فيه:

((وهو الترفع على الغير بأن يرى لنفسه عليه شرفاً))(٣).

٩- وقال السفاريني -رحمه الله-:

((والكبر: وهو أن يبطر الحق، ويزدري الناس))(٤).

١٠- وقال صديق حسن خان -رحمه الله- فيه:

((وهو أن يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال فيحصل في قلبه اعتزاز، وهزة، وفرح، وركون إلى رؤية نفسه))(٥).

هذه بعض التعريفات لأهل العلم حاولوا تعريف الكبر على ضوء قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر، قال رجل: إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنةً، قال: إنَّ الله جميلٌ يحب الجمال، الكبر: بَطَرُ الحق، وغمط الناس)(٦).

---

(١) القوانين الفقهية، ٢٨٦.

(٢) سبل السلام، ٣٣٦/٨، حكاه عن المهدي في تكملة الأحكام مرتضياً له.

(٣) فيض القدير، ٤٨٤/٤، والقول حكاه عن غيره مرتضياً له.

(٤) الذخائر لشرح منظومة الكبائر، ٢٦٩.

(٥) أبجد العلوم، ٨٨/٢.

(٦) سبق تخريجه في مبحث مايتوهم أنه ليس بإخلاص وهو إخلاص ، فقرة رقم / ١٥.

وبطر الحق: دفعه، وإنكاره؛ ترفعاً وتجبراً.

وغمط الناس: احتقارهم[(١)].

ورغم محاولة العلماء -رحمهم الله- تعريف الكبر على ضوء الحديث السابق، إلاّ أن الحديث في غاية الوضوح ومغنٍ عن غيره من التعريفات، وذلك ما جعل البعض منهم يعرف الكبر بتعريف مطابق للحديث، كما فعله السفاريني -رحمه الله-.

المطلب الثاني: الفرق بين العجب والكبر:

هناك فروق ذكرها أهل العلم -رحمهم الله- بين العجب والكبر فمن تلك الفروق المميزة للكبر عن العجب، والعكس ما يلي:

١- الكبر يستدعي متكبراً عليه، ومتكبراً به بخلاف العجب فلا يستدعي متكبراً عليه.

قال الغزالي -رحمه الله-: ((فإنَّ الكبر يستدعي متكبراً عليه، ومتكبراً به، وبه ينفصل الكبر عن العجب -كما سيأتي- فإنَّ العجب لا يستدعي غير المعجب، بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصور أن يكون معجباً، ولا يتصور أن يكون متكبراً إلا أن يكون مع غيره، وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال، فعند ذلك يكون متكبراً))[(٢)].

وما قاله الغزالي فحق ولا يخالف قوله تعالى: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾[(٣)] إذ قد يُظن أن الكبر في الصدر فحسب، بل الصحيح أنه يظهر على الجوارح، ويتعدى على الغير بالترفع عليهم، ولهذا عرفه صلى الله عليه وسلم بقوله: (الكبر بطر الحق،

---

(١) ينظر: شرح النووي على مسلم، ٣٦٧/١، ومدارج السالكين، لابن القيم، ٣٧٦/٢-٣٧٧.

(٢) إحياء علوم الدين، ٤٤١/٣، وينظر مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ٢٩١، وفتح الباري، لابن حجر، ٦٠١/١٠، والزواجر، لابن حجر الهيتمي، ١٥٥/١، وسبل السلام، للصنعاني، ٣٣٧/٨-٣٣٨، وفيض القدير، للمناوي، ٤٨٢/٥، والذخائر، للسفاريني، ٢٧٧، وتحفة الأحوذي، للمباركفوري، ١١٤/٦.

(٣) (غافر ٥٦)

وغمط الناس))[١].

فدفع الحق واحتقار الناس منشؤه في الصدر ويظهر أثره على الجوارح، ويتعدى للغير بدفع الحق الذي جاؤوا به أو بالترفع عليهم واحتقارهم.

٢- الكبر أخص من العجب:

فالعجب يعود إلى ملاحظة الشخص لنفسه والنظر لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله عليه، والكبر مثله لكن يضاف له احتقار الغير ودفع الحق الذي معهم، فصار العجب بذلك أعم والكبر أخص، إذ كل متكبر يصدق عليه أنه معجب بنفسه، أما العجب فلا يصح إطلاق الكبر عليه[٢].

وهذا الفرق هو أثر عن الفرق السابق.

٣- العجب من أسباب الكبر:

قال المحاسبي -رحمه الله-: ((إنَّ أول بدوِّ الكبر: العجب، فمن العجب يكون أكثر الكبر فمنه سمي الكبر، ولا يكاد أن ينجو من الكبر.

فلما كان العجب هو الذي أخرج إلى الكبر، وعنه كان، فإنه يسمى به، ودلت أخلاق الكبر عليه))[٣].

وعد العجب سبب للكبر جمع من أهل العلم[٤].

٤- الكبر يكون بالمنزلة، والعجب يكون بالفضيلة:

قال الماوردي -رحمه الله-: ((... لأنَّ الكبر يكون بالمنزلة، والعجب يكون

---

(١) سبق تخريجه صـ ٤٧٨، في مطلب تعريف الكبر.

(٢) ينظر: الثمر الداني، لصالح الأزهري، ٦٨٦، وحاشية العدوي، ٥٩١/٢.

(٣) الرعاية، ٤٦٤.

(٤) ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، ٣٠٠، وإحياء علوم الدين، للغزالي، ٤٥٣/٣، والروح، لابن القيم، ٥٢٦، والزواجر، للهيتمي، ١٥٤/١، وفيض القدير، للمناوي، ٣٧٥/٢، وأبجد العلوم، لصديق حسن خان، ٨٥/٢.

بالفضيلة، فالمتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين، والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين))[١].

٥- الكبر يتصف به الخالق والمخلوق، أما العجب فلا يتصف به إلا المخلوق.

قال السفاريني -رحمه الله-: ((الكبر يتصف به الخالق والمخلوق، بخلاف العجب فإنه لا يتصف به إلا المخلوق))[٢].

المطلب الثالث: دوافع الكبر:

إنَّ أسباب الكبر ودوافعه هي نفس أسباب العجب ودوافعه؛ لأنَّ الكبر أثر من آثار العجب، ولكن لما كان العجب يفارق الكبر بأمور منها: أنه يستدعي متكبراً عليه فلهذا كان للكبر أسباب مستقلة إضافةً للأسباب التي تدفع للعجب، ومن هذه الأسباب التي تدفع للكبر غير أسباب العجب التي ذكرت سابقاً ما يلي:

١- العجب، والحقد، والحسد، والرياء:

فالعجب سبب في المتكبر يدفع لداء الكبر، والحقد والحسد سبب في المتكبر عليه؛ لأنَّ من يحقد على شخص أو يحسده فإنه لا يريد أن يتواضع له لما في نفسه من حقد وحسد للمتكبر عليه.

أما الرياء فهو متعلق بغيرهما ويعمل الرياء على جلب الكبر؛ لأنَّ المتكبر قد لا يكون في نفسه حقد أو حسد على شخص معين لكنه يأنف أن ينقاد له ولما معه من حق أمام الناس؛ لأنهم سيروه لو فعل ذلك، فيخشى سقوط مترلته فيندفع لداء الكبر حتى لا تسقط مترلته ويرد الحق على من دعاه إليه[٣].

٢- الرغبة بعدم الخضوع لأحد:

ويبلغ التمرد أقصاه عند ما يرفض أن يخضع لخالقه ومولاه وقد وصف الله بعض

---

(١) أدب الدنيا والدين، ٣٧٣.

(٢) الذخائر لشرح منظومة الكبائر، ٢٧٧.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين، ٣/٤٥٣-٤٥٤.

الكفار الذين حملهم كبرهم على الكفر بهذا الداء مبيناً أنه سبب لكفرهم فقال تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1].

والكبر حمل فرعون -لعنه الله- على الكفر ورد الحق أنفةً أن يخضع لغيره، وينقاد لموسى عليه السلام، فقال جل شأنه: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[2].

فالرغبة بعدم الخضوع لأحد من أعظم أسباب الكبر ودوافعه[3].

٣- الرغبة في التميز على الآخرين:

يلجأ بعض ضعاف النفوس لداء الكبر ليحققوا تميزهم على الآخرين فيستخدمون الكبر وسيلةً لتحقيق هذا التميز، وبالتالي يلفتون النظر إليهم ظانين أنهم قد حققوا تميزهم المنشود بوقوعهم في هذا الداء[4].

٤- مبالغة الآخرين في التواضع:

إن من دوافع الكبر وأسبابه مبالغة الآخرين في التواضع؛ فربما حمل ذوي النفوس المريضة على أن يظنوا بغيرهم النقص لما يرونه من مبالغتهم في التواضع، وأن الدافع لهذا التواضع ليس إلا النقص الموجود في الآخرين، كما أنهم نظروا إلى أنفسهم بتميزهم عن غيرهم، وأن عندهم ما ليس عند المتواضعين فاندفعوا لداء الكبر.

ولعل من أسباب الأمر بالتحدث بنعم الله هو دفع هذا المرض حيث قال جل شأنه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[5].

فإذا تحدث الناس بنعم الله عليهم علم صاحب القلب المريض أن فيهم من النعم

---

(١) (الأنعام ٠٩٣)

(٢) (القصص ٠٣٩)

(٣) ينظر: الأخلاق الإسلامية، لعبدالرحمن حبنكة الميداني، ٧١٨/١-٧١٩، دار القلم، دمشق، الخامسة، ١٤٢٠هـ.

(٤) ينظر المصدر السابق، ٧١٩/١.

(٥) (الضحى ٠١١)

كما فيه، فيقطع سبب الكبر من نفسه[١].

٥- اختلال معايير التفاضل عند الناس:

إذا اختلت معايير التفاضل عند الناس، سودوا الفاجر واحتقروا التقي الذاكر، فعند ذلك ينتشر التكبر في الفاجرين ظناً أن تسويدهم حقاً لهم، لما فيهم من كمال، ولو وضع الفاجر في مكانه اللائق لكسر داء الكبر في نفسه، ولو أعطى التقي حقه وأنصف لما حملته التقوى إلا على التواضع ونبذ الكبر، فإنَّ التقوى حاجز ووقاية من الذنوب الصغائر فكيف بكبائرها كالكبر وغيره.

فالفاسق والفاجر يغتر بما يراه من النعم عليه أما التقي فيزداد شكراً لربه كلما أغدقت عليه النعم من خالقه ومولاه[٢].

المطلب الرابع: ما لا يعد كبراً من الأعمال:

قد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم القاعدة التي تبين ما يكون كبراً من الأعمال، وما ليس بكبر، فما كان فيه رد للحق، ودفع له، أو احتقار للناس، وازدراء لهم فهو من الكبر، وما لم يكن كذلك فليس من الكبر.

وهذه بعض الأعمال التي قد يتوهم أنها من الكبر ولكنها ليست منه؛ إذ ليس فيها دفع للحق أو احتقار للناس، وهذه الأعمال لا يقصد بها الحصر بل المقصود منها بيان القاعدة السابقة بضرب الأمثلة لتتضح القاعدة في ذهن القاريء، كما أنَّ في هذه الأمثلة بياناً لبعض الأعمال التي قد تلتبس فيظن أنها من الكبر، والصحيح أنها ليست من الكبر، ومن هذه الأعمال ما يلي:

١- التجمل ولبس الثياب الحسنة[٣]:

فعن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

---

(١) ينظر: آفات على الطريق، ١/١٥٣.

(٢) ينظر: المصدر السابق، ١/١٥٤-١٥٥.

(٣) التواضع، لسليم الهلالي، ٥٩، دار ابن القيم، الدمام، الأولى، ١٤١٦هـ.

((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر،قال رجل: إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنةً، قال: إنَّ الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق، وغمط الناس))(١).

وفي الحديث دلالة صريحة على جواز التجمل ولبس الثياب الحسنة، وفيه رد على من منع ذلك معللاً قوله بأن هذا من الهوى، وأننا أمرنا أن تكون أفعالنا لله.

والصحيح أنه ليس كل ما تهواه النفس مذموماً، ولا كل التزين يكره، وإنما المكروه ما نُهي عنه أو كان على وجه الرياء(٢).

كما ينبغي أن يعلم أنَّ مجرد الجمال الظاهر في الصور والثياب لا ينظر الله إليه، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال، فإن كان الظاهر مجملاً بجمال الباطن فالله يحب ذلك، وإن كان جمال الظاهر مدنساً بقبح الباطن أبغضه الله، فلابد من جمال الظاهر والباطن(٣).

٢- جر الثوب نتيجة الإسراع في المشي:

فعن أبي بكرة(٤) -رضي الله عنه- أنه قال: ((خسفت الشمس ونحن عند النبي صلى الله عليه وسلم فقام يجر ثوبه مستعجلاً حتى أتى المسجد فصلى، وثاب الناس، فصلى ركعتين، فجلي عنها))(٥).

---

(١) سبق تخريجه صـ ٤٧٨ ، في مطلب تعريف الكبر.

(٢) ينظر: تلبيس إبليس، ٢٢٨.

(٣) ينظر: الاستقامة، لشيخ الإسلام، ٣٥٧/١.

(٤) أبو بكرة رضي الله عنه: من فضلاء الصحابة، واسمه: نفيع بن الحارث، وقيل: نفيع بن مسروح، اشتهر بكنيته، سكن البصرة، وأنجب أولاداً لهم شهرة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عدَّة أحاديث، تدلى لرسول الله من حصن الطائف ببكرة، فاشتهر بأبي بكرة، أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عبد فأعتقه، (اختلف في تاريخ موته فقيل: ٥١، أو ٥٢هـ)، روى له الجماعة.
ينظر: تهذيب الكمال، للمزي، ١٥٠/١٩-١٥٢، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥/٣-١٠، والإصابة، لابن حجر، ٣٦٩/٦.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب من جر إزاره من غير خيلاء، ٣١٤/١٠، برقم [٥٧٨٥]، وثاب: بمعنى رجعوا بعد أن خرجوا من المسجد، ينظر: الفتح: ٣١٥/١٠.

فجر الثوب نتيجة الإسراع في المشي ليس عن قصد أو عن تعمد، لكن نتيجة الإسراع لقضاء حاجة مستعجلة، فلا يعد ذلك من الكبر[1].

٣- استرخاء الثوب لسعته ونحوه مما لا إرادة للمرء به :

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، فقال أبو بكر: يا رسول الله إن أحد شقي إزاري يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لست ممن يصنعه خيلاء)[2].

فقد كان إزار الصديق يسترخي لسعته، و لم يتعمد هو ذلك بل كان دون إرادة منه، فلم يعد ذلك من الكبر.

٤- صيانة الثوب والمال والنفس عن ما يفسد:

فقد يُتوهم أن من صان ثوبه أو ماله أو نفسه عن ما يفسدهم أن ذلك يعد من الكبر، وهذا غير صحيح؛ لأنَّ الكبر ما كان فيه رد للحق أو احتقار للناس، وأما ما فيه إصلاح النفس والمال والهيئة فليس من ذلك.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((والفرق بين الصيانة والتكبر:

أن الصائن لنفسه بمنزلة رجل قد لبس ثوباً جديداً نقي البياض ذا ثمن فهو يدخل به على الملوك فمن دونهم فهو يصونه عن الوسخ، والغبار، والطبوع، وأنواع الآثار إبقاءً على بياضه، ونقائه فتراه صاحب تعزز وهروب من المواضع التي يخشى منها عليه التلوث))[3].

٥- أن يستعين بغيره في صب الوضوء ونحوه:

ظن بعض المتصوفة أنَّ الاستعانة على الوضوء بمن يصب الماء من الكبر، قال ابن خزيمة -رحمه الله-: ((باب الرخصة في استعانة المتوضيء بمن يصب عليه الماء ليطهر،

---

(١) ينظر: فتح الباري، ٣١٥/١٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب من جر إزاره من غير خيلاء، ٣١٤/١٠، برقم [٥٧٨٤].

(٣) الروح، ٥٢٦-٥٢٧.

خلاف مذهب من يتوهم من المتصوفة أن هذا من الكبر))[(١)].

وساق حديث المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه-: ((سكبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توضأ في غزوة تبوك فمسح على الخفين))[(٢)].

٦- الاختيال في المشي بين الصفين، وعند دفع الصدقة:

فقد قال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله، ومن الخيلاء ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله، فأمَّا الغيرة التي يحب الله فالغيرة في ريبة، وأما التي يبغض الله فالغيرة في غير الريبة، وأما الخيلاء التي يحب الله أن يتخيل العبد بنفسه لله عند القتال، وأن يتخيل بالصدقة)[(٣)].

٧- الهجر لأعداء الله، والفساق، والظلمة، وأهل التجبر إن كان فيه مصلحة شرعية[(٤)]:

ولكن ليعلم أنَّ المقصود هنا هو زجر الغير عن ما تلبس به من معصية، وليس المقصود التخلق بداء الكبر، الذي لم يرد إلا على سبيل الذم إلا ما استثنى مما هو مذكور في هذا المطلب.

وهجر أهل البدع بأنواع الهجر المختلفة من ترك السلام، وعدم المجالسة لهم، ... وغيره من ما يحصل به الهجر لهم ليس من الكبر بل هو من الأمور المشروعة التي يترتب عليها مصالح كثيرة، فليس تحقيقه من الكبر في شيء.

---

(١) صحيح ابن خزيمة، ١/١٠١-١٠٢.

(٢) صحيح ابن خزيمة، في جماع أبواب المسح على الخفين، ١/١٠٢، برقم [٢٠٣]، وأصله في صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين، ١/١٦٨، برقم [٢٧٤].

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ١٧/١٠٣-١٠٤، برقم [٢٣٦٣٧]، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب الخيلاء في الحرب، ٧/٢٢٩-٢٣٠، برقم [٢٦٥٦]، والنسائي، كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة، ٥/٨٢، برقم [٢٥٥٧]، وابن خزيمة، في باب الرخصة في الخيلاء عند الصدقة، ٤/١١٣، برقم [٢٤٧٨]، وحسنه الألباني -رحمه الله- ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١/٤٤٢، برقم [٢٢٢١].

(٤) ينظر: شعب الإيمان، ٦/٢٩٩، برقم [٨٢٣٦]، والذخائر، للسفاريني، ٢٧٥.

٨- العـــــزة:

والفرق واضح بين التكبر وبين العزة، فإنَّ العزة ترفع بالحق، وأما الكـــــبر فـــترفع بالباطل، وفيه دفع للحق، واحتقار للناس، أما العزة فليست كذلك بل هــــي وثــوق بالحق، وإظهارٌ له، واعتزازٌ به؛ ولهذا قـــال ســـبحانه وتعـــالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

فأثبت العزة، مع أنه حرم الكبر ونهى عنه[٢].

٩- التكبر على المتكبر:

وفي ذلك مقصد شرعي فالتكبر على المتكبر فيه زجر له عن ما هو فيه؛ لأنَّ الطبائع مجبولة على كره الأخلاق الذميمة فإذا رأى غيره تكبر عليه استفاد المتكبر أمرين:

أ - أنه ينظر لهذا الخلق وذمامته فيكرهه ويحاسب نفسه عليه لأنه واقع فيه كغـــيره، فكما أنه ذميم في غيره فكذلك يكون ذميماً في حقه.

ب- أن المتكبر ما تكبر إلا لما نظر لنفسه بعين الكمال ولغيره بعين النقص فإذا مـــا رأى غيره تكبر عليه علم أن فيه نقصاً دعا غيره أن يتكبر عليه، فتُكسر نفسه عن الكبر، لأنه رأى فيها النقص فينقطع عن الكبر وهذا المراد.

ولا يعترض معترض بقوله إنَّ الكبر مذموم فكيف يُفعل لكي يعالج الغير:

والجواب عن هذا الاعتراض هو القياس على المكر فإنه مذموم ولكـــن في مقابلـــة الماكر أصبح محموداً ولهذا قال ســـبحانه وتعـــالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝ ﴾[٣]، فكان المكر في مقابلة الماكر حميداً وليس بذميم، والمتأمل في هـــذه الصورة لا يرى أنَّ فاعلها قد دفع حقاً أو احتقر غيره مع نظره لنفسه بعين الكمال؛ بل

---

(١) (المنافقون ٠٠٨)

(٢) ينظر: آفات على الطريق، ١/١٥٢.

(٣) (آل عمران ٠٥٤)

ليحق حقاً ويبطل باطلاً، والله أعلم.

وعموماً فإنّ الضابط لما هو كبر:

ما كان فيه ردٌّ للحق.

أو احتقارٌ وازدراءٌ للناس.

فكل ما كان فيه ذلك فإنه كبر، وأما ما لم يكن كذلك فليس بكبر، والله أعلم.

المطلب الخامس: علاج الكبر:

لما كان الكبر أثراً من آثار العجب، وكان العجب أعم كما سبق بيانه في الفروق بينهما كان العلاج لهما واحداً، لكن لما كان هناك فارقٌ بينهما ومن ذلك أنّ الكبر يستدعي متكبراً عليه، كان لهذا الفارق أثر في زيادة طرق العلاج، وتلافياً للتكرار فإني أحيل القاريء للنظر في علاج العجب، فإنه مفيد في علاج الكبر، وسأقتصر هنا على إيراد ما لم يرد ذكره هناك، أو كان أخص بالكبر، ومن ذلك:

١- التواضع:

فالتواضع من الأمور التي تعالج الكبر فطلبه فيه نفيٌّ للكبر، وقد سئل الفضيل بن عياض -رحمه الله- عن التواضع؟ فقال: ((التواضع: أن تخضع للحق، وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته منه، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه))[1].

فظهر بهذا أنّ التواضع من الأمور المضادة للكبر كما قال ابن جزي -رحمه الله-: ((التواضع: وهو ضد الكبر))[2].

فإذا حقق التواضع انتفى الكبر.

وقد وردت النصوص مرغبةً في التواضع ومبينةً فضله ونفعه، ومن هذه النصوص:

أ- قال صلى الله عليه وسلم: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍّ

---

(١) التواضع والخمول، لابن أبي الدنيا، ١٤١-١٤٢، برقم [٨٨]، تحقيق/ لطفي الصغير، دار الاعتصام، القاهرة، وشعب الإيمان، للبيهقي، ٣٠١/٦، برقم [٨٢٤٥].

(٢) القوانين الفقهية، ٢٨٥.

إلاَّ عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[١].

ب- وقال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد)[٢].

جـ- وقال صلى الله عليه وسلم: (ما من آدمي إلاَّ في رأسه حكمةٌ بيد ملك فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته، وإذا تكبر قيل للملك ضع حكمته)[٣].

فحريٌّ بالمسلم أن يحقق التواضع ويسعى له لينال الفضل ويغنم الأجر.

٢- ومن الأمور المعينة لعلاج الكبر فعل أمور أرشد إلى فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم تذهب الكبر:

فعن جبير بن مطعم[٤] -رضي الله عنه- أنه قال: ((يقولون لي في التية، وقد ركبت الحمار، ولبست الشملة وقد حلبت الشاة، وقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، ٣٨٦/٨، برقم [٢٥٨٨].

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ٢١٦/٩، برقم [٢٨٦٥].

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، ٢١٨/١٢، برقم [١٢٩٣٩]، وبعضه أخرجه البغدادي في تاريخه، ٤٠١/٤، برقم [٢٣٠١]، والدارقطني في العلل، ٣٠١/٧، برقم [١٣٦٨] تحقيق د/ محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة، الرياض، الأولى،١٤٠٥هـ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ٢٧٧/٦، برقم [٨١٤٣]، وحسنه الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع الصغير وزياداته، ٩٩٠/٢، برقم [٥٦٧٥].

(٤) جبير بن معطم: صحابي جليل، اسمه: جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي، (ت٥٧، أو ٥٨ أو ٥٩هـ) كان من أكابر قريش وعلماء النسب أخذه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في فداء أسارى بدر فسمع سورة الطور فكان ذلك أول ما دخل الإيمان في قلبه، أسلم بين الحديبية والفتح، روى له الجماعة.

ينظر: تهذيب الكمال، للمزي، ٣٣٢/٣-٣٣٤، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٩٥/٣-٩٩، الإصابة، لابن حجر، ٥٧٠/١-٥٧١.

((من فعل هذا فليس فيه من الكبر شيء))[١].

وهذه الأمور المتأمل فيها يجد أنها مما تأنف نفوس المتكبرين من فعلها، وفي فعلها كسر لداء الكبر في النفس الذي منع من القيام بها، وقد يصح القول أنَّ غيرها مما يكون له نفس الأثر في كسر داء الكبر يقاس عليها، فنخرج بعلاج عام: وهو فعل كل ما يكسر داء الكبر في النفس وكان مما يجوز فعله؛ طرداً لهذا المرض.

ويبدو أنَّ هذا المفهوم هو ما فهمه بعض السلف فنصوا على أفعال تذهب الكبر، ومن ذلك:

قال الحسن -رحمه الله-: ((السجود يذهب بالكبر، والتوحيد يذهب بالرياء))[٢].

المطلب السادس: حكم الكبر، وأثره على الإخلاص، وكيف ينقضه:

الكبر من الكبائر المحرمة بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة فمن نصوص الكتاب التي دلت على تحريم الكبر:

١- قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[٣].

٢- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الكبر، ٦/١١٨، برقم [٢٠٦٩]، وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول، ٢١٠، برقم [٢٢٨].

وصحح سنده الألباني -رحمه الله- في صحيح الترمذي، برقم [١٦٢٧].

(٢) التواضع والخمول، لابن أبي الدنيا، ٢١٠، برقم [٢٢٧].

(٣) (النحل ٠٢٣)

(٤) (الأعراف ٠٤٠)

٣- وقال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[1].

فأخبر سبحانه وتعالى أنَّ قرار المتكبرين ومصيرهم: جهنم، مما يفيد أن الكبر من أسباب دخول النار والعذاب لصاحبه.

٤- وقال تعالى عن قوم موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[2].

فلما استكبروا عن اتباع موسى عليه السلام؛ سماهم الله مجرمين.

فهذه بعض نصوص القرآن الكريم الدالة على تحريم الكبر والمبينة لحكمه وأنه من أسباب دخول النار.

ومن نصوص السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام التي تدل على تحريم الكبر:

١- قال صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)[3].

وهذا الحديث عام في الكفار والمسلمين، أما الكفار فإن دخولهم النار واضح لكفرهم واستكبارهم عن الإيمان، وأما دخول المسلمين في هذا الحديث فلا يعني كفرهم إلا إن جاءوا بمكفر، وحكم المتكبرين من المسلمين كحكم أهل الكبائر هم تحت المشيئة[4].

---

(١) (الزمر ٠٧٢)

(٢) (الأعراف ١٣٣)

(٣) سبق تخريجه صـ ٤٧٨ ، في مطلب تعريف الكبر.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام، ٦٧٧/٧-٦٧٩، فقد شرح الحديث رحمه الله بشرح نفيس.

٢- وقال صلى الله عليه وسلم: (العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته)(١).

قال النووي -رحمه الله-: ((... فالضمير في (إزاره، ورداؤه) يعود إلى الله تعالى للعلم به))(٢).

٣- وقال صلى الله عليه وسلم: (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال)(٣).

والكبر من الأمور التي أجمعت الأمة على تحريمه(٤).

وما سبق هو في بيان حرمة الكبر عموماً؛ لأن للكبر أنواعاً أقل أحواله أنه من الكبائر، وفيما يلي بيان لأنواع الكبر وحكم كل نوعٍ:

أولاً: التكبر على الله:

وهو أفحش أنواع الكبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(٦).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، ٤٢١/٨، برقم [٢٦٢٠].

(٢) شرح النووي في على مسلم، ٤٢٢/٨.

(٣) أخرجه الترمذي، أبو صفة القيامة، ١٦٣/٧، برقم [٢٦١٠]، وابن أبي شيبة في المصنف، ٣٢٩/٥، برقم [٢٦٥٨٢]، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب، ١٠٧/٣، برقم [٢٩١١].

(٤) ينظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري، ٢٩٧، وينظر: اعتقاد أئمة الحديث، لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، ٧٨ .

(٥) (غافر ٠٦٠)

(٦) (النساء ١٧٢)

وهذا النوع من الكبر هو الذي حمل النمرود وفرعون على الكفر(١).

ثانياً: التكبر على الرسل:

وذلك بتعزز المتكبر وترفعه عن الانقياد لهم، كما حكى الله عن المشركين: ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾(٢).

وقال تعالى حاكياً قول المشركين: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾(٣).

والنوع الأول والثاني يعتبران مكفرين فمن كان فيه أحدهما فإنه يكفر.

ثالثاً: التكبر على العباد:

بأن يستعظم نفسه ويحتقر غيره، أو يرد الحق على من جاء به من المسلمين.

وهذا النوع دون النوع الأول والثاني، لكنه عظيم ويظهر ذلك من وجهين:

أحدها: أن الكبر لا يليق إلاّ بالله وحده، والمتكبر قد نازع الله في صفة من صفاته.

الثاني: في الكبر دعوة لرد الحق؛لأن الكبر يحمل صاحبه على رد الحق إذا أتاه ممن يرى أنه دونه(٤).

وقد عد أهل العلم -رحمهم الله- الكبر من نواقض الإخلاص وآفاته، ومن أقوالهم المفيدة لذلك ما يلي:

١- قال ذو النون -رحمه الله-: «الإخلاص: نفي المعارضة في السر والعلانية حتى لا

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام، ٦٣٣/٧.

(٢) (المؤمنون ٤٧).

(٣) (الزخرف ٣١).

(٤) ينظر: في هذه الأنواع: الرعاية، للمحاسبي، ٤٧٥-٤٨٣، وإحياء علوم الدين، للغزالي، ٤٤٣/٣-٤٤٥، ومجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام، ٦٧٧/٧-٦٧٩، والزواجر للهيتمي، ١٥٠/١-١٥٢، والذخائر، للسفاريني، ٢٧٣-٢٧٤، وأبجد العلوم، لصديق حسن خان، ٨٨/٢.

يداخله في الخلق رياء، ولا يزين عمله من أجلهم، ولا يداخله من نفس: عجب، ولا استكبار))(١).

٢- وقال النووي -رحمه الله-: ((واعلم أنَّ الإخلاص قد يعرض له آفة العجب فمن أعجب بعمله حبط عمله، وكذلك من استكبر حبط عمله))(٢).

٣- وقال شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((وكثيراً ما يقرن الناس بين الرياء والعجب فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس وهذا حال المستكبر...))(٣).

فقد سوى -رحمه الله- بين الرياء والعجب، والكبر، ومعلوم أن الرياء من نواقض الإخلاص فكذلك ما كان مثله.

والأدلة التي تدل على أنَّ الكبر من نواقض الإخلاص ومضاداته هي نفس الأدلة التي تدل على كون العجب من نواقض الإخلاص، وقد سبق أن الكبر أثر من آثار العجب(٤).

ولم أطلع على من خالف في كون الكبر من مضادات الإخلاص كما هو الحال في العجب، ولو وجد فالقول فيه كالقول في العجب؛ لأن الكبر من آثار العجب، والمتكبر لابد أن يكون فيه داء العجب إذ كل متكبر فيه عجب وليس العكس(٥).

وما أثر الكبر على الإخلاص؟

نجيب عن ذلك بأن أعمال بني آدم تنقسم إلى قسمين:

طاعات ومعاصٍ.

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي، ٣٤٧/٥، برقم [٦٨٨٠].

(٢) شرح الأربعين النووية، للنووي، ١٦.

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٧٧/١٠.

(٤) ينظر في الأدلة صـ ٤٦٤-٤٦٥ ، ٤٦٨-٤٦٩ ، إضافة لأدلة تحريم الكبر.

(٥) ينظر صـ ٤٧٩ ، في مطلب الفرق بين العجب والكبر.

والمعاصي قد تكون كفراً وشركاً أكبر، وقد تكون شركاً أصغر، وقد تكون كبيرة دون الشرك بنوعيه، وقد تكون من الصغائر.

والكبر له ثلاثة أحوال بحسب المعصية التي يدفع إليها.

أولاً: أن يكون الكبر كفراً وشركاً أكبر:

وذلك إذا دفع للكفر والشرك الأكبر، وتتضح هذه الحالة في النوعين الأولين للكبر؛ إذ أنهما من الكفر بالله، وهما اللذان عناهما شيخ الإسلام –رحمه الله– بقوله: ((ولما كان الدين عند الله الإسلام، والإسلام هو: الاستسلام لله وحده، وله ضدان: الإشراك، والاستكبار، فالمستكبر استكبر عن الإسلام له، والمشرك استسلم لغيره، وإن كان قد استسلم له، فمعنى الأحد: يوجب الإخلاص لله المنافي للشرك، ومعنى الصمد: يوجب الاستسلام لله وحده المنافي للاستكبار، فإن الصمد يتضمن صمود كل شيءٍ إليه وفقره إليه))[1].

وعد شيخ الإسلام –رحمه الله– هذين النوعين شراً من الشرك؛ لأنَّ المشرك يعبد الله وغيره، أما المتكبر فقد تكبر عن عبادة الله[2].

وأثر هذا النوع من الكبر على الإخلاص كأثر الشرك الأكبر على الإخلاص كما سبق بيانه.

ثانياً: أن يكون الكبر شركاً أصغر:

وذلك إذا أوقع في الشرك الأصغر، ويظهر ذلك إذا ما خالط الكبر الطاعات ودفع إليها، ويأتي بيانه لاحقاً.

وأثر الكبر هنا على الإخلاص كأثر الشرك الأصغر على الإخلاص بتفصيلاته السابقة.

ثالثاً: أن يكون الكبر معصية هي من الكبائر التي دون الشرك بنوعيه:

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٢/٣٠٩.

(٢) ذكره ابن القيم –رحمه الله– عن شيخه، ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٢/٣٧٥.

وذلك إذا لم يدفع الكبر للشرك، وأقل أحوال الكبر أن يكون من الكبائر كما سبق بيانه في أول المبحث.

ويكون أثر الكبر على الإخلاص في هذه الحالة كأثر الكبائر التي هي دون الشرك على الإخلاص، فتنقص من كماله الواجب، وقد سبق تقرير ذلك في أثر الهوى على الإخلاص[1].

اعتراض:

قد يقول قائل أليس العجب والكبر فيهما نسيان للمنعم مع رؤية النفس في النعم فكيف يكون كبيرة دون أن يكون شركاً أصغر؟.

والجواب:

إن هناك ذنوباً أطلق عليها الشارع أنها كفر وشرك وليس المقصود أنها من الشرك والكفر المخرجين عن الملة أو من الشرك الأصغر، بل عدها الشارع معصية وذنباً لا تلحق الشرك بنوعيه.

كما أن الناظر في صاحب الهوى يرى أنه لم يقدم على المعصية إلا بعد أن قدم هواه وحظ نفسه على طاعة مولاه كالزاني والسارق، ومع ذلك لم تكن هذه الذنوب والمعاصي من الشرك بنوعيه، بل هي من الكبائر التي هي دون الشرك والكفر.

ويبدو من كلام شيخ الإسلام -رحمه الله- فيما ظهر لي- أنه يرى أنَّ الكبر قد يكون معصية دون الشرك حيث قال -رحمه الله-: ((...وذلك أنَّ النفس فيها نوع من الكبر، فتحب أن تخرج من العبودية والاتباع بحسب الإمكان، كما قال أبو عثمان النيسابوري -رحمه الله-: "ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه"، ثم هذا مظنة لغيره فينسلخ القلب عن حقيقة اتباع الرسول ويصير فيه من الكبر، وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه أو يكاد))[2].

(١) ينظر صـ ٤٤٠ ، في مبحث أثر الهوى على الإخلاص.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/١٢٠.

فشيخ الإسلام يرى أنها لم تُترك سنة إلا من كبر في نفس من تركها، وما الحامل على ترك السنن إلا الكبر في نفوس التاركين لها، ومعلوم أنّ ترك السنة ليس من الشرك بنوعيه إلا أن أوقع فيهما، بل ترك السنة من جملة المعاصي التي هي دون الشرك، والله أعلم.

حكم الطاعات التي يخالطها الكبر، وأثره على الإخلاص فيها:

إن خالط الكبر الطاعة، وكان الدافع لفعلها، فإنّ أثر الكبر على الإخلاص في هذه الطاعة المشوبة بداء الكبر يكون كأثر الشرك الأصغر والرياء على الإخلاص بتفصيلاتهما السابقة، وذلك لاشتراكهما في العلة إذ الكل قد عمل لغير الله، وخالط العمل حظوظ النفس التي كان تحقيقها هو الهدف من هذا العمل، لكن المرائي أشرك المخلوقين في عمله، أما المتكبر فكان مشركاً لحظ نفسه في العمل، فاتفق الكبر والرياء في إفسادهما للطاعة وجعلها طاعةً غير خالصة بل مشوبة بحظوظ النفس وشهواتها، وأصبحت الطاعة معصية، ووقع أصحابها في الشرك الأصغر.

وقد سبق نقل كلام شيخ الإسلام في هذه المسألة وأعيده لأهميته حيث قال -رحمه الله-: ((وكثيراً ما يقرن الناس بين الرياء والعجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس وهذا حال المستكبر))(١).

فقد سوى -رحمه الله- بين الرياء والعجب والكبر في كونهما من الشرك الأصغر؛ لأنه حكم الأصل وهو الرياء، والفرع يأخذ حكم أصله كما هو معلوم.

والرياء لا يكون إلا بالطاعات فعلم من هذا أنّ الكبر والعجب يكونان شركاً أصغر إذا ما خالطا الطاعة، والله أعلم.

ولكن يبقى السؤال كيف ينقض الكبر الإخلاص؟.

من الواضح جداً في النوع الأول والثاني من أنواع الكبر كيف ينقضان الإخلاص إذ أنهما ينفيان الإيمان ولا يعد الواقع فيهما مسلماً، وهذا أمر واضح.

---

(١) مجموع الفتاوى، ١٠/٢٧٧، والفتاوى الكبرى، ٢/٣٢٧.

أما النوع الثالث:

فإن دفع للشرك الأكبر أو الأصغر فقد تقدم بيان أنهما من نواقض الإخلاص ولكن لو دفع لمعصية فإنه ينقص من كمال الإخلاص الواجب.

وأما إذا خالط الطاعة فإنه يكون من الشرك الأصغر ولبيان كيفية تأثير الكبر على الإخلاص أقول: إن الكبر فيه إشراك للنفس بالعمل فالمتكبر يعمل لحظ نفسه، وأما المخلص فإنه يعمل لله وحده، وتقدم كلام شيخ الإسلام آنفاً في بيان هذا المعنى.

كما أن المتكبر غير راضٍ بعبودية سيده؛ لأنه رفض أن يكون كغيره من العبيد، قال ابن القيم -رحمه الله-: ((... أن المتكبر غير راض بعبودية سيده إذ عبوديته توجب رضاه بأخوة عبده))[١].

المتكبر يرد الحق على عباد الله دون أن ينظر للحق وأنه من عند الله، فكأنه رده على مولاه.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: ((ومن تكبر عن الانقياد للحق، ولو جاءه على يد صغير أو من يبغضه أو يعاديه فإنما تكبره على الله؛ فإن الله هو الحق، وكلامه حق، ودينه حق، والحق صفته ومنه وله، فإذا رده العبد، وتكبر عن قبوله: فإنما رد على الله وتكبر عليه، والله أعلم))[٢].

والتكبر على الخلق يدعو للتكبر على الخالق، يقول ابن حجر الهيتمي -رحمه الله-: ((فإنَّ التكبر على الخلق يدعو إلى التكبر على الخالق، ألا ترى أن إبليس لما تكبر على آدم وحسده بقوله: ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾[٣] جره ذلك إلى التكبر على الله لمخالفة أمره فهلك هلاكاً مؤبداً))[٤].

(١) مدارج السالكين، ٢/٣٨٠-٣٨١.

(٢) مدارج السالكين، ٢/٣٧٦.

(٣) (ص ٠٧٦)

(٤) الزواجر، ١/١٥١.

والكبر فيه منافاة للعبودية الخاصة، يقول الشيخ سليمان آل الشيخ -رحمه الله-: ((...وإذا أداه المدح إلى التعاظم في نفسه والإعجاب بها وقع في أمر عظيم ينافي العبودية الخاصة كما في الحديث: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني شيئاً منها عذبته)))[١].

كما أن الكبر قد يكون من دوافع المراءاة لعباد الله إذ قد يأنف المتكبر من فعل طاعة أمام الناس لتعاليه أمامهم[٢].

والكبر قد يحمل على فعل الطاعة ليحقق شهوة نفسه من الفخر والرياسة فيكون عمله غير خالص يقول الذهبي -رحمه الله-: ((ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم، وازدراهم فهذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر))[٣].

---

(١) تيسير العزيز الحميد، ٧٣٢.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٣/٤٥٤.

(٣) الكبائر، المنسوب للذهبي، ٧٨، دار العربية، بيروت، لبنان، وينظر: فيض القدير، للمناوي، ٥/٤٨٢.

المبحث الثالث

التعبد بقصد الاطلاع على العوالم الغيبية

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: المقصود بها.

المطلب الثاني: حكمها.

المطلب الثالث: أثر التعبد بقصد الاطلاع على العوالم الغيبية على الإخلاص.

المطلب الأول: المقصود من التعبد بقصد الاطلاع على العوالم الغيبية:

اختلفت مقاصد الناس من العبادة فمن الناس من قصد من عبادته إرضاء الناس ولفت أنظارهم إليه ليمدحوه أو يمجدوه ويجلوه، ومن الناس من قصد من عبادته الدنيا، ومن الناس من قصد من عبادته الله والدار الآخرة ليفوز بثوابه وينجو من عقابه.

وكل عبادة أريد بها غير وجه الله والدار الآخرة فإنها باطلة، وكل عبادة خالطها مقصد لم يشرع فإنها مشوبة، وكل مشوب من العبادات بما لم يشرع فباطل.

ومقاصد الناس من عباداتهم كثيرة وبعضها حق وبعضها باطل، ومن جملة المقاصد التي قصدها المتعبدون من عباداتهم الاطلاع على العوالم الغيبية من: عالم الأرواح، والملائكة، وغرائب العوالم، وغير ذلك مما غيب على الإنسان فلم يكن مطلعاً عليه، وتعبد أقوام لهذا المقصد معللين فعلهم بعدة أسباب منها:

١- نيل الكرامة والولاية.

٢- ودعوى طلب العلم.

٣- والتفكر والتأمل بمخلوقات الله.

وغير ذلك من التعليلات التي يأتي بيانها بحول الله في الحديث عن حكم هذا المقصد[(١)].

المطلب الثاني: حكم التعبد بقصد الاطلاع على العوالم الغيبية:

لقد أبان الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لعباده ما يجوز من المقاصد، وما لا يجوز من المقاصد وإذا تقرر ذلك خرجنا بقاعدة عظيمة ليست خاصة بهذا الموضوع بل هي من قواعد الدين المتينة، وأسسه العظيمة وهي: «أنَّ الأصل في

---

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام، ٦/٦٦-٦٧، والنبوات، لشيخ الإسلام، ١/٤٠٩، والموافقات، للشاطبي، ٣/١٤٦-١٤٧.

العبادات التوقف))[١].

فلا يجوز أن يتعبد لله بأمر لم يشرعه الله في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، والنصوص التي بنيت عليها هذه القاعدة كثيرة، ولعل في ذكر حديث جامع موضح لها كفاية للمؤمنين، وهذا الحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[٢].

ومن جملة العبادات التي لا تشرع ولا يجوز فعلها إلا بدليل:"مقاصد العباد بالعبادة".

وقد نالت هذه المقاصد عناية عظيمة في الكتاب والسنة؛ لأن الخلل في القصد قد يوقع المسلم في الشرك برب العالمين، وليس الغرض بيان ما يجوز قصده من العبادة وما لا يجوز، ولكن المقصد هو بيان حكم التعبد لله بقصد الاطلاع على العوالم الغيبية، وهل هذا المقصد من المشروع أم من الممنوع؟.

من القاعدة السابقة يتضح الجواب وحكم هذا المقصد وهو أنه لا يجوز التعبد لله بهذا المقصد، ولإيضاح مأخذ الحكم وأسباب القول بعدم جوازه أورد الأسباب للقول بالمنع من هذا المقصد بينها الشاطبي -رحمه الله-، وهذه الأسباب هي:

أولاً: أنَّ الشارع لم يرد عنه ما يجيز مثل هذه المقاصد بل ورد عنه ما يدل على خلاف ذلك، فإنَّ ما غيب عن الإنسان مما لا يتعلق بالتكليف، لم يُطلب إدراكه، ولا حض على الوصول إليه.

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[٣].

فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأهلة -كما في الآية الكريمة- فأخبر

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام، ١/٨٠،٣٣٤، وينظر: حقيقة البدعة وأحكامها، لسعيد بن ناصر الغامدي، ٢/١٠٦، مكتبة الرشد، الرياض، الثالثة، ١٤١٩هـ.

(٢) سبق تخريجه صـ ٤٣ ، في مبحث شروط الإخلاص.

(٣) (البقرة ١٨٩)

الله سبحانه وتعالى رسوله بأنها مواقيت للناس وترك ما وراء ذلك مما غيب عنهم.

ثانياً: إن كان المقصد من الاطلاع على العوالم الغيبية طمأنينة النفوس، فإنَّ في عالم الشهادة من العجائب والغرائب ما يكفي لذلك، وقد لفت الخالق جلَّ جلاله الأنظار للتأمل في هذا الكون ليعرفوا بذلك عظمة الله ويستدلوا بها على كماله وبديع صنعه فمعطي الكمال أولى به قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾[١].

ثالثاً: إنَّ هذا التطلب الخاص فلسفي، فإنَّ الاعتناء بطلب تجريد النفس والاطلاع على العوالم التي وراء الحس إنما نقل عن الحكماء والفلاسفة، ولذلك يقرون رياضات خاصة لم تأت بها الشريعة كالتغذي بالنبات دون الحيوان وغير ذلك مما لم يكن عند السلف الصالح، وأيضاً هذا القصد لم يكن عند السلف الصالح مما يدل على أنه محدث ولا يجوز قصده.

رابعاً: إن طلب الاطلاع على ما غيب عنا من الروحانيات وعجائب المغيبات كطلب الاطلاع على ما غيب عنا من المحسوسات النائية كالأمصار البعيدة والقاصية، والمغيبات تحت أطباق الثرى، فكما لا يصح أن يقال بجواز التعبد لله بقصد أن يطلع من في المشرق على من في المغرب فكذلك لا ينبغي التعبد بقصد الاطلاع على العوالم المغيبة.

خامساً: لو كان هذا القصد سائغاً لكان محفوفاً بعوارض كثيرة تحول بين الإنسان ومقصوده، وإنما هي ابتلاءات يبتلي الله بها عباده لينظر كيف يعملون، فإذا وازن الإنسان بين مصلحة حصول هذه الأشياء وبين مفسدة ما يعترض صاحبها كانت جهة العوارض أرجح فيصير طلبها مرجوحاً[٢].

---

(١) (الأعراف ١٨٥)

(٢) ينظر في هذه الأسباب الموافقات، للشاطبي، ٣/١٤٩-١٥٣.

وقد يعترض على القول بعدم جواز التعبد بهذا المقصد باعتراضات، ومن تلك الاعتراضات:

أولاً: قد يقال إنَّ التعبد بهذا القصد من طلب الولاية وقد حث الله عباده على طلبها فقال تعالى: ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾(١)، ومن دلائل الولاية الاطلاع على المغيبات.

والجواب على هذا الاعتراض:

أنَّ الله سبحانه وتعالى قد بين لعباده الطريق التي توصل لهذه الولاية كما قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾(٢).

فالطريق إلى الولاية هو التقوى، وقال صلى الله عليه وسلم: (وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه)(٣).

فمن أراد الولاية فعليه بهذا الطريق، ومجانبة ما لم يرد في النصوص.

ثانياً: أن القصد لذلك من طلب العلم، وحث الشرع على طلب العلم كما قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾(٤)، كما أنَّ إبراهيم عليه السلام طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى كما قال سبحانه وتعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾(٥).

---

(١) (الفرقان ٠٧٤)

(٢) (يونس ٠٦٢-٠٦٣)

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ١١/٤١٤، برقم [٦٥٠٢].

(٤) (طه ١١٤)

(٥) (البقرة ٢٦٠)

والجواب على هذا الاعتراض:

١- أن العلم يطلب شرعاً للعمل، ولذلك حث الله عليه، وأما ما لم يفد في العمل فليس من العلم الذي حث عليه الشرع.

٢- طلب إبراهيم عليه السلام هو من باب الدعاء وباب الدعاء مفتوح، ولا ينكر ذلك، وإنما النكير على من عبد الله بقصد لم يشرع، وفرق بين من دعا ربه، وبين من عبد الله بقصد غير مشروع، ولولا أن طلب الأجر والثواب مؤكد لإخلاص العمل لله لما ساغ طلبه فكيف بطلب غير مشروع أصلاً(١).

ثالثاً: قد سئل بعض السلف عن دواء الحفظ فقال: ترك المعاصي ومن مشهور القواعد: أنَّ الطاعة تعين على الطاعة، والخير لا يأتي إلا بالخير كما أن الشر لا يأتي إلا بالشر وهذا القصد من هذا الباب فيجوز.

والجواب:

أن طلب الطاعة بالطاعة مما يجوز ولا يقدح في الإخلاص ومن ذلك ترك المعاصي لحفظ العلم فكلاهما طاعة فطلب الطاعة بالطاعة سائغ، أما التعبد بقصد الاطلاع على العوالم الغيبية فليس من هذا الباب؛ لأنَّ هذا القصد لا يشرع أصلاً فكان معصية، وقد سبق أنَّ الأصل في العبادات التوقيف وعليه فإن هذا الباب ليس من باب طلب الطاعة بالطاعة بل فعل طاعة لمقصد غير مشروع(٢).

رابعاً: قصد التعبد للاطلاع على العوالم المغيبة هو طلب للكرامة، والكرامات قد تقع لبعض عباد الله الصالحين، ومن ذلك هذا المقصد فإنه طلب كرامة بفعل العبادات.

والجواب:

نعم إنَّ مما أتفق عليه أهل السنة أنَّ الكرامات مما يقع لعباد الله الصالحين، لكن ليس الكلام في وقوعها من عدمه لكن الكلام في فعل العبادة بقصد الوصول لهذه الكرامة،

---

(١) ينظر: الموافقات، ٣/١٥٠-١٥١.

(٢) ينظر: الموافقات، للشاطبي، ٣/١٥٣-١٥٤.

وهذا الأمر لا يجوز؛ لأنه طلب لحظوظ النفس بالعبادات والعبادات لم تشرع لهذا المقصد[١].

خامساً: ومما قد يستدل به على جواز التعبد بقصد الاطلاع على العوالم المغيبة -مما لم أجد من ذكره- حديث حنظلة الأسيدي -رضي الله عنه- لما اشتكى إلى أبي بكر رضي الله عنه تغير حالهم بعد خروجهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونسيانهم ما ذكروا به لانشغالهم بأمور الدنيا حتى أنهم خشوا النفاق على أنفسهم فأخبر أبو بكر حنظلة أنه يجد ذلك أيضاً، فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: (والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة) ثلاث مرات[٢].

فقد يستدل بهذا الحديث على أنَّ فعل الطاعة والمداومة على الذكر توصل للاطلاع على المغيبات كالملائكة، بدلالة هذا الحديث، وعليه فيجوز التعبد بقصد الاطلاع على العوالم الغيبية مادام أنَّ الطاعة توصل إلى ذلك.

والجواب:

١- ليس في الحديث جواز التعبد بقصد الاطلاع على العوالم المغيبة وغاية ما يفيده أنَّ ذلك ربما يحصل للمتعبد، وفرق بين كون الشيء قد يحصل من غير طلب له، وبين أن يكون هذا الشيء مطلوباً ومقصوداً بالفعل.

٢- أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بصعوبة المداومة على الطاعة، وأرشد إلى المنهج السليم في العبادة -ساعة وساعة-، وعليه فإنَّ حصول هذا الأمر بالتعبد لا يمكن تحقيقه وليس معناه أنَّ العبادات لا توصل لها بل هو فضل الله وكرمه فربما تحصل

---

(١) ينظر: مقاصد المكلفين، للأشقر، ٤٨٠.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، ٩/٧٦-٧٧، برقم [٢٧٥٠].

هذه الكرامات لكن لا تقصد بالعبادة ومادام أن الله هو المنعم بها فالأولى أن يكون القصد من العبادة هو رضى الرحمن لا طلب ما لم يشرع، كما أن العبادة إن فقدت المتابعة لا تسمى عبادة بل تكون بدعة؛ فكيف يكون لها أثر وصاحبها متبعٌ لهواه فيها.

٣- والصحابة رضوان الله عليهم ما كان مقصدهم من السؤال البحث عن جواز هذا الأمر بل خشيتهم على أنفسهم من النفاق، ووقع جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل بيان مشروعية ما هم عليه، وأنَّ ذلك هو الحق، وغيره مما لا يستطاع.

وبهذا يتضح أنه لا توجد دلالة في الحديث على جواز قصد التعبد للاطلاع على العوالم الغيبية.

المطلب الثالث: أثر التعبد بقصد الاطلاع على العوالم الغيبية على الإخلاص:

قد سبق بيان حكم هذا القصد وأنه لا يجوز؛ وعليه فإنَّ التعبد بهذا القصد يعتبر من الأعمال التي لا تعد من الأعمال الخالصة كما قال الشاطبي -رحمه الله- في هذه المسألة: ((... وأما ما وقع الكلام فيه فحاصله طلب حظ شهواني يطلبه بالطاعة، وما أقرب هذا أن يكون العمل فيه غير مخلص))[1].

ويعلل شيخ الإسلام -رحمه الله- في كون هذا القصد لا يعد من الإخلاص بقوله: ((وذلك لأنَّ الإنسان قد يكون مقصوده نيل العلم والحكمة، أو نيل المكاشفات والتأثيرات، أو نيل تعظيم الناس له، ومدحهم إياه، أو غير ذلك من المطالب.

وقد عَرفَ أنَّ ذلك يحصل بالإخلاص لله، وإرادة وجهه، فإذا قصد أن يطلب ذلك بالإخلاص لله وإرادة وجهه كان متناقضاً؛ لأنَّ من أراد شيئاً لغيره فالثاني هو المراد المقصود بذاته، والأول يراد لكونه وسيلة إليه، فإذا قصد أن يخلص لله ليصير عالماً أو

(١) الموافقات، ١٥٤/٣.

عارفاً أو ذا حكمة أو متشرفاً بالنسبة إليه، أو صاحب مكاشفات وتصرفات ونحو ذلك، فهو هنا لم يرد الله، بل جعل الله وسيلة له إلى ذلك المطلوب الأدنى، وإنما يريد الله ابتداءً من ذاق حلاوة محبته وذكره))(١).

فإذا كان هذا القصد لا يعد خالصاً بل من المقاصد التي تضاد الإخلاص فما أثره على الإخلاص؟.

إنَّ الناظر في الرياء يرى أن من مقاصده العظيمة طلب تحقيق شهوات النفس وحظوظها، وهذه العلة موجودة فيمن قصد التعبد ليطلع على العوالم المغيبة فاشتركا في العلة؛ وعليه فإن أثر التعبد بقصد الاطلاع على العوالم الغيبية على الإخلاص في العبادات المخالطة لهذا المقصد كأثر الرياء على الإخلاص بتفصيلاته السابقة، والله أعلم.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٦/٦٦-٦٧، وينظر النبوات، لشيخ الإسلام أيضاً، ١/٤٠٩، والفتاوى الكبرى له، ٣/٣٦٢-٣٦٣.

المبحث الرابع

الحقد والحسد

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريفهما.

المطلب الثاني: حكمهما.

المطلب الثالث: أسبابهما.

المطلب الرابع: علاجهما.

المطلب الخامس: أثرهما على الإخلاص، وكيف ينقضانه؟.

المطلب الأول: تعريف الحقد والحسد:

وفيه مسائل:

المسألة الأولى:

أولاً: تعريف الحقد في اللغة:

قال ابن فارس -رحمه الله- تحت مادة "حقد": ((الحاء، والقاف، والدال، أصلان: أحدهما: الضغن، والآخر: ألا يوجد ما يطلب))[١].

وقال تحت مادة "ضغن": ((الضاد، والغين، والنون أصل صحيح يدل على تغطية شيء في ميل واعوجاج، ولا يدل على خير...))[٢].

ويقول الفيروز آبادي -رحمه الله- تحت مادة "حقد": ((...أمسك عداوته في قلبه، وتربص لفرصتها...))[٣].

وقال ابن منظور -رحمه الله- تحت مادة "حقد": ((الحقد: إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها، والحقد: الضغن...))[٤].

والمعاني التي دارت في اللغة حول كلمة "حقد" هي:

الإمساك، والحبس، والمنع، والانقطاع.

ولهذا قيل: احتقدت السماء، أي: لم تمطر.

قال الفيروزآبادي -رحمه الله-: ((... واحتقد: احتبس، والسماء لم تمطر...))[٥].

واحتقد المعدن، أي: انقطع.

قال الفيروز آبادي -رحمه الله- تحت مادة "حقد": ((... وانقطع المعدن فلم يخرج

---

(١) معجم المقاييس في اللغة، ٢٧٦.

(٢) المصدر السابق، ٥٩٩-٦٠٠.

(٣) القاموس المحيط، ١/٢٩٩.

(٤) لسان العرب، ١/٦٧٩.

(٥) القاموس المحيط، ١/٢٩٩، وينظر: لسان العرب، لابن منظور، ١/٦٧٩.

شيئاً...))[١].

وحقد الرجل: أمسك العداوة في قلبه لغيره، وتربص به.

وهذا المراد هنا، وسبق كلام العلماء في بيان هذا المعنى.

وقد وردت كلمات مختلفة اللفظ لكنها متفقة المعنى مع كلمة الحقد ومن ذلك: البغض، والعداوة، والشحناء، والشنآن، والبغضاء، والقلي، والضغن، والغمر، والوغر، والوغم، والوحر، والحسيكة، والنائرة، والسخيمة[٢].

المسألة الثانية:

ثانياً: تعريف الحسد في اللغة:

قال الحميدي -رحمه الله-: ((الحسد: أن يرى الرجل لأخيه نعمة، فيأمل أن تنتقل عنه، ويتمنى أن تزول عنه، وتصير له دونه...، وقيل الحسد: مأخوذ من الجدل فهو يفسد القلب ويؤلمه، كما يفسد القراد الجلد، ويمص الدم))[٣].

وقال ابن فارس -رحمه الله- تحت مادة "حسد": ((الحاء، والسين، والدال: أصل واحد وهو الحسد))[٤].

ويبدو -والله أعلم- أنه عرفه بنفسه لوضوحه وظهوره.

وقال الراغب الأصفهاني -رحمه الله-: ((الحسد: تمني زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعى في إزالتها))[٥].

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) ينظر: الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، لمحمد بن عبد الملك بن مالك الطائي الجياني، ٢٠٠.

(٣) تفسير غريب ما في الصحيحين، ٣٤٩.

(٤) معجم المقاييس في اللغة، ٢٦٣.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، ٢٣٤.

المسألة الثالثة:

أولاً: تعريف الحقد في الشرع:

قال الأزهري -رحمه الله-: ((والحقد: ما يضطغنه المعادي لعدوه من السخيمة، سمي حقداً؛ لأنه إذا اعتقده لمعاديه لم ينله خيراً))(١).

وقال الغزالي -رحمه الله-: ((اعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن، واحتقن فيه فصار حقداً، ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله، والبغضة له، والنفار عنه، وأن يدوم ذلك ويبقى))(٢).

وقال ابن جزي -رحمه الله-: ((والحقد: وهو خلق مذموم يثير العداوة والبغضاء والإضرار بالناس))(٣).

وقال عبدالرحمن حبنكة الميداني: ((والحقد: هو العداوة الدفينة في القلب، والعداوة هي كراهية يصاحبها رغبة في الانتقام من الشخص المكروه إلى حد إفنائه، وإلغائه من الوجود))(٤).

وقال فيه الدكتور/ السيد محمد نوح: ((حبس أو إمساك العداوة والبغضاء في الصدر للعجز عن التشفي حالاً، مع التربص أو التحين للتعبير عنها بصورة من الصور، أو شكل من الأشكال مآلاً))(٥).

وكل المعاني السابقة متقاربة، لكن آخرها أوفاها، وأدقها، وأوضحها.

---

(١) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، ٢٤٨، تحقيق د/ عبدالمنعم طوعي بشناتي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤١٩هـ.

(٢) إحياء علوم الدين، ٣/٣٢٤، وينظر: مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ٢٣٩، وينظر: الزواجر، لابن حجر الهيتمي، ١/١٢٤.

(٣) القوانين الفقهية، ٢٨٦.

(٤) الأخلاق الإسلامية، ١/٧٨٥.

(٥) آفات على الطريق، ٤/٢٧٣.

المسألة الرابعة:

تعريف الحسد في الشرع:

وقد عرف أهل العلم الحسد بما يبينه، ويوضح حقيقته، ومن هذه التعريفات التي ذكروها لهذا الداء ما يلي:

قال المحاسبي -رحمه الله-: ((كراهة النعم أن تكون بالعباد ومحبة زوالها))[١].

وقال الماوردي -رحمه الله- فيه: ((وحقيقة الحسد: شدة الأسى على الخيرات تكون للناس الأفاضل))[٢].

وقال البيهقي -رحمه الله-: ((والحسد: الاغتمام بالنعمة يراها لأخيه المسلم، والتمني لزوالها عنه، ثم قد يتمنى مع هذا أن تكون تلك النعمة له دونه))[٣].

وقال النووي -رحمه الله-: ((والحسد: تمني زوال النعمة))[٤].

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: ((الحسد: وهو كراهة ما اختص به الغير، وتمني زواله))[٥]. وقال ابن القيم -رحمه الله-: ((وأصل الحسد: هو بغض نعمة الله على المحسود وتمني زوالها))[٦].

وبالتأمل لتعريفات أهل العلم السابقة نجد أن الاتفاق على أن الحسد يكون بتمني زوال النعمة عن الغير، وهذا ضابطه المميز له، ولا يشترط أن يتمنى أن تحصل له النعمة

---

(١) الرعاية لحقوق الله، ٦١٤.

(٢) أدب الدنيا والدين، ٤٢٦.

(٣) شعب الإيمان، ٥/٢٦٣.

(٤) شرح النووي على مسلم، ٨/٣٥٨.

وينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢٠/٢٥٥.

(٥) الاستقامة، ٢/٢٤٥.

(٦) بدائع الفوائد، ٢/٤٥٨.

بل تمني زوالها فحسب يصيره حسداً على الصحيح من قولي أهل العلم[١].

ومما يدل على صحة هذا القول قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾[٢].

فقد تمنى أهل الكتاب زوال نعمة الإيمان عن المؤمنين، ولم يتمنوا حصول نعمة الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بل كانوا أكفر الناس به؛ لعلمهم بصدقه ووجود الدلائل على نبوته لكن الحسد حملهم على عدم الإيمان به صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: حكم الحقد والحسد:

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: حكم الحقد:

دلت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة النبوية على تحريم الحقد.

فمن نصوص القرآن الكريم التي تدل على تحريم الحقد:

١- قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[٣].

والغل هو الحقد كما سبق بيانه، ولم يدخل الله عباده جنته حتى نزع من قلوبهم هذا الخلق، فهو مما لا يليق بأهل الجنة، مما يدل على ذمامة هذا الخلق.

قال السعدي -رحمه الله- في تفسير الآية السابقة: ((وهذا من كرمه وإحسانه على أهل الجنة، أن الغل الذي كان موجوداً في قلوبهم والتنافس الذي بينهم، أن الله يقلعه

---

(١) ينظر: فتح الباري، ١/٢١٩.

(٢) (البقرة ١٠٩)

(٣) (الأعراف ٠٤٣)

ويزيله حتى يكونوا إخواناً متحابين، وأخلاء متصافين))[١].

٢- وقال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[٢].

وتفيد الآية ما أفادته الآية السابقة.

٣- وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾[٣].

والضغن هو الحقد كما سبق، وأورده الله سبحانه وتعالى في بيان ذم المنافقين مع ذكر صفاتهم القبيحة، وأنَّ من سماتهم الحقد على الإسلام وأهله[٤]، فخصلة اتصف بها المنافقون، وذموا لأجلها لاشك في تحريمها.

٤- وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥].

فمن صفات المؤمنين اللاحقين عدم حملهم الحقد والغل على إخوانهم السابقين، ولا يجوز ذلك؛ لأن من كان متصفاً بهذه الصفة لا يستحق أن يكون ممن أُثني عليهم كما في هذه الآية، وتفيد الآية أيضاً عدم جواز الحقد على المؤمنين عموماً المتقدمين أو المتأخرين منهم؛ لأن علة النهي عن الحقد على المتقدمين هي إيمانهم، وحسن فعالهم، وهي موجودة في المؤمنين عموماً.

ومن نصوص السنة التي تفيد تحريم الحقد ما يلي:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ٢٨٩.

(٢) (الحجر ٤٧).

(٣) (محمد ٢٩).

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ٧٨٩.

(٥) (الحشر ١٠).

١- قال صلى الله عليه وسلم: (إياكم والظن فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً)(١).

فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التباغض، وهو الحقد.

٢- وقال عليه الصلاة والسلام: (دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، أما إني لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين)(٢).

٣- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تفتح أبواب الجنة: يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا)(٣).

٤- وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ألا أنبئكم بدرجة أفضل من الصلاة، والصيام، والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: صلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة)(٤).

---

(١) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس، والتناجش ونحوها، ٣٦١/٨، برقم [٢٥٦٣].

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ١٨٩/٢-١٩٠، برقم [١٤١٢]، ومعمر بن راشد في جامعه "الملحق بالمصنف لعبدالرزاق"، ٣٨٥/١٠، برقم [١٩٤٣٨]، والترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة، باب رقم [٢٠]، ١٧٩/٧-١٨٠، برقم [٢٦٢٨]، والشاشي في مسنده، ١١٤/١،[٥٤] والمروزي في تعظيم قدر الصلاة، ٤٤٩/١، برقم [٤٦٥]، والبيهقي في شعب الإيمان، ٢٦٧/٥، برقم [٦٦١٣]، وحسن الحديث لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٩٩/٣، برقم [٢٨٨٨].

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلاة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، ٣٦٤/٨، برقم [٢٥٦٥].

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ١٣٦، برقم [٣٩١] -واللفظ له- وأخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، ١٧٨/١٣، برقم [٤٩٠٩]، وأخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة، باب رقم [٢٠]، ١٧٨/٨-١٧٩، برقم [٢٦٢٧]، وصححه الألباني -رحمه الله- في تعليقه على الأدب المفرد، ١٣٦ .

فهذه بعض النصوص المفيدة لتحريم الحقد، وعظم خطره على دين المرء وأعماله.

ومما ينبغي التنبيه إليه في حكم الحقد أن هناك فرقاً بين الموجدة، وبين الحقد نبه إليه ابن القيم -رحمه الله- حيث قال: ((والفرق بين الموجدة والحقد، أنَّ الوجدَ: الإحساسُ بالمؤلم، والعلم به، وتحرك النفس في رفعه فهو كمال، وأمَّا الحقدُ فهو إضمار الشرِّ وتوقعه كل وقت فيمن وجدت عليه، فلا يزايل القلب أثره.

وفرق آخر وهو أنَّ الموجدة لما ينالك منه، والحقد لما يناله منك؛ فالموجدة وجود ما نالك من أذاه، والحقد توقع ما يناله من المقابلة؛ فالموجدة سريعة الزوال، والحقد بطيء الزوال.

والحقد يجئ مع ضيق القلب، واستيلاء ظلمة النفس ودخانها عليه، بخلاف الموجدة فإنها تكون مع قوته وصلابته، وقوة نوره وإحساسه))[١].

المسألة الثانية: حكم الحسد:

الحسد من الأخلاق المحرمة والمذمومة بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

فمن نصوص القرآن الكريم الدالة على تحريم هذا الخلق:

١- قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ...﴾[٢].

فالحسد من خصال أهل الكتاب، والحسد جعل الكثير منهم يتمنى الكفر للمؤمنين، وهذا يدل على ذمامة هذا الخلق؛ حيث أنه حمل على تمني الكفر للمؤمن وزوال نعمة الإيمان عنه.

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره للآية السابقة: ((يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما

---

(١) الروح، ٥٥٨.

(٢) (البقرة ١٠٩)

هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم، وفضل نبيهم...))[(١)].

٢- قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[(٢)].

وقد نزلت الآية في بيان حسد أهل الكتاب لما آتاه الله رسوله من النبوة العظيمة[(٣)]، وهي تفيد ما أفادته الآية السابقة.

٣- وقال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾[(٤)].

فقد أمر الله سبحانه وتعالى بالتعوذ من شر الحاسد إذا حسد، وما أمر الله عباده بالتعوذ منه إلا لأنه مرض خبيث قد يصيب بالأذى إذا قضى الله ذلك[(٥)].

ومن نصوص السنة النبوية التي تدل على تحريم الحسد ما يلي:

١- قال صلى الله عليه وسلم:(إياكم والظن فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث،ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تنافسوا،ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عبادالله إخواناً)[(٦)].

٢- وقال صلى الله عليه وسلم: (دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، أما إني لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين)[(٧)].

٣- وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يجتمع في جوف عبد مؤمن غبار في سبيل الله، وفيح جهنم، ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد)[(٨)].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/١٦٣.

(٢) (النساء ٥٤٠)

(٣) تفسير ابن كثير، ١/٥٦٣.

(٤) (الفلق ٠٠٥)

(٥) ينظر: تفسير السعدي، ٩٣٧.

(٦) سبق تخريجه صـ ٥١٦ ، في حكم الحقد.

(٧) سبق تخريجه صـ ٥١٦ ، في حكم الحقد.

(٨) أخرجه النسائي -واللفظ له-، كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه، ٦/٣٢٠، برقم [٣١٠٩]، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، ١٠/٤٦٦، برقم [٤٦٠٦]، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/٩٨، برقم [٢٨٨٦].

وأفاد الحديث أنَّ الحسد من الكبائر؛ لأنه لا يجتمع مع الإيمان.

٤- وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا)[١].

وأجمعت الأمة على تحريم الحسد[٢].

والحسد أول ذنب كان في السماء، فعن الحسن -رحمه الله- أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾[٣]، قال عن الحسد: ((هو أول ذنب كان في السماء))[٤].

وهو أول ذنب وقع في الأرض، لما حسد قابيل هابيل[٥].

وللحسد ثلاث مراتب وهي:

الأولى: تمني زوال النعم:

وفي هذه المرتبة يتمنى الحاسد أن تزول النعمة عن المحسود وتحت هذه المرتبة نوعان:

أ - أن يتمنى زوال النعمة عن المحسود مع عدم تمنيه أن تحصل له.

ب- أن يتمنى زوال النعمة عن المحسود مع تمنيه أن تحصل له.

الثانية: تمني عدم حصول النعمة لمن ليس عنده هذه النعمة:

فيكره الحاسد أن تحصل للمحسود نعمة، بل يحب أن يبقى على جهله، وفقره، ومرضه... فهو يتمنى للمحسود أن يدوم عليه ما هو فيه من نقص وعيب، وهذا حسد على شيءٍ مقدر، والأول حسد على شيءٍ محقق، وكلاهما حاسد، وعدو نعمة.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ٣٠٩/٨، برقم [٨١٥٧] وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٩٩/٣، برقم [٢٨٨٧].

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم، ٣٥٩/٣، وينظر كلام المنذري في صحيح الترغيب والترهيب، ٤٠٥/١، وموسوعة الإجماع، لسعدي أبو جيب، ٣٧١/١.

(٣) (الفلق ٠٠٥)

(٤) شعب الإيمان، للبيهقي، ٧٣/٥، برقم [٦٦٣٣]، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢٥٥/٢٠.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢٥٥/٥.

الثالثة: حسد الغبطة:

وهي تمني أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه، فهذه لا بأس فيها.

وسيأتي الكلام فيها بحول الله وبيان الفرق بينها وبين الحسد، والمرتبة الأولى والثانية محرمة، أما الثالثة فهي جائزة[(١)].

مسائل تتعلق بحكم الحسد:

أولاً: الفرق بين الحسد والغبطة:

قد سبق أن الحسد تمني زوال النعمة عن الغير، أمَّا الغبطة فهي تمني مثل نعمة الغير دون أن يتمنى زوالها[(٢)].

والأصل في جواز الغبطة هو قوله صلى الله عليه وسلم: (لا حسد إلا في اثنين: رجلٌ آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)[(٣)].

وهل المراد الحسد الحقيقي في الحديث؟.

قيل أنه أطلق عليه الحسد مجازاً، وقيل إنَّ الحسد على حقيقته والاستثناء منقطع، ويكون المعنى: نفي الحسد مطلقاً إلا هاتين الخصلتين لا حسد فيهما، فلا يدخلهما

---

(١) ينظر في هذه المراتب: بدائع الفوائد، لابن القيم، ٤٦٢/٢، فهو دقيق فيها وكلامه أدق من الغزالي، وينظر الإحياء، للغزالي، ٢٤٩/٣، وينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢٧٦/٢-٢٧٩، وفيه تفصيل جيد.

(٢) ينظر: شعب الإيمان، للبيهقي، ٢٦٣/٥، والمبسوط، للسرخسي، ٧٤/١٦-٧٥، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ، وينظر كلام المنذري في صحيح الترغيب والترهيب، ٤٠٥/١، وينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، ٣٤٨، والقوانين الفقهية، لابن جزي، ٢٨٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، ٢١٨/١، برقم [٧٣]، وأخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن، ٣٥٨/٣، برقم [٨١٦].

الحسد أصلاً(١).

وقيل: إنَّ الكلام على سبيل المبالغة في الحث على تحصيل هاتين الخصلتين، كأنه قيل: لو لم يمكن تحصيلهما إلاَّ بالحسد لكان ما فيهما من الفضل حاملاً على الإقدام على تحصيلهما بهذا الطريق، فكيف والطريق المحمود يساعد على تحصيلهما(٢).

وقد ذهب ابن القيم -رحمه الله- إلى القول بعدم جواز الغبطة في غير هاتين الصورتين؛ لقلة منفعة الناس بغيرهما(٣).

وذهب غيره من أهل العلم إلى جواز الغبطة في غيرها مما هو في الطاعات، والحديث بمعنى لا أفضل من الغبطة في هذين الأمرين، ولا يعني عدم الجواز بل نبه بهما على غيرهما(٤).

والذي يظهر صحة القول الثاني؛ لأن العلة التي جازت فيها هاتان الصورتان كونهما تنافساً في طاعة ولا تحمل تمني زوال النعمة، وفي غير هاتين الصورتين توجد هذه العلة فتجوز.

وقد عد بعض أهل العلم الغبطة في الخير من الإيمان لأنها تحقيق لقوله تعالى: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾(٥).

قال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: ((الغبطة من الإيمان، والحسد من النفاق، والمؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط))(٦).

---

(١) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٢١٩/١-٢٢٠.

(٢) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٩٢/٩.

(٣) مفتاح دار السعادة، ٦٢/١.

(٤) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٢١٩/١.

(٥) (المطففين ٢٦)

(٦) حلية الأولياء، لأبي نعيم، ٩٥/٨.

ثانياً: الفرق بين المنافسة والحسد:

المنافسة مبادرة إلى الكمال الذي تشاهده من غيرك فتنافسه فيه حتى تلحقه أو تجاوزه، فهي من شرف النفس وعلو الهمة، قال تعالى: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[2]، والآيات الحاثة على التنافس في الخيرات كثيرة.

وليس في المنافسة تمني زوال النعمة عن الغير كما في الحسد[3].

قال الماوردي -رحمه الله-: ((وربما غلط قوم فظنوا أنَّ المنافسة في الخير هي الحسد، وليس الأمر على ما ظنوا؛ لأنَّ المنافسة طلب التشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليهم، والحسد مصروف إلى الضرر؛ لأن غايته أن يعدم الفاضل فضله، من غير أن يصير الفضل له، فهذا الفرق بين المنافسة والحسد))[4].

والناظر في المنافسة يجد أنها نوعٌ من الغبطة فهي تمني الخير وتنافس في الطاعات كالغبطة لكنَّ الغبطة لا يكون فيها من المسارعة كما في المنافسة.

والمنافسة في الطاعات محمودة ومرغوبة، وفيما كان جائزاً فمباحة وفي المعاصي مذمومة[5].

ثالثاً: هل يقع الحسد من المؤمن؟ ومتى يأثم بحسده:

قد يحسد المؤمن كما قال الحسن البصري -رحمه الله- لما سئل عن ذلك فقال:

---

(١) (المطففين ٠٢٦)

(٢) (البقرة ١٤٨)

(٣) ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، ٣٤٨، وشرح النووي على صحيح مسلم، ٣٦٢/٨، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢٥٥/٢٠، والروح، لابن القيم، ٥٥٨.

(٤) أدب الدنيا والدين، ٤٢٦، وينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٢٤٧/٣.

(٥) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٢١٩/١.

((لا أبا لك! ما أنساك بني يعقوب؟! فعلوا بأخيهم ما فعلوا))(١).

وقال سفيان بن عيينة -رحمه الله-: ((الغل: هو الحسد، فما خرج منه فهو الشر، وما بقي منه فهو الغل، وليس يسلم أحد أن يكون فيه شيء من الحسد))(٢).

ولكن هل كل حسد يأثم به صاحبه؟

يقول ابن رجب -رحمه الله- في الجواب على هذا السؤال:

((وقسم آخر من الناس إذا حسد غيره لم يعمل بمقتضى حسده، و لم يبغ على المحسود بقول ولا فعل، وقد روي عن الحسن أنه لا يأثم بذلك، وروي مرفوعاً من وجوه ضعيفة(٣).

وهذا على نوعين:

أحدهما: أن لا يمكنه إزالة الحسد عن نفسه، فيكون مغلوباً على ذلك فلا يأثم به.

والثاني: من يحدث نفسه بذلك اختياراً، ويعيده ويبديه في نفسه مستروحاً إلى تمني زوال نعمة أخيه، فهذا شبيه بالعزم المصمم على المعصية، وفي العقاب على ذلك اختلاف بين العلماء...لكن هذا يبعد أن يسلم من البغي على المحسود ولو بالقول فيأثم بذلك))(٤).

رابعاً: تمني زوال النعمة عن الكافر، والفاسق الذي يستخدم ما أنعم به عليه في معصية الله:

أجاز بعض أهل العلم -رحمهم الله- الحسد: بمعنى: تمني زوال النعمة عن الكافر، وعن الفاسق الذي يستعين بها على معاصي الله تعالى(٥).

---

(١) الرعاية لحقوق الله، للمحاسبي، ٦١٤ ،وينظر: الزهد، لهناد، ٢/٦٤٢، برقم [١٣٩٢].

(٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم، ٧/٢٨٤.

(٣) ينظر: ضعيف الجامع الصغير، للألباني، ٣٧٢، حديث برقم [٢٥٢٦] و[٢٥٢٧].

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢/٢٧٨-٢٧٩، وينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم، ٢/٤٦١-٤٦٢، وينظر: سبل السلام، للصنعاني، ٨/٢٧١.

(٥) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ١/٢١٩، وينظر: آفات على الطريق، د/ السيد محمد نوح، ٦/٢٩٣.

ويشهد لصحة قولهم قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾[١].

فقد دعا الله سبحانه وتعالى أن يذهب أموالهم -وهي من النعم- ويزيلها عنهم؛ لكفرهم وعنادهم وطغيانهم بها، مما يدل على جواز تمني زوال النعمة عن الكافر فيكون هذا التمني مشروعاً.

وأما الفاسق الذي يستعين على المعصية بما أُنعم به عليه من الله تعالى، فيجوز ذلك أيضاً؛ لأنَّ العلة في جواز ذلك مع الكافر هو طغيانه بهذه النعمة، فإن وجد الطغيان بهذه النعمة من الفاسق جاز تمني زوالها؛ للعلة السابقة، والله أعلم.

المطلب الثالث: أسباب الحقد والحسد:

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أسباب الحقد:

للحقد أسباب تبعث عليه، وتورثه،ومن هذه الأسباب الباعثة عليه والمورثة له ما يلي:

١- ضعف الإيمان:

فالإيمان جماع الخير فإذا ضعف أو فقد فلن يبالي صاحبه بالمكرمات، ولن يأنف من النزول لحضيض الدركات، ويصبح يوالي ويعادي لغير الله، ولو كان قوي الإيمان لدفعه ذلك إلى محبة المؤمنين وعدم الحقد والغل عليهم.

٢- الغضب:

فالغضب يحمل على الكبر والحقد والحسد والعدوان والسفه[٢].

---

(١) (يونس ٠٨٨)

(٢) ينظر: مدارج السالكين، ٢/٣٥٠.

والغضب يجمع الشر كله، ويبعث على كثير من الأمراض ورديء الأخلاق، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: (لا تغضب) فردد مراراً، قال: (لا تغضب)(١).

وقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)(٢).

٣- ضيق العطن وقلة العقل:

بعض الناس لا يتحمل أدنى إساءة ولا يعفو عن أقلِّ هفوة، الصغيرة والكبيرة عنده سواء، يحقد لأتفه الأمور، ويغل لأقلها؛ ومن خُلُقُه كذلك فسيقع فريسة لهذا الداء، وعلى المرء أن يعالج هذا السبب بتعويد نفسه وتصبيرها ليقلع جذور داء الحقد من قلبه.

٤- كظم الغيظ -دون احتساب- عند العجز عن التشفي:

فالغيظ إن كظمه صاحبه دون أن يحتسب الأجر في كظمه لغيظه رجع إلى البلطن، فاحتقن فصار حقداً(٣).

ولو كُظم الغيظ لوجه الله وإرادة ثوابه لما نتج هذا الداء الرديء، ولو علم المرء أنَّ كظم غيظه لوجه الله يجعله من الذين أثنى عليهم سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾(٤)،لسارع لتحقيق هذا الأمر.

٥- عدم العدل في المعاملة من الراعي لرعيته:

لقد أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل كما قال عز من قائل سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ٦٣٧/١٠، برقم [٦١١٦].

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ٦٣٧/١٠، برقم [٦١١٤].

(٣) ينظر: مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ٢٣٩.

(٤) (آل عمران ١٣٤)

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)[2].

إن انعدام العدل في المعاملة يولد الحقد على الراعي، ويولد الحقد على من فضِّل، ومع العدل تزال علةٌ وسببٌ للحقد من أقوى الأسباب الباعثة على هذا الداء.

٦- الحرمان:

قد يحمل الحرمان بعض ضعاف النفوس على الحقد على من أنعم الله عليهم،وقد شرع الله سبحانه وتعالى التكافل الاجتماعي وفرض الزكاة، وندب للصدقات لإزالة الحرمان عند من لبس ثوبه،ومن ميزات هذا التكافل أنه يحقق سد عوز المحتاجين،ويقوي الروابط في المجتمع، فلا يحقد محروم على ذي نعمة؛ لأنه سد عوزه، وأزال فقره.

٧- البيئة المحيطة:

قد ينشأ المرء في بيئة يسود جو الحقد بين أفرادها فينتقل هذا المرض لمن عايشهم؛ فالبيئة المحيطة لها أثرها البالغ في تكوين سلوك المرء، وقد مر الكلام عليها.

٨- السماع للوشاة:

إن لم يكن المرء ذا عقل يمنعه من التصديق للواشي ويحمله على التثبت تعجل في حكمه على الآخرين، وسعى في الثأر لنفسه لما صدَّق الواشي وامتلأ قلبه حقداً على من وُشي به، وفي التثبت من الأخبار إزالة لهذا السبب كما قال سبحانه وتعالى حاثاً على ذلك: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ

---

(١) (المائدة ٨٠٠)

(٢) أخرجه البخاري -واللفظ له-، كتاب الهبة، باب الإشهاد في الهبة، ٢٦٠/٥، برقم [٢٥٨٧]، ومسلم، كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل الأولاد في الهبة، ٧٣/٦-٧٤، برقم [١٦٢٣].

فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾(١).

فتصديق الوشاة يفكك المجتمع، ويسبب أمراضاً كثيرة في أفراده، ويزرع الحقد والعداوات بينهم.

٩- القطيعة والهجر الطويل دون عذر شرعي:

قد تسبب القطيعة والهجر الطويل الحقد بين الأفراد ولهذا نهي عن الهجر لغير سبب مشروع فوق ثلاث ليال وقد قال عليه الصلاة والسلام: (لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث)(٢).

١٠- التفريط في حقوق الآخرين، واستغلالهم:

التفريط في حقوق الآخرين من بواعث الحقد في نفوس الناس، فالنفوس مجبولة على طلب مالها، وتضييع حقوقها جالب لكرههم وحقدهم على من فرط في حقهم.

وكذلك استغلال الآخرين لحاجاتهم يورث الحقد؛ وقد نهي عن كثير من المعاملات التي فيها استغلال لحاجات الناس كالربا، والغش، وأكل مال اليتيم... وغير ذلك مما فيه استغلالهم.

١١- تكبر الآخرين وغرورهم:

المتكبر ممقوت من الناس، وتكبره وغروره قد يحمل غيره على كرهه وبغضه والحقد عليه فيتأصل في النفوس الحقد عليه، بل ربما حمل التكبر الذي فيه على أن يحسده الناس، ويتمنوا زوال النعمة عنه بسبب تكبره وغروره.

١٢- المراء والجدل:

المراء والجدل بغير حق من مورثات الضغائن وبواعث الحقد، يؤجج الفتن ويوقد نار البغضاء؛ فعندما يظهر أحدهما على الآخر يضمر الآخر الحقد عليه ويبيت العداوة في

---

(١) (الحجرات ٠٠٦)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الهجرة، ٦٠٣/١٠، برقم [٦٠٧٧]، وأخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، ٣٥٩/٨، برقم [٢٥٦٠].

نفسه، إن لم يكن عنده من الإيمان ما يكفي لردعه عن ذلك.

١٣- قسوة القلب:

الحقد لا يُزرع في أرض خصبة ولكنه ينبت في أرض قاحلة خلت من خوف الله والرغبة فيما عنده، ولا ترى حقوداً إلا قاسي القلب، فالحقد وقسوة القلب أمران متلازمان، وقد حذر الله من قسوة القلب حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

١٤- الجهل بعواقب الحقد:

الحقد يورث أدواءً كثيرة، والناظر في عواقبه يخشى الوقوع فيه بل وسيحارب هذا الداء في نفسه، فالعقل السليم يحترس مما يؤذي صاحبه، ومن جملة الأدواء التي يورثها الحقد:

١- الحسد؛ فقد يحمل الحقد على أن يتمنى الحاقد زوال النعمة عن المحقود عليه فيقع الحاقد في الحسد.

٢- الشماتة؛ فربما حمل الحقد على الشماتة بما يصيب المحقود عليه من البلاء.

٣- المقاطعة والهجر غير المشروع للمحقود عليه.

٤- استصغار المحقود عليه والتكبر عليه.

٥- غيبة وهتك ستر المحقود عليه.

٦- الاستهزاء به والسخرية منه.

٧- إيذاؤه بأنواع الأذى: بالكلام، والفعل، والسعي في ذلك.

---

(١) (الحديد ١٦).

٨- منعه حقه[١].

فهذه أهم بواعث الحقد وأسبابه وفي اجتنابه إبعاد لهذا الداء وطرد له[٢].

المسألة الثانية: أسباب الحسد:

المتأمل في أسباب الحقد يجد أنها هي أسباب الحسد؛ لأنَّ الحقد من الأمور التي تبعث على الحسد -كما مر بيانه في فقرة الجهل بعواقب الحقد، وسأذكر -بحول الله- أموراً تبعث على الحسد لم تذكر في أسباب الحقد، ومن ذلك:

١- عدم الرضى بالقضاء:

يقول ابن القيم -رحمه الله-: ((إنَّ الرضى يفتح له باب السلامة فيجعل قلبه سليماً نقياً من الغش والغل، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم، كذلك وتستحيل سلامة القلب مع السخط وعدم الرضى، وكلما كان العبد أشد رضى كان قلبه أسلم، فالخبث والدغل والغش قرين السخط، وسلامة القلب وبره ونصحه قرين الرضى؛ وكذلك الحسد هو من ثمرات السخط وسلامة القلب منه من ثمرات الرضى))[٣].

٢- العداوة والبغضاء:

يقول الغزالي -رحمه الله- في هذا السبب: ((وهذا أشد أسباب الحسد، فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه، وغضب عليه، ورسخ في نفسه الحقد، والحقد يقتضي التشفي والانتقام، فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان... ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك؛ لأنه ضد مراده))[٤].

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٢٣٥/٣.

(٢) ينظر: آفات على الطريق، د/ السيد محمد نوح، ٢٧٩/٤-٢٩١، فقد أورد بعض ما ذكر هنا.

(٣) مدارج السالكين، ٢٣٣/٢.

(٤) إحياء علوم الدين، ٢٥٠/٣، وينظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي، ٤٢٦.

٣- التعزز والتكبر:

وهو أن يثقل عليه ترفع غيره، فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو نعمة خشي أن يتكبر عليه، فيتمنى زوال ما به من نعمة[(١)].

٤- التعجب:

كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا: ﴿ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾[(٢)].

فقد تعجبوا من أن يفوز بشر مثلهم بنبوة أو رسالة فحسدوهم عليها[(٣)].

٥- الخوف من فوات مقصد:

وذلك عندما يتزاحم معه غيره على فضيلة لا تحتمل إلا واحداً فإذا حصلت لغيره تمنى زوال هذه الفضيلة عنه وحصولها له.

٦- حب الرئاسة وطلب الجاه:

ويظهر ذلك لو أنَّ هناك فضيلة تحتمل أكثر من شخص، فقد يظهر رجلان في فنٍّ معين، ولكن أحدهما يحب انفراده بهذا الفنِّ حتى لا يتقدمه غيره، فيحمله ذلك على تمني زوال النعمة عن الآخر، لينفرد بذلك، ويحصل له الترؤس والجاه لوحده[(٤)].

٧- خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله:

قد تجد من لا يشتغل برئاسة، ولا تكبر، ولا طلب مال إذا وصف عنده حال حسنة ظهرت على عبد من عباد الله شق ذلك عليه، وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم، وتنغص عيشهم سُرَّ بذلك[(٥)].

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ٣/٢٥٠.

(٢) (يس ١٥).

(٣) المصدر السابق، ٣/٢٥١.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ٣/٢٥١.

وينظر في كل ما سبق أيضاً الرعاية لحقوق الله، للمحاسبي، ٦١٧-٦٢٥.

(٥) ينظر: المصدر السابق، ٣/٢٥٢، وينظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام، ١٨/٣٣٤.

المطلب الرابع: علاج الحقد والحسد:

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: علاج الحقد:

لعلاج الحقد هناك طرق نافعة بإذن الله لإبعاد النفس والغير عن هذا الداء، ومن تلك الطرق النافعة بحول الله في معالجة هذا الداء ما يلي:

١- إفشاء السلام:

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)(١).

فقد أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما يجلب المحبة وفي تحقيق المحبة طرد لداء الحقد.

٢- الهدية:

جاء في الخبر عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تهادوا تحابوا)(٢).

وأفاد هذا الحديث ما أفاده الحديث السابق.

٣- صوم رمضان، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر:

فقد قال صلى الله عليه وسلم: (صوم شهر الصبر، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، ٣١١/١، برقم [٥٤].

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ٢٠٣، برقم [٥٩٤]، وأبو يعلى في مسنده، ٩/١١، برقم [٦١٤٨]، والشهاب في مسنده، ٣٨٠/١، برقم [٦٥٤]، والطبراني في الأوسط، ٥٤/٦، برقم [٥٧٧٥]، والبيهقي في السنن الكبرى، ٢٨٠/٦، برقم [١١٩٤٦] وفي شعب الإيمان، ٤٧٩/٦، برقم [٨٩٧٦]، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٥٧٧/١، برقم [٣٠٠٤].

يذهبن وحر الصدر)[١].

ووحر الصدر: حقده، وغشه، ووساوسه[٢].

٤- أن ينظر المرء في فضل السلامة من الحقد، والأجر والفضل الذي يعود عليه إذا ما سلم من الحقد، ومن ذلك:

ما رواه عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أفضل؟ قال: (كل مخموم القلب، صدوق اللسان) قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: (هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد)[٣].

والحقد يعيش على حساب كثير من الفضائل، كالخراج الداخلي، يأكل اللحم السليم، ويمص الدم النقي، ويتلف الأعصاب، وينخر العظام حتى يصل إلى نقيها فيلتهمه فما أعظم السلامة منه[٤].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، ٢٩٨/٤، برقم [٧٨٧٢]، وابن أبي شيبة في مصنفه، ٣٤٨/٧، برقم [٣٦٦٣٥]، وابن حبان في صحيحه، ٤٩٨/١٤، برقم [٦٥٥٧]، وأحمد في مسنده، ٥٠٤/١٥، برقم [٢١٢٦١]، وأبو داود الطيالسي في مسنده، ٣٨٨/١، برقم [٤٨٤]، تحقيق د/ عبد الله التركي، هجر للطباعة، مصر، الأولى، ١٤١٩هـ، وأبو يعلى في مسنده، ٣٤٦/١، برقم [٤٤٢]، والبزار في مسنده، ٢٧١/٢، برقم [٦٨٨]، وابن الجارود في المنتقى، ٣٤٨/٣-٣٤٩، برقم [١٠٩٩]، والبيهقي في شعب الإيمان، ٣٩١/٣، برقم [٣٨٥٦]، و٣٩٢/٣، برقم [٣٨٥٨]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٥٩٩/١، برقم [١٠٣٢-١٠٣٤].

(٢) ينظر: كلام المنذري -رحمه الله- في صحيح الترغيب والترهيب، ٥٩٩/١.

(٣) أخرجه ابن ماجة، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، ٤٧٥/٤، برقم [٤٢١٦]، والطبراني في مسند الشاميين، ٢١٧/٢، برقم [١٢١٨]، تحقيق/ حمدي عبدالمجيد السلفي، الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ.

وصححه الألباني في الترغيب والترهيب، ٩٩/٣، برقم [٢٨٨٩].

(٤) ينظر: الأخلاق الإسلامية، عبد الرحمن حبنكة، ٧٨٦/١.

٥- نسيان الإساءة:

إن النسيان من نعم الله التي أنعم الله بها على عباده فلولا النسيان ما انقضت حسرة، ولا تعزى عن مصيبة، ولا مات حزن، ولا بطل حقد، ولا تمتع بشيءٍ من متاع الدنيا لما يتذكره من آفات[1].

٦- الترك والبعد عن جميع الأسباب التي تبعث على الحقد:

وقد سبق شرحها وبيانها.

٧- مجاهدة النفس.

٨- تربية النفس وتوطينها على أن يكون حبها وبغضها لله.

٩- البعد عن الهوى، ووساوس الشيطان، ومغريات النفس.

١٠- إحسان الظن بالمسلمين:

لأنَّ إحسان الظنِّ بالمسلمين يحمل على تبرير ما لم يتضح من أفعالهم التي لا تُرغب، ويحمل على حمل ذلك الفعل على أحسن الأمور فينجو المسلم من سبب قد يبعث على الحقد.

١١- زيادة الإيمان بفعل الطاعات، ومجانبة المعاصي والسيئات:

لأنَّ الطاعة تعين على الطاعة فمن لازم الطاعات أعانته على سلامة الصدر.

١٢- الدعاء واللجوء إلى الله في إذهاب هذا المرض حتى يعينه الله عليه.

١٣- مرافقة الصالحين، وقراءة سيرة السلف الصالح، ليتعلم منهم كيف تكون سلامة الصدر، وكيف كانوا يتحرون هذا الأمر؛ فيوطن نفسه على ذلك.

المسألة الثانية: علاج الحسد:

الحسد من بواعث الحقد -كما سبق بيانه- وعليه فمن علاج الحسد علاج الحقد، وتقدم ذلك -ولله الحمد- وسأذكر هنا بحول الله إضافة لذلك ما يليق بالحسد من

---

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ١/٢٧٧.

علاج، علماً أن علاج الحسد ينقسم لقسمين:

أ - علاج للحاسد.

ب- علاج للمحسود ليتقي شر الحاسد.

أ - علاج الحاسد:

إضافة لما سبق ذكره في علاج الحقد من الأمور المختصة بالحاقد ومثلها هنا ما هو مختص بالحاسد، هناك أمور تعين الحاسد على علاجه من مرضه، ومن ذلك:

١- أن يعلم الحاسد، ويتيقن أن الحسد لا خير فيه، وقد قال محمد بن سيرين -رحمه الله-: (ما حسدت أحداً على شيءٍ من الدنيا، إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على شيءٍ من الدنيا وهو يصير إلى الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على شيءٍ من الدنيا وهو صائر إلى النار)[1].

٢- أن ينظر الحاسد إلى الآثار التي يقع فيها؛ لحسده، ومن تلك الآثار:

أ - حسرات تنتج من الحسد، وسقام للجسد، فهمٌ لازم وقلق دائم، وقد قال الأصمعي -رحمه الله- لأعرابي: ما أطول عمرك؟ فقال: ((تركت الحسد فبقيت))[2].

ب- انخفاض مترلته، وانحطاط مرتبته؛ فالناس تنفر من الحاسد، وقد قيل: الحسود لا يسود.

جـ- مقت الناس له حتى لا يجد فيهم محباً له، ومعاداتهم فلا يبقى منهم ولياً له.

د- إسخاط الله تعالى في معارضته، واجتناء الأوزار في مخالفته؛ إذ إنَّه لا يرى قضاء الله عدلاً، ولا لنعمته من الناس أهلاً[3].

وقد قيل: ليس شيء من الشر أضر من الحسد؛ لأنه يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود مكروه:

---

(١) الزهد الكبير، ٢/٣١٥، برقم [٨٤٥].

(٢) أدب الدنيا والدين، للماوردي، ٤٢٥.

(٣) ينظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي، ٤٣٠-٤٣١.

أولاها: غم لا ينقطع.

والثانية: مصيبة لا يؤجر عليها.

والثالثة: مذمة لا يحمد عليها.

والرابعة: يسخط عليه الرب.

والخامسة: تغلق عليه أبواب التوفيق(١).

٣- أن يتذكر الحاسد الموت:

وقد قال أبو الدرداء -رضي الله عنه-: ((من أكثر ذكر الموت قل فرحه، وقل حسده))(٢).

ب- علاج المحسود:

ذكر ابن القيم -رحمه الله- عشرة طرق يتخلص بها المحسود من شر حاسده وأسوقها مختصرة كما يلي:

١- أن يتعوذ بالله من شر الحاسد كما قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾(٣).

٢- تقوى الله وحفظ أمره ونهيه كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾(٤).

٣- الصبر على عدوه.

---

(١) ينظر: الحسد: أسبابه علاجه، الوقاية منه، لمجدي الشهاوي، ١٠٠، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، الأولى، ١٤١٦هـ.

(٢) الزهد، لابن المبارك، ٣٧/١، برقم [١٤٩]، وأخرجه ابن أبي عاصم في الزهد، ٣٩٠/١، وأبو نعيم في حلية الأولياء، ٢٢٠/١.

(٣) (الفلق ٠٠٥)

(٤) (آل عمران ١٢٠)

٤- التوكل على الله كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾(١)، والتوكل من أقوى الأسباب التي بها يدفع العبد ما لا يطيق من أذى الخلق.

٥- فراغ قلبه من الاشتغال بالحاسد وحسده، وعدم التفكر فيه.

٦- الإقبال على الله،والإخلاص له فإنه به يصرف السوء كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾(٢).

٧- تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾(٣).

٨- الصدقة، والإحسان ما أمكنه؛ فإنّ لها تأثيراً عجيباً في دفع البلاء، ولو لم يكن في هذا إلاّ تجارب الأمم لكان كافياً.

٩- وهو أصعبها الإحسان إلى الحاسد قال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾(٤).

١٠- تجريد التوحيد، والترحل بالأسباب إلى مسببها، والعلم أنها بمنزلة حركات الرياح وهي بيد محركها، فلا تنفع ولا تضر إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾(٥)(٦).

---

(١) (الطلاق ٠٠٣)

(٢) (يوسف ٠٢٤)

(٣) (الشورى ٠٣٠)

(٤) (فصلت ٠٣٤)

(٥) (الأنعام ٠١٧)

(٦) ينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم، ٢/٤٦٣-٤٧٠.

هذا ما ذكره ابن القيم -رحمه الله- وأزيد عليه أمراً هاماً وهو:

١١- إخفاء النعمة عن الحاسد:

قال محارب بن دثار[١] -رحمه الله-: ((إنه لمنعني أن ألبس الثوب الجديد مخافة أن يحدث لجيراني الحسد، ويقولون من أين هو له))[٢].

ويقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد، وقد قال يعقوب ليوسف عليهما السلام: ﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ﴾[٣]))[٤].

المطلب الخامس: أثرهما على الإخلاص وكيف ينقضانه:

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أثر الحقد على الإخلاص:

سبق القول أنَّ أعمال بني آدم: طاعات، ومعاصٍ، والمعاصي رتب مختلفة، والحقد من المعاصي التي لها ثلاث مراتب بحسب ما يدفع له، وهذه المراتب هي:

١- أن يكون الحقد كفراً أو شركاً أكبر:

---

(١) هو محارب بن دثار بن كردوس بن قرواش السدوسي الكوفي (ت١١٦هـ) الفقيه قاضي الكوفة، وليها لخالد بن عبدالله القسري، حدث عن: عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن يزيد وغيرهم رضوان الله عليهم، ولم يكن كثير حديث، وكان ثقة حجة، أثنى عليه عدد من الأئمة كسفيان الثوري، كان من المرجئة الأولى الذين لم يكونوا يشهدون لعلي وعثمان بالإيمان أو الكفر، وقالوا نكل أمرهم إلى الله، وروى له الجماعة.

ينظر: تهذيب الكمال، للمزي ٤٥٤/١٧-٤٥٥، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ٢١٧/٥-٢١٩، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ٩٢٢.

(٢) الزهد، لابن أبي عاصم، ٢٧٥/١، وشعب الإيمان، للبيهقي، ٢٧٧/٥، برقم [٦٦٥٤].

(٣) (يوسف ٠٠٥)

(٤) مجموع الفتاوى، ١٨/١٥.

وذلك إذا ما دفع الحقد للكفر أو الشرك الأكبر كمن أبغض رسولاً، وحمله الحقد على ردِّ قوله وعدم الإيمان به، وكمن أبغض التوحيد راغباً في الشرك وواقعاً فيه.

فأثر الحقد هنا على الإخلاص كأثر الشرك الأكبر على الإخلاص كما سبق بيانه.

٢- أن يكون الحقد من الشرك الأصغر:

وذلك إذا ما دفع الحقد إليه وأوقع فيه، كمن حمله الحقد على أن يصنع معروفاً والقصد منه الإيقاع بالخصم، وعُدَّ شركاً أصغرا؛ لأنه فعل معروفا لم يقصد به وجه الله، ومثل مخالطة الحقد للعبادة إذا كان هو الباعث لها كما سيأتي بيانه لاحقاً بحول الله.

وأثر الحقد هنا على الإخلاص كأثر الشرك الأصغر على الإخلاص بتفصيلاته السابقة.

٣- أن يكون الحقد معصية ومن الكبائر فحسب:

وذلك إذا لم يدفع للكفر ولا للشرك بنوعيه فإنه يكون من الكبائر كمن أبغض مسلماً، وأقل أحوال الحقد أن يكون من الكبائر، وقد عده من الكبائر عدد من أهل العلم[1].

وأثر الحقد هنا على الإخلاص كأثر الكبائر على الإخلاص فتنقص من كماله الواجب كما سبق بيانه في الهوى وأثره على الإخلاص.

حكم الحقد إذا ما خالط الطاعة وكان الدافع لها:

قد يخالط الحقد الطاعة ويدفع إلى فعلها، فيكون الباعث لفعلها هو الحقد، وليس ابتغاء وجه الله تعالى، كمن كظم غيظه -وكظم الغيظ عبادة وطاعة إن قصد بها وجه الله- لعجزه عن التشفي، وأضمر السؤ لمن كظم غيظه عنه فهو هنا قد فعل في الظاهر عبادة، ولكنها أصبحت معصية؛ لأنها لم تكن لله، وكمن فعل أموراً للمحقود عليه من تسهيلات وغيرها بغرض الإيقاع به، فهو هنا فعل ما ظاهره معروف والمعروف طاعة،

---

(١) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي، ١/١٠٢، والكبائر، لمحمد بن عبد الوهاب، ٤٣، تحقيق د/ باسم جوابرة، طبع وزارة الشئون الإسلامية، الرياض، الثانية، ١٤٢٠هـ.

لكنه لم يعمله لله بل لغرض شهواني لينتقم لنفسه، فعمله غير مقبول؛ لأنه لم يكن خالصاً لله بل لحظ نفسه وإرضاء شهوته، ويكون قد وقع في نوع من الشرك الأصغر، وعليه فأثر الحقد هنا على الطاعة إذا ما خالطها كأثر الشرك الأصغر والرياء على الإخلاص فيها، لأنَّ الكل عمل لغير الله فالأثر واحد على الإخلاص، والله أعلم.

وبهذا يظهر كيف ينقض الحقد الإخلاص إذا ما خالط الطاعة.

المسألة الثانية: أثر الحسد على الإخلاص:

الحسد من أصول المعاصي كما قال حاتم الأصم -رحمه الله-: ((وأصل المعصية ثلاثة أشياء: الكبر، والحرص، والحسد))[1].

والحسد من الأمور التي توقع في المعاصي المختلفة وتختلف آثارها على الإخلاص باختلاف المعصية التي دفع لها وأوقع فيها الحسد، وللحسد ثلاثة أحوال وهي:

١- أن يكون الحسد كفراً أو شركاً أكبر:

وذلك إذا ما أوقع في الكفر أو الشرك الأكبر، وأثر الحسد هنا على الإخلاص كأثر الشرك الأكبر على الإخلاص كما سبق بيانه.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: ((أركان الكفر أربعة: الكبر، والحسد، والغضب، والشهوة))[2].

ويقول أيضاً -رحمه الله- مبيناً بعض أسباب عدم اتباع الحق: ((... ومن أعظم هذه الأسباب: الحسد؛ فإنه داء كامن في النفس ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه، وأوتي ما لم يؤت نظيره، فلا يدعه الحسد أن ينقاد له، ويكون من أتباعه، وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد، فإن لما رآه قد فضل عليه، ورفع فوقه غص بريقه، واختار الكفر على الإيمان بعد أن كان بين الملائكة، وهذا الداء هو الذي منع اليهود من

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي، ٦/٢٩٦، برقم [٨٢٢١].

(٢) الفوائد، ١٥٧.

الإيمان بعيسى ابن مريم...))[1].

٢- أن يكون الحسد شركاً أصغر:

وذلك إذا دفع الحسد للشرك الأصغر، كمن دفعه الحسد لفعل طاعة لم يرد بها وجه الله ولكن حسداً للغير.

وأثر الحسد هنا على الإخلاص كأثر الشرك الأصغر والرياء على الإخلاص بالتفصيلات السابقة لهما.

٣- أن يكون الحسد كبيرة من الكبائر دون الشرك بنوعيه:

وذلك إذا لم يدفع للكفر، ولا للشرك بنوعيه، فأقل أحواله أن يكون الحسد كبيرة من الكبائر -كما سبق بيانه في حكم الحسد- ويكون أثره هنا على الإخلاص كأثر الكبائر على الإخلاص فينقص من كماله الواجب كما سبق في أثر الهوى على الإخلاص.

حكم الحسد إذا ما خالط الطاعة ودفع لها:

قد يدفع الحسد لفعل الطاعة ويكون الباعث على فعلها فيقع العامل في معصية وهو يظنُّ أنها طاعة، وذلك كمن قام يصلي وقام آخر مثله يصلي، فتمنى ألا يفعل ذلك وزاد في صلاته حتى لا يصل المحسود إلى ما وصل إليه، فهو هنا لم يعمل الطاعة خالصة لله، وكمن طلب علماً وحرص على إتقانه وتمنى زوال نعمة الإتقان عن قرينه لينفرد بهذا العلم، وازداد في طلب العلم حتى لا يبرز قرينه عليه، فهنا لم يفعل هذه الطاعة خالصة بل خالطها الحسد ودفع إليها، فيكون قد وقع في نوع من الشرك الأصغر وأثره على الإخلاص في هذه الطاعة كأثر الشرك الأصغر على الإخلاص بتفصيلاته السابقة. والله أعلم.

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((ومما يشبه هذا ما ذكره له مرة بعض أصحابنا

---

(١) طريق الهجرتين، ٢٤٥، وينظر مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام، ٧/٣٩٧.

الفقراء -وفيه خير ودين ومعرفة- أنه كان يصلي بالليل، فقام آخر يصلي، قال: فأخذتني الغيرة، فقلت له: هذا حسد، وضيق عطن، وظلم ليس بغيرة، إنما الغيرة إذا انتهكت محارم الله، والله تعالى واسع عليم، يسع عباده الأولين والآخرين، وهو يحب ذلك ويأمر به، ويدعو إليه، فكيف يبغض المؤمن ما يحبه؟!))[١].

ويقول أيضاً -رحمه الله-: ((ومنهم من يحمله الحسد على الغيبة فيجمع بين أمرين قبيحين: الغيبة والحسد، وإذا أثني على شخص أزال ذلك عنه بما استطاع من تنقصه في قالب دين وصلاح، أو في قالب حسد وفجور وقدح ليسقط ذلك عنه))[٢].

فانظر كيف حمل الحسد على فعل طاعة في الظاهر -التحذير والنصح تديناً- وإنما هي معصية؛ لأنه لم يرد بذلك وجه الله سبحانه وتعالى.

كيف ينقض الحسد الإخلاص إذا ما خالط الطاعة، ولماذا كان ينقضها؟

وللجواب عن هذا السؤال أسوق كلاماً لبعض أهل العلم -رحمهم الله- ثم أستخلص الجواب من كلامهم.

يقول البيهقي -رحمه الله-: ((والحاسد يعتبر إحسان الله تعالى إلى أخيه المسلم إساءة إليه، وهذا جهل منه؛ لأنَّ الإحسان الواقع بمكان أخيه لا يضره شيئاً، فإنَّ ما عند الله واسع، وقد يكون الحاسد متسخطاً لقضاء الله، ...))[٣].

وقال بعض الحكماء:

((بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه:

أولها: قد أبغض كل نعمة قد ظهرت على غيره.

والثاني: سخطه لقسمته، يعني يقول لربه: لم قسمت هكذا؟!.

والثالث: أنه ضنَّ بفضله،يعني ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضل الله تعالى.

---

(١) الاستقامة، ٢/٢٧.

(٢) مجموع الفتاوى، ٢٨/٢٣٧.

(٣) شعب الإيمان، ٥/٢٦٣.

والرابع: خذل ولي الله تعالى؛ لأنه يريد خذلانه وزوال النعمة عنه.

والخامس: أعان عدوه، يعني إبليس لعنه الله))[١].

وقال الماوردي -رحمه الله- في بيان قبح الحسد وآفاته: ((والرابعة: إسخاط الله تعالى في معارضته، واجتناء الأوزار في مخالفته؛ إذ ليس يرى فضاء الله عدلاً ولا لنعمه من الناس أهلاً))[٢].

وقال الراغب الأصفهاني - رحمه الله-: ((واعلم أنَّ الحسد من وجه غاية البخل؛ لأنَّ البخيل يبخل بمال نفسه والحاسد يبخل بمال الله تعالى، ولذلك قيل الحاسد بخيل بما لا يملكه، ومن وجه هو أظلم ظالم؛ لأنه يظلم غيره في إزالة حاله، ويظلم ربه فيما قدره))[٣].

ويقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: ((وتعظيم الله عزوجل ورسوله، والطاعة لله ورسوله أمرٌ لازم لهذا التصديق لا يفارقه إلا لعارض من كبر أو حسد، أو نحو ذلك من الأمور التي توجب الاستكبار عن عبادة الله، والبغض لرسوله عليه الصلاة والسلام، ونحو ذلك من الأمور التي توجب الكفر ككفر إبليس وفرعون وقومه))[٤].

فالحسد من الأمور التي توجب الاستكبار عن عبادة الله .

ويقول ابن القيم -رحمه الله-: ((فإنَّ الحسد في الحقيقة نوع من معاداة الله فإنه يكره نعمة الله على عبده وقد أحبها الله، وأحب زوالها عنه، والله يكره ذلك، فهو مضادٌ لله في قضائه، وقدره، ومحبته، وكراهته.

ولذلك كان إبليس عدوه حقيقة؛ لأنّ ذنبه كان عن كبر وحسد))[٥].

---

(١) تنبيه الغافلين، لأبي الليث السمرقندي، ١٣٣، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢٠/٢٥٦.

(٢) أدب الدنيا والدين، ٤٣١.

(٣) الذريعة، ٣٤٩.

(٤) شرح العقيدة الأصفهانية، ١٧٨.

(٥) الفوائد، ١٥٨.

وقال ابن كثير -رحمه الله- عن اليهود: ((لما كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر، قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة))[١].

وقال ابن رجب -رحمه الله-: ((فإنّ الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير، أو يساويه فيه؛ لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله، وينفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلاف ذلك، وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه من شيء))[٢].

وقال المناوي -رحمه الله-: ((والحسد: تسخط قضاء الله فيما لا عذر للعبد فيه))[٣].

وقال عبدالرحمن حبنكة الميداني عن الحسد: ((إنه نوع من الاعتراض على أفعال الله تعالى، واتهام الله جل وعلا في حكمته العالية، والتطاول إلى مقام يجب على المؤمن أن يقف دونه موقف الأدب والرضا والتسليم، فهو يتنافى مع الإيمان، لذلك فهو والإيمان لا يجتمعان في قلب عبد كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم[٤]))[٥].

ومن كلام أهل العلم السابق يتضح لماذا كان الحسد ينقض الإخلاص وذلك لما يلي:

١- أنه تسخطٌ لقضاء الله، ولا يرى قضاءه عدلاً.

٢- أنه بخل بفضل لا يملكه.

٣- من الأمور التي تبعث على الاستكبار عن عبادة الله.

٤- وفيه نوع من معاداة الله؛ لأن الله يحب أمراً والحاسد يكرهه.

٥- وفيه مجانبة خصال المؤمنين في محبة أن يشركهم غيرهم فيما هم فيه من خير.

٦- وفيه اعتراض على أفعال الله.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ١/١٣٤.

(٢) جامع العلوم والحكم، ١/٣٠٦-٣٠٧.

(٣) فيض القدير، ٣/١٣٢.

(٤) يشير لحديث (لا يجتمع في جوف عبد مؤمن...) وسبق إيراده في حكم الحسد.

(٥) الأخلاق الإسلامية، ١/٨٠٤.

وبهذا يتضح كيف ينقض الحسد الإخلاص؛ لأن هذه الأمور يأباها الإخلاص، كما أن من بواعث الحسد وأسبابه:

التعجب، والتكبر، وحب الرئاسة وطلب الجاه، والحرص على الدنيا، وشح النفس بالخير لعباد الله، وكلها من مضادات الإخلاص ونواقضه، وبهذا يتضح كيف ينقض الحسد الإخلاص، والله أعلم.

الخاتمة

الخـاتمـة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات والصلاة والسلام على من بعث بالخــــيرات، ولما تم المطاف -بتوفيق الله وفضله- من دراستي لموضوع:

((الإخلاص حقيقته ونواقضه))

أجمل نتائج البحث مشيراً إلى المهم من ذلك مجملاً، تاركاً فروع مسائله مبثوثــة في الرسالة ففيها تفصيل ما أجمل وبيان ما أبهم ، أما أهم النتائج فمنها :

- ضرورة الاهتمام بأعمال القلوب عامةً ودراستها دراسةً علمية ونشرها بين النـــاس لتتحقق الفائدة ويعم نفعها جميع المسلمين.
- الإخلاص من أعمال القلوب الهامة التي يجب تحصيلها وبذل الوسع في تحقيقها؛ فهو شرط صحة لجميع الأعمال، وكل عمل يفقد الإخلاص فغير مقبول .
- الناس متفاضلون في تحقيق الإخلاص، والتفاضل في تحقيقه سببب لتفاضل درجات أهله .
- الإخلاص مجال متسع للحياة يدخل جميع شئونها.
- لتحصيل الإخلاص طرق مشروعة؛ في اتباعها غنية عن الطرق المبتدعة .
- حرص السلف الصالح رضوان الله عليهم على تحقيق الإخـــلاص وضربـــوا أروع الأمثلة في تحقيقه مع بذلهم الوسع في تكميله ، وما ذلك إلاَّ لجليل قــدره وعظيـــم أمره .
- للإخلاص ثمار كثيرة وآثار جليلة، فرب عمل صغير بإخلاص صاحبه يعظـم، ورب عمل عظيم بفقد الإخلاص فيه يصغر .
- قد أصاب المفهوم الصحيح للإخلاص بعض سهام التشويه فنتجت مفاهيم خاطئـــة غيرت حقيقته، قد لبس ردائها البعض فانحرفوا عن الطريق المستقيم والنهج القــويم،

وأُتيت أعمال ظنَّ أصحابها أنها إخلاص وهي بعيدة عنه، وتركوا أعمالاً ظنوا أنهـــا ليست بإخلاص مع أنها عينه.

- ترك العبادة لتحقيق الإخلاص أمر لا يمكن، فبدون العبادة لا يكون إخلاص فكمـــا أنَّ العبادة لاتقبل بدونه، كذلك الإخلاص لا يحقق بدونها.
- العمل والسعي في الأرض طلباً للرزق لا يضاد الإخلاص بل مما يعين على العبـــادة إن لم يشغل عن الآخرة .
- للإخلاص نواقض وشوائب كثيرة، لكنَّ عقد متفرقاتهـــا: إرادة مـــا ســـوى الله بالعمل.
- ومن شوائبه الشهيرة مايلي :

الشرك الأكبر :

وهو مما يضاد الإخلاص وينفي الإيمـــان والإخـــلاص كليـــةً، وإذا عمـــل المشركون أعمالاً صالحةً خالصةً حال شركهم فلهم حالان:

الحالة الأولى :

أن يسلموا ويموتوا على الإسلام فإن ثواب عملهم الصـــالح الخـــالص حـــال شركهم يضاف لهم فضلاً من الله وكرماً على الصحيح من قولي أهل العلم.

الحالة الثانية :

أن يموتوا على شركهم فعملهم حابط ويعجل لهم ثواب مـــاعملوا في الحيـــاة الدنيا حتى لا يلقون الله بحسنة لهم؛ لإشراكهم به سبحانه وتعالى عما يشركون .

الشرك الأصغر :

وهو مما يضاد الإخلاص، وله حالتان:

الحالة الأولى :

أن يلتحق بالشرك الأكبر، وذلك إذا وقع بأصل الإيمان، أو إذا غلب على العمـــل،

ففي هذه الحالة يكون أثره على الإخلاص كأثر الشرك الأكبر على الإخلاص كما سبق بيانه .

الحالة الثانية :

ألاَّ يلتحق بالشرك الأكبر، فإنه يبطل العمل الذي يشوبه وينفي الإخلاص في هذا العمل على التفصيل المذكور في الرياء .

الرياء :

من نواقض الإخلاص وآفاته، وتأثيره على العمل وعلى الإخلاص فيه يظهر من التفصيل الآتي:

فالرياء ينقسم إلى قسمين:

١- رياء محض:

فهذا يبطل العمل وينتفي الإخلاص في هذا العمل سواءً كان في أصله أو في أثنائه .

٢- رياء التشريك:

فعلى القول الراجح يكون أثره على العمل وعلى الإخلاص فيه علىالتفصيل الآتي :

- إن كان من بداية العمل وحتى نهايته فيبطل العمل، وينتفي الإخلاص في هذا العمل على الصحيح.
- إن كان في أثناء العمل:

أ- فإذا كان العمل متصلاً:

١- فإن كان عارضاً فدفعه لم يتأثر إخلاصه.

٢- وإن استرسل أبطل العمل وانتفى الإخلاص في هذا العمل على الصحيح.

ب- إن كان العمل منفصلاً:

صح في أوله و لم يتأثر إخلاصه في أوله، وبطل العمل في آخره وينتفي إخلاصه في آخره؛ لأنَّ آخره كان مشوباً.

- إن كان بعد الانتهاء من العمل:

فلا يؤثر في العمل والإخلاص؛ لأنَّ الرياء لا يكون إلاَّ مصاحباً للعمل، إلاَّ إن كان مصاحباً و لم يظهر أنه مصاحب إلاَّ بعده فكالصورة السابقة في الحكم، ولكن يأثم بنيته إن ظهر رياءه بعد العمل على نيته، والله أعلم.

السمعة :

وهي من مضادات الإخلاص، وقرينة للرياء في أثرها على الإخلاص على الصحيح من قولي أهل العلم، والحكم لهما واحداً .

إرادة الدنيا بعمل الآخرة :

قد تكون إرادة الدنيا بعمل الآخرة من نواقض الإخلاص وآفاته وقد لا تكون كذلك على التفصيل الآتي :

أ - أن تكون إرادة الدنيا بالعمل الصالح تابعة ومقوية للمقصد الشرعي من العبادة، ولا تقدح في الإخلاص -كالرياء- فإنَّها تجوز، ولا ينتفي إخلاص صاحبها، أمَّا بالنسبة للأجر فإن أجر صاحبها لا يكون كأجر من خلصت نيته لله .

ب- أن تكون إرادة الدنيا بعمل الآخرة مساوية أو غالبة لإرادة الآخرة فإنَّ العمل يبطل وينتفي الإخلاص في هذا العمل، وصاحب العمل آثمٌ بهذه النية، وأثم من غلب قصده للدنيا أعظم ممن تساوى عنده القصدان؛ فكما أنَّ الأجور تتفاوت فكذلك الآثام .

جـ- أن تكون إرادة الدنيا بعمل الآخرة خالصةً للدنيا، فإنَّ العمل يبطل وينتفي الإخلاص في هذا العمل، قولاً واحداً لأهل العلم .

وهذه القاعدة عامة لا يصح الاستدلال بها على الفروع الجزئية، فإذا أردنا أن نعرف أثر مسألة ما على الإخلاص فيلزم أولاً النظر في جواز هذه المسألة من عدمه؛ لأنها قد لا تكون جائزة، فلا يصح أن تكون مقصودة للمكلف أصلاً، وهذا يعني وجوب البحث عن حكمها من خلال الأدلة التفصيلية وبعد ذلك يتم بيان أثرها على

الإخلاص .

ومن فروع إرادة الدنيا بعمل الآخرة المسائل التالية :

١- التجارة مع الحج، والغزو في سبيل الله مع قصد المغنم، فكلاهما جائز إذا كان قصد التجارة والمغنم تابعاً ومقوياً للمقصد الأصلي من الحج والغزو، والمحرك والمزعج والباعث على العمل إرادة الله بالعمل وأمَّا قصد التجارة، وقصد المغنم فإنهما يكونان تابعان لهذا المقصد .

٢- طلب العلم للشهادة والوظيفة ونحوها من المقاصد الدنيوية لا يجوز إلاَّ إن كان هذا القصد تابعاً ومقوياً للمقصد الأصلي من طلبه للعلم، والباعث والمزعج لطلب العلم هو إرادة الله بهذا العمل، كما أنَّه يمكن لطالب العلم أن يحسن نيته من طلبه للعلم بأن ينوي عبادة أخرى بطلبه للشهادة، كأن يعمل في ثغرة للمسلمين يحاول فيها الإصلاح .

٣- المسابقات في العلوم الشرعية وهي نوعان: بعوض ، وبغير عوض، أما التي بغير عوض فالإجماع على جوازها، وأما التي بعوض فعلى الصحيح من قولي أهل العلم تجوز، وفي كلا النوعين لا يجوز أن تقصد الدنيا إلاَّ قصداً تابعاً، والباعث والمزعج على العمل هو إرادة الله بهذا العمل قياساً على التجارة مع الحج والغزو مع قصد المغنم.

الهـــوى :

الهوى وهو من الآفات التي تعرض للإخلاص وتؤثر فيه ويختلف أثره باختلاف ما يدفع له؛ لأنَّ الهوى قد يدفع صاحبه للوقوع في الكفر والشرك الأكبر، وقد يدفع للشرك الأصغر، وقد يدفع لكبيرة دون الشرك بنوعيه، أو يدفع لصغيرة من الصغائر، كما أنه قد يخالط الطاعة ويكون الباعث لفعلها مجرد الهوى، وأثره على الإخلاص يختلف باختلاف ما يدفع إليه وعلى التفصيل التالي :

أولاً: أن يدفع للكفر أو الشرك الأكبر:

فأثره على الإخلاص هنا كأثر الكفر والشرك الأكبر على الإخلاص كما سبق بيانه.

ثانياً: أن يدفع للشرك الأصغر :

فأثره على الإخلاص كأثر الشرك الأصغر على الإخلاص وبتفصيلاته المذكورة سابقا.

ثالثاً: أن يدفع لكبيرة من الكبائر أو صغيرة من الصغائر :

فأثره على الإخلاص أنه ينقص من كماله الواجب، لكن أثم الصغيرة أقل من إثم الكبيرة؛ فأثرها على الإخلاص وكماله الواجب أقل من أثر الكبيرة على الإخلاص وكماله الواجب .

رابعاً: أن يدفع الهوى لفعل طاعة من الطاعات:

بمعنى أن يكون الباعث على فعل الطاعة مجرد الهوى، فيكون قد وقع في نوع من الشرك الأصغر؛ لأنه أتى طاعة لم تكن خالصة بل فعلها لحظ نفسه وهواها، فأثر الهوى هنا على الإخلاص كأثر الشرك الأصغر على الإخلاص بتفصيلاته السابقة.

العمل لتحقيق شهوات النفس وحظوظها:

وتحت هذا الفصل مباحث وهي:

العجب، والكبر، والحقد والحسد، فإنَّ لها أثرها على العمل وعلى الإخلاص فيه وبحسب ما تدفع وتوقع فيه على التفصيل التالي :

أولاً: أن تدفع للشرك الأكبر أو الكفر بالله :

فأثرها على الإخلاص كأثر الشرك الأكبر والكفر على الإخلاص كما سبق بيانه.

ثانياً: أن تدفع للشرك الأصغر :

فأثرها على الإخلاص كأثر الشرك الأصغر على الإخلاص بتفصيلاته السابقة .

ثالثاً: ألاّ تدفع للشرك بنوعيه :

فأقل أحوالها أن تكون كبيرة من الكبائر- كما سبق بيانه- وأثرها على الإخلاص كأثر الكبائر على الإخلاص فتنقص من كماله الواجب .

رابعاً: أن تخالط الطاعة :

بمعنى أن تدفع لفعل الطاعة فيكون الدافع من فعل الطاعة هو إرضاء شهوات النفس من العجب، والكبر، والحقد، والحسد، فإنَّ الطاعة تصبح معصية، ويقع صاحبها في نوع من الشرك الأصغر؛ لأنه فعل طاعة لم يكن مقصده منها وجه الله والدار الآخرة، وأتى أمراً منهياً عنه، فيكون أثرها هنا على الإخلاص كأثر الشرك الأصغر على الإخلاص وبتفصيلاته السابقة .

التعبد بقصد الاطلاع على العوالم الغيبية:

وهذا المقصد من المقاصد التي لا تجوز؛ لأنَّ الأصل في العبادات التوقف وهذا المقصد لم يرد به نص، كما أنه من المقاصد التي فيها إرضاء شهوات النفس، ولا يجوز العمل لتحقيق شهوات النفس بل لا بد أن يكون المقصد وجه الله والدار الآخرة، أو ما أباحته النصوص من المقاصد، وغيره لا يشرع؛ لهذا فإنَّ التعبد بهذا القصد من الشرك الأصغر وأثره على العمل وعلى الإخلاص فيه كأثر الشرك الأصغر على العمل وعلى الإخلاص فيه وبتفصيلاته السابقة، وقد مضى القول في موطنه ببيان الشبه التي قد يتذرع بها أصحابها لإجازة هذا المقصد، وتم الرد عليها وتفصيل القول فيها بما يغني عن إعادة القول فيها هنا .

وأخيراً فما كان من صواب في بحثي فمن الله وحده فكم من عسيراً يسره وصعب أناخه وذلله، فله الفضل وحده سبحانه وتعالى، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان وحسبي أني لم آلو جهداً ولم أدخر وسعاً في سبيل الوصول للحق فيما كتبت وقررت، ولا يلام المرء بعد اجتهاده .

كما أشكر لفضيلة المشرف -حفظه الله- على ما قدمه من نصح وإرشاد

وتوجيه ومتابعة، في حسن خلقٍ وصبر جميل، فجزاه الله خيراً وضاعف مثوبته، وكـــل من أعان في إنجاز هذا البحث .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبـه أجمعين.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

الآية	السورة	آية	الصفحة
﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾	=	١٨٩	٥٠٢
﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾	=	١٩٨	٣٦٥،٢٢٢ ٣٧٥،٣٧٤
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾	=	٢٥٨	٢٤٧
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾	=	٢٦٠	٥٠٤

فهرس الآيات

الآية	السورة	آية	الصفحة
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾	=	٢٦٤	٣٣١
﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾	=	٢٦٥	٩٧
﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾	=	٢٧١	٨٤
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾	=	٢٧٨	١٧٥
﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾	=	٢٧٩	١٧٥

فهرس الآيات

الآية	السورة	آية	الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢ ﴾	=	٢٨٢	١٠٧، ٤٣٠

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

الآية	السورة	آية	الصفحة
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾	=	٤٠	٣٢٦
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾	=	٤٨	١٣٨،١٠٠ ٢٤١،٢٣٦ ٢٥٦،٢٤٢ ٢٧٦،٢٧٠
﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾ ﴾	=	٥٤	٥١٨
﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾	=	٥٨	٢١٦
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾	=	٥٩	٤٢٥
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ ﴾	=	٦٣	٤٠٦

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

الصفحة	آية	السورة	الآية
١٦٥	٦٨- ٧٠	=	﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾
٥٠٤	٧٤	=	﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾
٢٤٦	٢٣	الشعراء	﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾
١٦١	٨٥	=	﴿ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾
٤٣٠	١٠٦	=	﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾
٤٣٠	١٢٤	=	﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾
٢١٥	٤٠	النمل	﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ ﴾
٢٩٧	٤	القصص	﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

الآية	السورة	آية	الصفحة
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾	=	٢٨	٣٧٩
﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾	=	٤٠	٢٢٩
﴿ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	يس	١٥	٥٣٠
﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾	=	٦٠	٤٣٨، ٤٣٩
﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾	الصافات	٨٤	١٢٠
﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾	=	١٥٩ – ١٦٠	١١٥
﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾	ص	٢٦	٣٩٠، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤١٠، ٤٣٥

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

الآية	السورة	آية	الصفحة
﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾	=	٧	٧٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾	=	١١	٤٥٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾	=	١٣	٤٥٤
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾	الذاريات	٥٦	١٣٧، ١٤٩، ٢١٤، ٢٥٩، ٤١٢
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾	النجم	٣	٤٢٦
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾	=	٤	٤٢٦
﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾	=	٢٣	٤٣٧

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس أطراف الأحاديث

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

(أ)

أبجد العلوم، صديق حسن خان، تحقيق/ عبد الجبار زكار دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، لمحمد محمد الحسيني الزبيدي، دار الفكر، بيروت.

اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، تحقيق: د/ عواد عبدالله المعتق، الرشد، الرياض، الثالثة، ١٤١٩هـ.

الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي، تحقيق د/ عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الأولى، ١٤١٠هـ.

الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الأولى، ١٤٠٠هـ.

أحكام القرآن، للجصاص، تحقيق/ محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، بعناية القاضي محمد الدالي بلطه المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، الرابعة، ١٤٢٠هـ.

اختيارات ابن قدامة الفقهية، د/ علي سعيد الغامدي، دار طيبة، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.

الإخلاص في مجالات العمل الإسلامي، د. علي عبدالحميد محمود، دار التوزيع مصر، الأولى، ١٤١٥هـ.

الإخلاص، لحسين العوايشة، دار ابن حزم، بيروت، الثامنة، ١٤١٨هـ.

الإخلاص وأثره في قبول العمل، د. عبد الله محمد الطيار، دار المسير، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.

الإخلاص والدقة في العمل، د. عابد توفيق زين العابدين، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، ١٤١٧هـ.

الإخلاص والنية، لابن أبي الدنيا، تحقيق/ إياد خالد الطباع، دار البشائر دمشق، الأولى.

الأخلاق الإسلامية، عبد الرحمن حسن جنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الخامسة، ١٤٢٠هـ.

الآداب الشرعية، لابن مفلح، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخر، الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤١٦هـ.

آداب الصحبة والمعاشرة، للغزالي، تحقيق د. محمد سعود المعيني، مطبعة العاني، بغداد.

آداب النفوس، للحارث المحاسبي، تحقيق/ عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، الأولى، ١٤٠٨هـ.

أدب الدنيا والدين، للماوردي، تحقيق/ ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق، الثانية، ١٤١٥هـ.

الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود عبدالعزيز العريفي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الأولى، ١٤١٩هـ.[رسالة ماجستير]

أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول صلى الله عليه وسلم، تحقيق/ مشهور حسن سلمان، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، الأولى، ١٤١٣هـ.

الأذكار، للنووي، تحقيق/ محيي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق، الثالثة، ١٤١٢هـ.

الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للشيخ صالح الفوزان، دار ابن خزيمة، الثانية، ١٤١٧هـ.

إرواء الغليل، للألباني، المكتب الإسلامي، الثانية، ١٤٠٥هـ.

الاستذكار، لابن عبد البر، تحقيق/ د. عبد المعطي قلعجي، دار قيبة، دمشق، الأولى، ١٤١٤هـ.

الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق/ د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الأولى، ١٤٠٣هـ.

الأشباه والنظائر، للسيوطي، تحقيق/ محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ.

الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، تحقيق/ عادل البجاوي، وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٥هـ.

أضواء البيان، لمحمد الأمين الشنقيطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٧هـ.

إعانة الطالبين، لسيد البكري أبو بكر بن محمد شطا، دار الفكر، بيروت.

إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح الفوزان، الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ.

اعتقاد أئمة الحديث، لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، تحقيق/ د. محمد الخميس، دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤١٢هـ.

الاعتقاد، للبيهقي، تحقيق/ أحمد أبو العينين، دار الفضيلة، الرياض، الأولى، ١٤٢٠هـ.

إعراب القرآن الكريم، لمحي الدين درويش، دار ابن كثير، دمشق، السادسة، ١٤١٩هـ.

الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام وإظهار محاسن الإسلام، للقرطبي، تحقيق/ د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

أعلام السنة المنشورة، لحافظ أحمد الحكمي، تحقيق/ أحمد علي علوش مدخلي، مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.

الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، العاشرة، ١٩٩٢م.

إعلام الموقعين، لابن القيم، تحقيق/ عبدالرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

إغاثة اللهفان، لابن القيم، تحقيق/ مجدي السيد، دار الحديث، القاهرة.

آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، دار اليقين، المنصورة، مصر، الأولى، ١٤١٨هـ.

اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، تحقيق/ د. عبد الكريم العقل، توزيع وزارة الشئون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، السابعة، ١٤١٩هـ.

اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغدادي، تحقيق/ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الرابعة، ١٣٩٧هـ.

إكمال إكمال المعلم، للأبي، دار الكتب العلمية، بيروت.

إكمال المعلم بفوائد مسلم، لعياض اليحصبي، تحقيق/ د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، الأولى، ١٤١٩هـ.

الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، لمحمد بن عبد الملك بن مالك الجياني، تحقيق/ د. محمد حسن عواد، دار الجيل، بيروت، الأولى، ١٤١١هـ.

الإمام في بيان أدلة الأحكام، للعز بن عبد السلام، تحقيق/ رضوان مختار غربية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الأولى، ١٤٠٧هـ.

الأمنية في إدراك النية، للقرافي، ضبطه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ.

الإنصاف، للمرداوي، تحقيق/ محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثانية، ١٤٠٠هـ.

إغاثة اللهفان، لابن القيم، تحقيق/ مجدي السيد، دار الحديث، القاهرة.

الإيمان، لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق/ الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، ١٤٠٣هـ.

الإيمان، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق/ الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، ١٤٠٣هـ.

(ب)

الباعث على إنكار البدع والحوادث، عبد الرحمن إسماعيل أبو شامة، تحقيق/ عثمان عنبر، دار الهدف، القاهرة، الأولى، ١٣٩٨هـ.

البحر الرائق، لزين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن بكر، المشهور بابن نجيم، دار المعرفة، بيروت، الثانية.

البحر الزخار، للبزار، تحقيق/ د. محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، الأولى، ١٤١٤هـ.

بدائع الصنائع، للكاساني، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ١٤٠٦هـ.

بدائع الفوائد، لابن القيم، تحقيق/ هشام عبد العزيز وعادل العدوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الأولى، ١٤١٦هـ.

البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق/ د. أحمد أبو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الثالثة، ١٤٠٧هـ.

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، تحقيق/ د. حسين عبدالله العمري، دار الفكر، دمشق، الأولى، ١٤١٩هـ.

البرهان المؤيد، لأحمد علي الحسيني، تحقيق/ عبد الغني نكه مي، دار الكتاب النفيس، بيروت، الأولى، ١٤٠٨هـ [من كتب المتصوفة].

بعض أنواع الشرك الأصغر، د. عواد عبد الله المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤٢٠هـ.

(ت)

تاج العروس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق/ مصطفى حجازي ضمن لجنة فنية بوزارة الأعلام بالكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٧هـ.

التاج والأكليل، لمحمد يوسف العبدري، دار الفكر، بيروت، الثانية، ١٣٩٨هـ.

تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

التبصير في الدين، لأبي المظفر الإسفراييني، مكتبة الخانجي، مصر .

التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، تحقيق/ محمد زهري النجار، المؤسسة السعيدية، الرياض.

تحفة الأحوذي، للمباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

تحفة الطالب والجليس، عبد اللطيف عبدالرحمن آل الشيخ، تحقيق/ عبد السلام برجس، دار العاصمة، الرياض، الثانية، ١٤١٠هـ.

التخويف من النار، لابن رجب، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ.

ترتيب الفروق واختصارها، لأبي عبدالله محمد بن إبراهيم البقوري، تحقيق/ عمر ابن عباد، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٤١٦هـ.

تصفية القلوب، ليحيى الذمار، تحقيق/ د. حسن محمد الأهدل، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الثالثة، ١٤١٥هـ.

تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، بشرح وتعليق الشيخ علي بن محمد بن سنان -رحمه الله-، مكتبة دار الكتب الإسلامي، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ.

التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد الكلاباذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ [من كتب المتصوفة].

التعريفات، للجرجاني، تحقيق/ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الرابعة، ١٤١٨هـ.

تعظيم قدر الصلاة، للمروزي، تحقيق/ د. عبدالرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الأولى، ١٤٠٦هـ.

تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق/ د. أحمد عبدالله العماري، الدار، المدينة المنورة، الأولى، ١٤٠٨هـ.

تفسير غريب ما في الصحيحين، لمحمد بن أبي نصر الحميدي، تحقيق/ د. زُبيدة محمد سعيد، مكتبة السنة، القاهرة، الأولى، ١٤١٥هـ.

تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار الخير، بيروت، الثانية، ١٤١٢هـ.

التفسير الكبير، للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثالثة.

تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق/ أبو الأشبال صغير أحمد، دار العاصمة، الأولى، ١٤١٦هـ.

التقرير والتحبير، لمحمد بن محمد، دار الفكر، بيروت، الأولى، ١٩٩٦م.

تلبيس إبليس، لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ١٤٠٧هـ.

تلبيس الجهمية، لشيخ الإسلام، تحقيق/ محمد عبدالرحمن القاسم، دار القاسم، الثانية، ١٤٢١هـ.

تلخيص الحبير، لابن حجر، تحقيق/ حسن قطب، مؤسسة قرطبة، الأولى، ١٤١٦هـ.

تلخيص الاستغاثة = ينظر الرد على البكري.

التمهيد، لابن عبد البر، تحقيق/ مصطفى أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

التمهيد في الكلام على التوحيد، ليوسف حسن عبد الهادي، تحقيق/ د. محمد السمهري، دار بلنسية، الرياض، الأولى، ١٤١٧هـ.

تنبيه الغافلين، لأبي الليث السمرقندي، تحقيق/ حسين عبدالحميد نيل، دار الأرقم، بيروت، لبنان.

التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي، تحقيق/ يمان بن سعد الدين، رمادي للنشر، الدمام، الأولى، ١٤٠٤هـ.

تهذيب الفروق، لمحمد المالكي، عالم الكتب، بيروت، مطبوع بهامش الفروق.

تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهري، تحقيق/ د. عبد السلام سرحان، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

تهذيب الكمال، للمزي، تحقيق/ أحمد عبيد وآخر، المكتبة التجارية لمصطفى الباز، ١٤١٤هـ.

التواضع، لسليم الهلالي، دار ابن القيم، الدمام، الأولى، ١٤١٦هـ.

التواضع والخمول، لابن أبي الدنيا، تحقيق/ لطفي الصغير، دار الاعتصام، القاهرة.

التوحيد، لأبي منصور الماتريدي، تحقيق/ د. فتح الله خليف، دار المشرق، بيروت، لبنان.

التوحيد، لابن خزيمة، تحقيق/ د. عبدالعزيز الشهوان، الرشد، الرياض، السادسة، ١٤١٨هـ.

توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم، لابن عيسى، تحقيق/ زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة، ١٤٠٦هـ.

التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق/ محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دمشق، الأولى، ١٤١٠هـ.

تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبدالله، المكتب الإسلامي، بيروت، السادسة، ١٤٠٥هـ.

تيسير الفقه الجامع للاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام، د. أحمد موافي، دار ابن الجوزي، الدمام، الثانية، ١٤١٦هـ. [رسالة ماجستير]

تيسير الكريم الرحمن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق/ عبدالرحمن اللويحق، الرسالة، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤٢١هـ.

(ث)

الثمر الداني، صالح عبد السميع الأزهري، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

(ج)

جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، تحقيق/ أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، الثانية، ١٤١٦هـ.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، مصطفى البابي الحلبي، مصر، الثالثة، ١٣٨٨هـ.

جامع العلوم والحكم، لابن رجب، تحقيق/ طارق عوض الله محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، الأولى، ١٤١٥هـ.

الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، بعناية د. محمد الحفناوي، دار الحديث، القاهرة، مصر، الأولى، ١٤١٤هـ.

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق/ محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

الجامع الفريد، لمجموعة من أئمة الدعوة، طبع على نفقة محمد النعمان -رحمه الله-.

الجامع، لمعمر بن راشد، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، ١٤٠٣هـ "ملحق بالمصنف للصنعاني".

جماع العلم، للشافعي، تحقيق/ أحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، مصر.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، تحقيق/ د. علي حسن وآخرون، دار العاصمة، الرياض، الثانية، ١٤١٩هـ.

جواهر الإكليل، لصالح عبد السميع الأزهري، دار الفكر، بيروت، لبنان.

(ح)

حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار)، لمحمد أمين الشهير بابن عابدين، دار الفكر، بيروت، الثانية، ١٣٨٦هـ.

حاشية السندي على سنن النسائي = ينظر سنن النسائي.

حاشية السيوطي على سنن النسائي = ينظر سنن النسائي.

حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، أحمد محمد الطحطاوي ، مكتبة الحلبي، مصر، الثالثة، ١٣١٨هـ.

حاشية العدوي، لعلي الصعيدي العدوي المالكي، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

حاشية كتاب التوحيد، لابن قاسم، السادسة، ١٤٠٨هـ [بدون ناشر].

حجة الله البالغة، لأحمد ولي الله الدهلوي.

الحسد: أسبابه، وعلاجه، الوقاية منه، لمجدي الشهاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، الأولى، ١٤١٦هـ.

الحق الواضح المبين، عبدالرحمن ناصر السعدي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٦هـ.

حقيقة البدعة وأحكامها، لسعيد بن ناصر الغامدي، مكتبة الرشد، الرياض، الثالثة، ١٤١٩هـ. [رسالة ماجستير]

حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد (ضمن المجموع المفيد)، لمحمد سلطان المعصومي، دار أطلس، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.

حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الرابعة، ١٤٠٥هـ.

(خ)

الخوارج تاريخهم آراؤهم الاعتقادية، د. غالب العواجي، مكتبة لينة، مصر، الأولى، ١٤١٨هـ [رسالة ماجستير].

(د)

الداء والدواء، لابن القيم، تحقيق/ عامر علي ياسين، دار ابن خزيمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤١٧هـ.

درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق/ د. محمد رشاد سالم، دون ناشر، (مصورة عن طبعة جامعة الإمام).

الدرر السنية في الرد على الوهابية، لأحمد زيني دحلان، طبعة إيشيق، اسطنبول، تركيا [من كتب المتصوفة].

الدر المختار = ينظر حاشية ابن عابدين الدر المختار.

الدعاء، للطبراني، تحقيق/ د. محمد سعيد بن محمد حسن البخاري، دار البشائر الإسلامية، الأولى، ١٤٠٧هـ.

الدعاء، لمحمد بن فضيل الضبي، تحقيق/ د. عبدالعزيز سليمان البعيمي، الرشد، الرياض، الأولى، ١٤١٩هـ.

دقائق التفسير، جمع وتحقيق/ د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الثانية، ١٤٠٤هـ.

الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للسيوطي، تحقيق/ أبي إسحاق الحويني الأثري، دار ابن عفان، الخبر، ١٤١٦هـ.

الديباج المذهب، لابن فرحون المالكي، تحقيق/ د. الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة.

الدين الخالص، لصديق حسن خان، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر.

(ذ)

الذخائر لشرح منظومة الكبائر، لمحمد بن أحمد السفاريني، تحقيق/ وليد العلي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الأولى، ١٤٢٢هـ.

الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، تحقيق/ أبو اليزيد العجمي، دار الوفاء، المنصورة، مصر، الثانية، ١٤٠٨هـ.

ذم التأويل، لابن قدامة، تحقيق/ بدر البدر، دار الفتح الشارقة، الأولى، ١٤١٤هـ.

ذم الرياء، للضراب "أبو محمد الحسن"، تحقيق/ د. محمد باكريم، دار البخاري، المدينة المنـــورة، الأولى، ١٤١٦هـــ.

ذم الهوى، لابن الجوزي، تحقيق/ خالد عبداللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الثانيـــة، ١٤١٩هـــ.

(ر)

الرد على البكري، لابن تيمية، تحقيق/ محمد علي عجال، الغرباء، المدينة المنورة، الأولى، ١٤١٧هـــ.

الرد على القائلين بوحدة الوجود، علي بن سلطان محمد الهروي المكي الحنفي، تحقيق/ علي رضا بـــن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون للتراث، دمشق، الأولى، ١٩٩٥م.

رد المحتار على الدر المختار = ينظر: حاشية ابن عابدين.

الرد على المنطقين، لابن تيمية، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، الرابعة، ١٤٠٢هـــ.

رسالة التوحيد، للدهلوي، ترجمة وتعليق/ أبو الحسن الندوي، المكتبة اليحيوية، ســـــهارنفور، الهنـــد، ١٣٩٤هـــ.

رسالة التوحيد، محمد عبده، دار إحياء الكتب العربية، مصر، الحادية عشر، ١٣٦٥هـــ.

رسالة الشرك ومظاهره، لمبارك محمد الميلي، تحقيق/ أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية، الرياض، الأولى، ١٤٢٢هـــ.

رسالة في أنواع التوحيد وأنواع الشرك، لسليمان بن عبد الله آل الشيخ، ضمن الجامع الفريد = ينظر: الجامع الفريد.

الرسالة القشيرية، للقشيري، تحقيق/ د. معروف زريق ود. علي عبد الحميـــد بلطـــاجي، دار الخـــير، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤١٢هـــ.

رصف المباني في شرح حروف المعاني، لأحمد عبد النور المالقي، تحقيق/ د. أحمد الخـــراط، دار القلـــم، دمشق، الثانية، ١٤٠٥هـــ.

الرضا عن الله بقضائه، لابن أبي الدنيا، تحقيق/ ضياء الحسن السلفي، الدار السلفية، بومبـــاي، الأولى، ١٤١٠هـــ.

الرعاية لحقوق الله، للحارث المحاسبي، د. عبدالرحمن عبد الحميد البر، دار اليقين، المنصـــورة، مصـــر، الأولى، ١٤٢٠هـــ.

الرقة والبكاء، لابن أبي الدنيا، تحقيق/ محمد خير رمضان، دار الصميعي، الرياض، الأولى، ١٤١٦هـــ.

رؤية الله، لأحمد ناصر الحمد، جامعة أم القرى، الأولى، ١٤١١هـــ [رسالة ماجستير].

الروح، لابن القيم، تحقيق/ يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق، الرابعة، ١٤٢٠هـ.

روضة الطالبين، للنووي، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، ١٤٠٥هـ.

روضة المحبين، لابن القيم، تحقيق/ بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، الأولى، ١٤٢١هـ.

رياض الصالحين، للنووي، تحقيق/ الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، ١٤٠٤هـ.

الرياء ذمه وأثره السيء في الأمة، لسليم الهلالي، دار ابن الجوزي، الدمام، الثانية، ١٤١٣هـ.

(ز)

زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٣٨٤هـ.

زاد المعاد، لابن القيم، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، الرسالة، بيروت، الرابعة عشر، ١٤١٠هـ.

الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق/ د. عبد المنعم طوعي بشناتي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤١٩هـ.

الزهد، لأحمد بن حنبل، تحقيق/ محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى، ١٤٠٧هـ.

الزهد، لابن أبي عاصم، تحقيق/ عبد العلي عبدالحميد حامد، دار الريان، القاهرة، الثانية، ١٤٠٨هـ.

الزهد، لابن المبارك، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي، نشر مجلس إحياء المعارف، الهند، ١٣٨٥هـ، [ومعه زيادات نعيم].

الزهد الكبير، للبيهقي، تحقيق/ عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الثالثة، ١٩٩٦م.

الزهد، لهناد، تحقيق/ عبدالرحمن الفريوائي، دار الخلفاء الكويت، الأولى، ١٤٠٦هـ.

الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي، تحقيق/ خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ.

زيادة الإيمان ونقصانه، عبدالرزاق العباد، دار القلم والكتاب، الرياض، الأولى، ١٤١٦هـ. [رسالة دكتوراة].

(س)

سبل السلام، للصنعاني، تحقيق/ صبحي حسن حلاق، دار ابن الجوزي، الدمام، الأولى، ١٤١٨هـ.

السحب الوابلة، لابن حميد، تحقيق/ د. عبدالرحمن العثيمين، الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤١٦هـ.

سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.

سنن ابن ماجة، تحقيق/ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الأولى، ١٤١٦هـ.

سنن أبي داود = ينظر: عون المعبود.

سنن الترمذي = ينظر: تحفة الأحوذي، [علماً أن هذه هي الطبعة التي يحال عليها وإذا أحيل على غيرها ذكر ذلك وإلا فهذه الطبعة هي المعنية].

سنن الترمذي، تحقيق/ بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، الثانية، ١٩٩٨م، [وهذه إذا أحيل إليها نبهت على ذلك].

سنن الدارقطني مع التعليق المغني، طبع وزارة المعارف.

سنن الدارمي، تحقيق/ فواز زمرلي، وآخر، دار الريان، القاهرة، الأولى، ١٤٠٧هـ.

السنن الصغرى، للبيهقي، تحقيق/ د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الأولى، ١٤١٠هـ.

السنن الكبرى، للبيهقي، تحقيق/ محمد عبدالقادر، عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٤هـ.

السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق/ د. عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤١١هـ.

سنن النسائي، تحقيق/ مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، الثالثة، ١٤١٤هـ.

السنة، لابن أبي عاصم، تحقيق/ الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة، ١٤١٣هـ.

السنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق/ د. محمد سعيد القحطاني، رمادي للنشر، الرابعة، ١٤١٦هـ.

السنة، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق/ د. عبدالله محمد البصيري، دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤٢٢هـ.

السيد محمد صديق حسن القنوجي، د. أختر جمال لقمان، دار الهجرة، الأولى، ١٤١٧هـ [رسالة علمية].

سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، الرسالة، بيروت، الحادية عشر، ١٤١٧هـ.

السيل الجرار، للشوكاني، تحقيق/ محمد صبحي حلاق، دار ابن كثير، دمشق، الأولى، ١٤٢١هـ.

(ش)

شجرة المعارف والأحوال، للعز بن عبدالسلام، تحقيق/ حسين عكاشة، دار ماجد عسيري، جدة، الأولى، ١٤٢١هـ.

شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق/ محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الأولى، ١٤١٣هـ.

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، تحقيق/ د. أحمد سعد حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض، الخامسة، ١٤١٨هـ.

شرح الأربعين النووية، للنووي، تحقيق/ محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.

شرح ثلاثة الأصول، لمحمد بن صالح العثيمين، بعناية/ فهد ناصر السليمان، دار الثريا، الرياض، الثانية ١٤١٧هـ.

شرح الزرقاني على موطأ مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١١هـ.

شرح السنة، للبربهاري، تحقيق/ خالد بن قاسم الردادي، دار السلف، الثالثة، ١٤٢١هـ.

شرح صحيح مسلم، للنووي، تحقيق/ عصام الصبابطي وآخرون، دار الحديث، القاهرة، الأولى، ١٤١٥هـ.

شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد، دار الكتب العلمية، بيروت.

شرح العمدة، لشيخ الإسلام، الجزء الثاني "كتاب الصلاة"، تحقيق/ د. خالد المشيقح، دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.

شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق/ د. عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، الرسالة، بيروت، الثانية، ١٤١٦هـ.

شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين –رحمه الله- تحقيق/ سعد الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، الثانية، ١٤١٥هـ.

الشرح الكبير، لسيدي أحمد الدردير أبو البركات، تحقيق/ محمد عليش، مطبعة عيسى البابي، مصر.

الشرح الكبير، لعبد الله بن قدامة، تحقيق/ د. عبد الله التركي، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، الأولى، ١٤١٩هـ.

الشرح الميسر على الفقه الأكبر = ينظر: الفقه الأكبر.

شرح نواقض التوحيد، حسن علي العواجي، مكتبة لينة، دمنهور، مصر، الأولى، ١٤١٣هـ.

الشرك الخفي، لزاهر الشهري، دار القاسم، الأولى، ١٤٢٠هـ.

الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق/ د. عبدالله عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.

شعار أصحاب الحديث، محمد بن محمد الحاكم، تحقيق/ عبدالعزيز محمد السدحان، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ.

شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق/ محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٠هـ.

شعب الإيمان، للحسين بن الحسن الحليمي، تحقيق/ حلمي فودة، دار الفكر، الأولى، ١٣٩٩هـ.

شعب الإيمان، لعبد الجليل بن محمد المعروف بالقصري، تحقيق/ سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٦هـ.

شفاء السقام، للسبكي، طبعة إيشيق، اسطنبول، تركيا، [من كتب المتصوفة].

شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، ليوسف النبهاني، طبعة إيشيق، اسطنبول، تركيا، [من كتب المتصوفة].

الشيخ عبدالرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة، د. عبدالرزاق العباد، الرشد، الرياض، الثانية، ١٤١٤هـ. [رسالة ماجستير]

(ص)

الصبر والثواب عليه، لابن أبي الدنيا، تحقيق/ محمد خير رمضان، دار ابن حزم، بيروت، الأولى، ١٤١٨هـ.

الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، اعتناء/ مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤١٩هـ.

صحيح ابن حبان، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، الرسالة، بيروت، الثالثة، ١٤١٨هـ.

صحيح ابن خزيمة، تحقيق/ محمد مصطفى الأعظمي، دار الثقة، مكة المكرمة، الثانية.

صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري = ينظر: فتح الباري.

صحيح الترغيب والترهيب، للمنذري، تصحيح الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الأولى، ١٤٢١هـ.

صحيح الجامع الصغير، للسيوطي، تصحيح الألباني، المكتب الإسلامي، الثالثة، ١٤٠٨هـ.

صحيح سنن الترمذي، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الأولى.

صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج = ينظر: شرح النووي.

صفة الصفوة، عبدالرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، تحقيق/ محمود فاخوري، ود. محمد رواس قلعجي، دار الوعي، حلب، الأولى، ١٣٩٠هـ.

صفة النفاق، لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي، تحقيق/ زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة، ١٤٠٦هـ.

الصلاة وحكم تاركها، لابن القيم، تحقيق/ بسام الجابي، دار ابن حزم، بيروت، الأولى، ١٤١٦هـ.

الصواعق المحرقة، لأبي العباس أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، تحقيق/ عبدالرحمن التركي وكامل الخراط، الرسالة، بيروت، الأولى، ١٩٩٧م.

صيانة صحيح مسلم، أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري، تحقيق/ موفق عبدالله عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

(ض)

ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، د. عبدالله محمد القرني، الرسالة، الأولى، ١٤١٣هـ [رسالة ماجستير].

الضؤ اللامع، للسخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت.

(ط)

طبقات الصوفية، لأبي عبدالرحمن السلمي، تحقيق/ نور الدين شربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الثالثة، ١٤١٨هـ.

طريق الهجرتين، لابن القيم، تحقيق/ عمر أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الثانية، ١٤١٤هـ.

(ع)

عارضة الأحوذي، لابن العربي المالكي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الأولى، ١٤١٥هـ.

العبادة، لعبدالرحمن المعلمي، مخطوط.

العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، الرسالة، بيروت، طبعة رقم/ ٢٤، ١٤١٣هـ.

العجب، لعمر موسى الحافظ، طيبة، الرياض، ١٤١٨هـ.

العدة شرح العمدة، لبهاء الدين المقدسي، قرطبة.

عدَّة الصابرين، لابن القيم، تحقيق/ سليم بن عيد الهلالي، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٠هـ.

عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي محمد اليمني، تحقيق/ محمد عبدالله الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الأولى، ١٤١٤هـ.

العقيدة، للإمام أحمد رواية أبي بكر الخلال، تحقيق/ عبدالعزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة، دمشق، الأولى، ١٤٠٨هـ.

علماء نجد خلال ثمانية قرون، لعبدالله البسام، دار العاصمة، الرياض، الثانية، ١٤١٩هـ.

عمل اليوم والليلة، للنسائي، تحقيق/ د. فاروق حمادة، الرسالة، بيروت، الثانية، ١٤٠٦هـ.

عون المعبود، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٠هـ.

عوارف المعارف، لعمر بن محمد السهروردي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الثانية، ١٤٠٣هـ [من كتب المتصوفة].

العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق/ د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤٠٨هـ.

عيون البصائر، آثار الشيخ محمد الإبراهيمي، توزيع الشركة الوطنية، الأولى، ١٤٠٢هـ.

(غ)

غاية البيان شرح زبد ابن رسلان، لمحمد أحمد الرملي، تحقيق/ خالد عبدالفتاح، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤١١هـ.

الغاية والتقريب، لأبي شجاع، تحقيق/ ماجد الحموي، دار ابن حزم، بيروت، الأولى، ١٤١٣هـ.

غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر، لأحمد محمد الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ.

(ف)

فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، جمع عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الأولى، ١٣٩٩هـ.

الفتاوى الكبرى، دار المعرفة، بيروت.

فتاوى اللجنة الدائمة، دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤١١هـ.

فتاوى مهمة لعموم الأمة، جمع إبراهيم الفارس، دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤١٣هـ.

الفتاوى الهندية، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، الثانية، ١٣١٠هـ.

فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبدالرزاق عفيفي -رحمه الله-، جمع/ وليد إدريس، والسعيد بن صابر، دار الفضيلة، الرياض، الثانية، ١٤٢٠هـ.

فتح الباري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار السلام، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.

فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر، د/ محمد المغراوي، مجموعة التحف والنفائس، الأولى.

فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، ١٤١٢هـ.

فتح القدير، الشوكاني، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، الثانية، ١٣٨٣هـ.

فتح المجيد، عبدالرحمن حسن آل الشيخ، تحقيق/ د. الوليد عبدالرحمن آل فريان، دار الصميعي، الرياض، الثانية، ١٤١٧هـ.

الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد.

الفروسية، لابن القيم، تحقيق/ مشهور حسن سلمان، دار الأندلس، حائل، الأولى، ١٤١٤هـ.

الفروع، لمحمد بن مفلح، تحقيق/ أبي الزهراء حازم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٦هـ.

الفروق، للقرافي، عالم الكتب، بيروت.

الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، تحقيق/ عبدالرحمن خليفة، الأولى، ١٣٤٧هـ.

الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، لابن كثير، تحقيق/ د. باسم جوابرة، وسمير الزهيري، مكتبة المعارف، الرياض، الأولى، ١٤٢٠هـ.

الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الثالثة، ١٤٠٩هـ.

الفقه الأكبر مع شرحه الميسر، لأبي حنيفة النعمان، والشرح لـ د. محمد الخميس، طبع وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ.

الفوائد، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ١٣٩٣هـ.

الفواكه الدواني، أحمد غنيم النفراوي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

فيض القدير، للمناوي، دار الفكر، بيروت.

فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن، د/ أحمد ملحم، دار النفائس، الأردن، الأولى، ١٤٢١هـ.[رسالة علمية]

(ق)

قاعدة في المحبة، لابن تيمية، تحقيق/ محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

القاموس المحيط، لفيروز أبادي، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، الثانية، ١٣٧١هـ

قرة عيون الموحدين، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ضمن الجامع الفريد = ينظر الجامع الفريد

قطف الثمر، صديق حسن خان، تحقيق/ د. عاصم بن عبدالله القريوتي، عالم الكتب، بيروت، الأولى، ١٩٨٤م .

قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام، مؤسسة الريان، بيروت، الثانية، ١٤١٦هـ

قواعد الفقه، محمد عميم الإحسان مجددي، الصدف ببلشرز، كراتشي، الأولى، ١٤٠٧هـ

القواعد والفوائد الأصولية، لابن اللحام، تحقيق/ محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٦هـ

القوانين الفقهية، لابن جزي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

قوت القلوب، لأبي طالب المكي، المطبعة المصرية، القاهرة، الأولى،١٣٥١هـ

القول السديد في مقاصد التوحيد، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

القول المفيد، لمحمد بن صالح العثيمين، تحقيق/د. سليمان أبا الخيل، ود. خالد المشيقح، دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤١٥هـ

(ك)

الكبائر،للإمام محمد بن عبد الوهاب، تحقيق/ د. باسم جوابرة، طبع وزارة الشئون الإسلامية، الرياض، الثانية، ١٤٢٠هـ .

الكبائر، المنسوب للإمام الذهبي، دار العربية، بيروت، لبنان .

كشاف القناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق/ هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ .

كشف الشبهات ومعها التعليقات، للإمام محمد بن عبدالوهاب والتعليق للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار المعالي، بيروت، لبنان، الأولى،١٤١٦هـ .

كفاية الطالب، أبو الحسن المالكي، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

كلمة الإخلاص، ضمن: ((الجامع المنتخب من رسائل ابن رجب))، لابن رجب، تحقيق/ محمد العمري، دار المؤيد، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ .

الكليات، لأبي البقاء، تحقيق/ د. عدنان درويش، ومحمد المصري، الرسالة، بيروت، الثانية، ١٤١٣هـ .

الكواشف الجلية عن معاني العقيدة الواسطية، لعبدالعزيز السلمان، مكتبة الرياض الحديثة، السادسة، ١٣٩٨هـ .

(ل)

لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ترتيب/ يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، لبنان.

اللمع، لأبي السراج الطوسي، مطبعة السعادة، نشر دار الكتب الحديثة، مصر .[من كتب المتصوفة]

لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، تحقيق/ أشرف عبدالمقصود، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الأولى، ١٤١٣هـ.

(م)

المبدع، إبراهيم بن محمد بن مفلح، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة، ١٤٢١هـ.

المبسوط، للسرخسي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع عبدالرحمن بن قاسم، الرئاسة العامة لشئون الحرمين.

مجمع الزوائد، الهيثمي، تحقيق/ عبدالله محمد الدرويش، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.

المجموع شرح المهذب، للنووي، تحقيق/ محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، الأولى، ١٤١٧هـ.

المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين، جمع/ فهد السليمان، دار الوطن، الثانية، ١٤١١هـ.

مجموعة التوحيد، لشيخ الإسلام والشيخ محمد عبدالوهاب، دار الفكر، بيروت.

مجموعة الرسائل والمسائل، لشيخ الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ١٤١٢هـ.

المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للحسن الرامهرمزي، تحقيق/ د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، الثالثة، ١٤٠٤هـ.

المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيدة، تحقيق/ إبراهيم الأبياري، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، الأولى، ١٣٩١هـ.

المحلى، لابن حزم، تحقيق/ أحمد شاكر، دار التراث، القاهرة.

مختصر الفتاوى المصرية، لشيخ الإسلام اختصرها/ البعلي، تحقيق/ عبدالمجيد سليم، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.

مختصر الفوائد في أحكم المقاصد "القواعد الصغرى"، العز بن عبدالسلام، تحقيق/ د. صالح المنصور، دار الفرقان، الرياض، الأولى، ١٤١٧هـ.

مختصر منهاج القاصدين، لأحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي، تحقيق/ علي حسن عبدالحميد، دار عمان، الأردن، الثانية، ١٤١٥هـ.

مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق/ أحمد فخري الرفاعي وآخر، دار الجيل، بيروت.

المدخل لدرسة العقيدة الإسلامية، د. إبراهيم محمد البريكان، دار السنة، الخبر، الثالثة، ١٤١٥هـ.

المراسيل، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق/ د. عبدالله مساعد الزهراني، دار الصميعي، الرياض، الأولى، ١٤٢٢هـ.

المسابقات وأحكامها في الشريعة الإسلامية، د. سعد ناصر الشتري، دار الحبيب، الرياض، الثانية، ١٤٢٠هـ.

المستدرك، للحاكم، تحقيق/ محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١١هـ.

المسجد في الإسلام، لخير الدين وائلي، دار ابن حزم، بيروت، الرابعة، ١٤١٩هـ.

المسند، لأبي داود الطيالسي، تحقيق/ د. عبدالله التركي، هجر للطباعة، مصر، الأولى، ١٤١٩هـ.

مسند أبي يعلى، تحقيق/ حسين سليم، دار المأمون، دمشق، الأولى، ١٤٠٤هـ.

مسند الإمام أحمد، تحقيق/ حمزة الزين وأحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الأولى، ١٤١٦هـ.

مسند البزار = ينظر: البحر الزخار.

مسند الحميدي، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

مسند سعيد، لأحمد إبراهيم الدورقي، تحقيق/ عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الأولى، ١٤٠٧هـ.

مسند الشاشي، تحقيق/ د. محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الأولى، ١٤١٠هـ.

مسند الشاميين، للطبراني، تحقيق/ حمدي عبد المجيد السلفي، الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ.

مسند الشهاب، محمد سلامة القضاعي، تحقيق/ حمدي عبدالمجيد السلفي، الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ.

مصباح الظلام، لعبد اللطيف عبدالرحمن آل الشيخ، دار الهداية، الرياض.

المصباح المنير، للفيومي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧هـ.

المصنف، لابن أبي شيبة، تحقيق/ كمال يوسف الحوت، دار التاج، بيروت.

المصنف، لعبدالرزاق الصنعاني، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، ١٤٠٣هـ.

المطلع، محمد بن أبي الفتح البعلي، تحقيق/ محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ.

معارج القبول، لحافظ الحكمي، تحقيق/ عمر أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الأولى، ١٤١٨هـ.

معالم التنزيل، للبغوي، تحقيق/ محمد النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.

المعتزلة وأصولهم الخمسة، لعواد المعتق، الرشد، الرياض، الثالثة، ١٤١٧هـ .

المعتمد في فقه الإمام أحمد "جمع لنيل المآرب ومنار السبيل"، لعلي عبدالحميد بلطه جي ومحمد وهبي سليمان، دار الخير، الأولى، ١٤١٢هـ.

معجم ألفاظ العقيدة، لعامر الفالح، العبيكان، الرياض، الأولى، ١٤١٧هـ.

المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق/ طارق عوض الله محمد وآخر، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

المعجم الصغير، للطبراني، تحقيق/ محمد شكور محمود، المكتب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤١٥هـ.

المعجم الكبير، للطبراني، تجقيق/ حمدي عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الثانية، ١٤٠٤هـ.

معجم لغة الفقهاء، د. محمد روسى قلعه جي، ود. حامد صادق، دار النفائس، بيروت، الأولى، ١٤٠٥هـ.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، الثالثة، ١٤١١هـ.

معجم المصطلحات الصوفية، د. عبد المنعم حفني، دار المسيرة، بيروت، الأولى، ١٤٠٧هـ [من كتب المتصوفة].

معجم المقاييس في اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق/ شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤١٥هـ.

معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المغني، لابن قدامة، تحقيق/ د. عبدالله التركي وعبدالفتاح الحلو، هجر، القاهرة، الأولى، ١٤٠٦هـ.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، تحقيق/ د. مازن المبارك وآخرون، دار الفكر، بيروت، السادسة، ١٩٨٥م.

مفاهيم يجب أن تصحح، لمحمد علوي المالكي، دار الإنسان للتأليف والترجمة والنشر، الأولى، ١٤٠٥هـ. [من كتب المتصوفة]

مفتاح دار السعادة، لابن القيم، دار الفكر، بيروت.

مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق/ صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، الثانية، ١٤١٨هـ.

المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأحمد عمر القرطبي، تحقيق/ محي الدين ديب مستو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، الثانية، ١٤٢٠هـ.

مقاصد الشريعة الإسلامية، د. محمد سعد اليوبي، دار الهجرة، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ [رسالة دكتوراة].

مقاصد المكلفين، د. عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الأولى، ١٤٠١هـ، [رسالة دكتوراة].

مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق/ هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الثالثة.

مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، لمحمد العبده وطارق عبد الحليم، دار الأرقم، الكويت، الثانية، ١٤٠٦هـ.

مكارم الأخلاق، للخرائطي، تحقيق/ مجدي السيد، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٤١١هـ.

الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق/ أمير علي مهنا وآخر، دار المعرفة، بيروت، السابعة، ١٤١٩هـ.

المنار المنيف، لابن القيم، تحقيق/ منصور السماري، دار العاصمة، الرياض، الثانية، ١٤١٩هـ.

منتهى الآمال، للسيوطي، تحقيق/ محمد عطية، دار ابن حزم، الأولى، ١٤١٦هـ.

المنثور، للزركشي، تحقيق/ د. تيسير فائق أحمد، وزارة أوقاف الكويت، الثانية، ١٤٠٥هـ.

منهاج التأسيس والتقديس، لعبد اللطيف عبدالرحمن آل الشيخ، دار الهداية، الرياض، الثانية، ١٤٠٧هـ.

منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق/ محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، الثانية، ١٤٠٩هـ.

المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي = ينظر شعب الإيمان، للحليمي.

المهذب في أصول الفقه، د. عبد الكريم علي النملة، مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤٢٠هـ.

الموافقات، للشاطبي، تحقيق/ مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان، الخبر، الأولى، ١٤١٧هـ.

المواقف، لعضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق/ د. عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الأولى، ١٩٩٧م.

مواهب الجليل، للحطاب، دار الفكر، بيروت، الثانية، ١٣٩٨هـ.

مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

موسوعة الإجماع، لسعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق، الثالثة، ١٤١٨هـ.

موسوعة فضائل القرآن، الطرهوني، مكتبة العلم، جدة، الثانية، ١٤١٤هـ.

موعظة المؤمنين، لجمال الدين القاسمي، تحقيق/ عاصم بهجة البيطار، دار النفائس، بيروت، الثامنة، ١٤١٤هـ.

موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، د. إبراهيم عامر الرحيلي، مكتبة الغرباء، المدينة النبوية، الأولى، ١٤١٥هـ [رسالة دكتوراة].

موقف المسلم من الفتن، لحسين محسن الحازمي، أضواء السلف، الرياض، الأولى، ١٤٢٠هـ [رسالة ماجستير].

الميزان، للذهبي، تحقيق/ علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، الأولى، ١٣٨٢هـ.

(ن)

النبوات، لابن تيمية، تحقيق/ د. عبدالعزيز صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، الأولى، ١٤٢٠هـ.

النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي، مصر، القاهرة.

نور الهدى وظلمات الضلال، د. سعيد علي القحطاني، الأولى، ١٤٢٠هـ.

النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد، للكمال الغزي، تحقيق/ محمد مطيع وآخر، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ.

النفاق آثاره ومفاهيمه، لعبدالرحمن الدوسري، الرشد، الرياض، الثانية، ١٤٠٤هـ.

نوادر الأصول في أحاديث الرسول، محمد علي الحسن أبو عبدالله الحكيم الترمذي، تحقيق/ د. عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بروت، الأولى، ١٩٩٢.

نواقض الإيمان القولية والعملية، د. عبدالعزيز محمد العبد اللطيف، دار الوطن، الثانية، ١٤١٥هـ [رسالة دكتوراة].

نيل الأوطار، للشوكاني، مطبعة أنصار السنة المحمدية، لاهور باكستان.

النية وأثرها في الأحكام الشرعية، د. صالح غانم السدلان، مكتبة الخريجي، الرياض، الأولى، ١٤٠٤هـ. [رسالة دكتوراة]

(هـ)

هداية الحيارى، لابن القيم، تحقيق/ د. محمد الحاج، دار القلم، دمشق، الأولى، ١٤١٦هـ.

(و)

الوابل الصيب، لابن القيم، تحقيق/ صالح الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤١٨هـ.

الورع، لأحمد بن حنبل، تحقيق/ د. مصطفى محمد الذهبي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الأولى، ١٤١٨هـ.

(ي)

يقظة أولي الاعتبار، صديق حسن خان، تحقيق/ د. أحمد حجازي السقا، دار التراث الإسلامي بالأزهر.

فهرس الموضوعات الإجمالي

فهرس الموضوعات الإجمالي

فهرس الموضوعات التفصيلي

الفهرس الموضوعات التفصيلي